هذا كتاب غاية القصد والمراد فى مناقب شيخ العباد والبلاد القطب الغوث
صاحب الصديقية الكبرى ، الإنسان الكامل ، قطب الأحوال والعلوم
والمقامات المبشرة به قبل وجوده، شيخ الإسلام السيد الإمام العلوى
السنى الحسينى الحبيب عبد الله بن علوى بن محمد الحداد باعلوى
الحضرمى الساكن بتريم وبمكانه الحاوى المحوط به ،
الطالعة عليه الشموس المشرقات ، مأوى للقاصدين
والزائرين فيه وبعد وفاته أولاده الكرام
القائمون مقامه بالعلوم النافعة وإطعام الطعام
لكل من قصدهم من الأنام
نفع الله بهم آمين

ومؤلف هذا الكتاب السيد العظيم والعالم النِّحرير الحكيم ، العارف بالله تعالى وبرسوله الحبيب الفاضل محمد بن زين بن سميط باعلوى ، نفعنا الله تعالى ببركاتهم وبعلومهم فى الدارين آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين آمين .

عنى بطبعه السيد على بن عيسى الحداد

الجُزء الثَّانِى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الباب الخامس

فى ذكر كلمات متعلقة بكتبه ـ رضى الله عنه ـ ومصنفاته ومؤلفاته

وهى لعمرى المعجزة الكبرى، والآية العظمى ؛ الدالة منه ـ رضى الله عنه ـ على غزارة علومه وعزة فهومه وتضلعه فى علوم المنقول والمعقول ؛ فضلا عن حقائق الطريقة ، ومعارف الحقيقة .

قال السيد الجليل محمد بن أبى بكر الشلى ، فى كتابه « المشرع الروى » : ثم شرع فى التأليف وأبدع فى التصنيف ، وطرز حلل العلوم بوشى أرقامه ، ورمى أغراض الفنون بسهام أقلامه ، وأتى من معجزات فضائله بالخوارق ، ونسخ ببراعة عبارته صدور المهارق . وكلامه أشهى من رشف الرضـــاب ، وأحلى من رضى الحبائب الغضاب ؛ وله نظم هو السحر إلا أنه الحلال ، وأدب هو البحر إلا أنه العذب الزلال .

وقال سيدنا ومولانا وشيخنا أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ فى وصفه: لعمرى إنه من آيات الله الباهرة ، فى هذا الزمان المحروم أهله ، لو وجد أهلا ، لما عنده من كنوز الجواهر والدرر البواهر ؛ وما أظهره بالنسبة إلى ما كتمه ، رشحة من زق أو كنفثة من بحر . وسمعته يقول : ما نقدم كلام أحد قط على كلام سيدنا وشيخنا عبد الحداد ، إلا مـا كان من كتـاب وسنة ؛ فإن معانى القرآن قد رسخت فى باطنه .

وقال السيد الجليل الوجيه عبد الرحمن بن على فيه ـ رضى الله عنه ـ : صنف فى الطريق التصانيف النافعة ، والمؤلفات الجـامعة ؛ فـكم شفى الله بكلماته من غليل ، وكم ألان عند سماع وعظه ، من قلب قاس ، وانتفع بمشـاهدة طلعته من دان وقاص ، فهو الحصن الحصين ، والدرع المكين ، ملك الأولياء الأملاك ، وبحر فلك الأفلاك ؛ فضائله ومناقبه تبدو بدو الشمس ، وتزهـر زهر الرياض الزاهرة .

وقد كان العارف السيد الأكمل : محمد بن عبد الرحمن مـديحج يقول : كلام السيد عبد الله الحداد ـ رضى الله عنه ـ دواء القلوب ؛ لأنه طرى من عند ربه ـ عز وجل ـ قال سيدنا ومولانا الحبيب : كل ما بلغكم من كلامنا ، وكل مـا أثبتناه فى شىء من المصنفات والمكاتبات ، فـكل ذلك إنمـا هو على الطريق العامة فقط ، والطريق الخاصة غير ذلك ؛ ولـكن العامة فى هذا الزمان صارت خاصة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : وضعنا مؤلفات وقصائد كثيرة وكلاما منثورا ومنظوما . وأهل تريم أو الـكثير منهم لا يعلمون بذلك ؛ فضلا عن أن يعملوا به . فما ظنك بغيرهم ، والحال كما قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ بعد مـا ألف كتبه النافعة لـكافة المسلمين : لو أنهم أخذوا بها غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد لغزلى نساجاً فـكسرت مغزلى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : كلامنا خاص ، وهو عام . ونحن مع الناس على الطريق العامة ، وقد بارك الله لنا فيها . ولم نجد لطريقة الخاصة متأهلا لها . إن الله تعالى قد أحيى بنـا علوما قد أميتت . ونرجو من فضل الله أن تبقى بعـدنا . وإن رفعت فهى مصيبة عامة ، أعظم من مصيبة الموت على أهل الإسلام .

قلت : الحمد لله رب العالمين . فقد أتم له ما تمناه ، وحقق له ما رجاه ؛ بإبقاء رسومه ، وإحياء علومه وهديه وهداه ، فى أصحابه الأمجاد ، وخواصه الأسياد ، الذين عمروا من بعده ، لتكون فيهم متعة المتمتع . ويكون فيهم المربوع وأهلها أنس ، ونفع الطالب المتنفع ، نفع الله بالجميع ، ولا حرمنا بركتهم فى عافية . آمين.

وقال ــ رضى الله عنه ــ : لو أردنا أن نقول لقلنا شيئا كثيرا ؛ ولكنا صادفنا وقتا وزمنا نعرفه ونراه ؛ وإن وجد مخصوص ، فينبغى أن يعطى كل على حسب خصوصه . ولا تجرى له الأمور العامة الكلية .

وقال ــ رضى الله عنه ــ فى صدر كتابه : « رسالة المعاونة » : ربما قال قائل : إن فى الكتب غنية فى هذا الزمان ؛ فهو إن أصاب فى قوله : إن فى الكتب غنية وكفاية ، فقد أخطأ فى قوله : لا فائدة للتصنيف فى هذا الزمان ؛ لأن للقلوب ميلا بحكم الجبلة إلى كل جديد .

وأيضا فإن الله سبحانه ينطق علماء كل زمان ؛ بما يوافق أهله . والتصانيف تبلغ الأماكن البعيدة ، وتبقى بعد موت العالم ؛ فيحصل بذلك فضل نشر العلم ، ويكتب معلما داعيا إلى الله فى قبره . انتهى .

وقد قيل للسيد الجليل : عمر بن عبد الرحمن العطاس : كثرت المصنفات فى هذا الزمان . فقال رضى الله عنه ــ هل يضر الصائح وراء الصائح ، يعنى النذير وراء النذير ؟ أقول : ومؤلفاته ــ رضى الله عنه : كتاب النصائح الدينية ، والوصايا الإيمانية . وكتاب الدعوة التامة ، والتذكرة العامة . وكتاب سبيل الأذكار والاعتبار ، فيما يمر بالإنسان وينقضى له من الأعمار . وكتاب إتحاف السائل . وكتاب الفصول العلمية ، والأصول الحكمية . وكتاب رسالة المعاونة والمظاهرة والموازرة الراغبين من المؤمنين فى سلوك طريق الآخرة . وكتاب

رسالة المريد المخصوص من ربه الحميد المجيد بالتأييد والتسديد . وكتاب رسالة المذاكرة . وكتاب المجموع : جامع المكتبات والوصايا والكلمات ، والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمراشد ، أربعة أقسام ؛ كل قسم منها على حدته ، لمن شاء أن يفرده . وآخرها الديوان المسمى بالدر المنظوم لذوى العقول والفهوم .

أما كتاب النصائح ، فقد ألفه — رضى الله عنه — سنة تسع وسبعين . إلى باب الحج . ثم أكمله بعد حجه بتريم — حرسها الله . قال — نفع الله به — : كنا قد ألفنا صدرا من كتاب النصائح الدينية ، فاستصحبناه معنا ، ونيتنا إكماله فى السفر . فما تفرغنا لذلك ؛ لكثرة ازدحام الناس علينا ، وترددهم إلينا ، من أهل الحرمين . وغيرهم من أهل البلدان التى مررنا عليها فى سفرنا ؛ حتى إنه لم يكن يتخلف عنا إذا وصلنا إلى بلد إلا من لا يذكر ولا يؤبه له . وكنا قصدنا قراءة ما حصل من تصنيف هذا الكتاب ، فى مواجهة النبى ﷺ ، فعقدنا لذلك مجلسا كل يوم . وكان قد أصحبنا بعض الموسرين قطعة كبيرة من العنبر ، للحضرة الشريفة ؛ فاقتضى نظرنا أن نبخر به فى المواجهة ، حال القراءة . فبخرنا بذلك مدة إقامتنا مع شىء من العود ، كان معنا .

وسمعته — رضى الله عنه — يقول : قال لنا بعض علماء الحرمين — لما وقف على كتابنا النصائح — : هذا الكتاب عين الإحياء ، فقلنا له : الأمر كما رأيت .

وقال السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل : حججت سنة من السنين ؛ وحج تلك السنة مفتى الشام ، والذى إليه الرجوع فى جهته ، فيخرج أهل مكة فى عراضه ، واجتمع الناس إليه بالحرم الشريف ، فجئت إليه فى جملتهم ، فأول

شيء سمعته منه أنه قال : ما على وجه الأرض اليـــوم أعلم من السيد عبد الله الحداد . وله كتاب النصائح عظيم القدر ؛ وما من طالب علم فى جهتنا إلا وقد حصل له منه نسخة .

وسمعت سيدى وشيخى السيد الإمام أحمد بن زين الحبشى ، يقـول : إن كتاب النصائح الدينية لا مثل له ، ولا أنفع منه للخاص والعام ؛ وكم قد نفع الله به الأنام ، وأحسب أنى قـــد قرأته وقرئ علىّ وسمعته على سيدى نحوا من مائة مرة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : استملى منا أول كتاب النصائح إلى باب الحج ، السيد الحسن بن علوى الجفرى باعلوى ، ومن الكلام فى زيارة رسول الله ﷺ إلى آخر الكتاب بإملاء السيد المجذوب العيدروس بن عمر فقيه ابن الشيخ على ابن أبى بكر باعلوى ـ رحمهم الله ـ .

وأما كتاب الدعوة التامة ، والتذكرة العامة ؛ فهو عظيم الشأن ، جليل المقدار ، لم يؤلف مثله ، ولم ينسج على منواله ، فى نحو مائة ورقة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ فى خطبته : أما بعد ، فهذا مؤلف ـ إن شاء الله ـ مبارك ، ومجموع جمعناه ، بعون الله تعالى ، ذكرنا فيه نبذا وأطرافا ، من النصائح والوصايا ، والآداب العلمية والعملية ، التى يتعين ، ويتأكد الأخذ بها ، والاتصاف بحقائقها ومعانيها ؛ وقصدنا بذلك النصيحة والوصية ، والتأديب لأنفسنا ، ولإخواننا فى الدين ، من المؤمنين والمسلمين ، وفقنا الله وإياهم لمرضاته ، وجعلنا وإياهم ممن يخشاه ويتقيه حق تقـــاته ، ويشكره ويذكره ذكرا كثيراً ، ويسبحه بكرة وأصيلا . والأعمال بالنيات . ولكل امرئ ما نوى والمرء حيث قصده ، لا حيث جسمه ، وكلٌّ يعمل على شاكلته ؛ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا . وكان الفراغ

من تأليفه ، بعون الله وتيسيره ، بكرة يوم الجمعة الثامن ، أو السابع والعشرين من شهر المحرم ، أول شهور سنة أربع عشرة ومائة وألف من هجرته ﷺ .

قال ـ رضى الله عنه ـ استملى منى معظم هذا الكتاب ولدنا الحسين ؛ وأما كتاب سبيل الأذكار والاعتبار ، فيما يمر بالإنسان ، وينقضى له من الأعمار ؛ فهو كتاب عجيب ، وأسلوب غريب ؛ قل أن يصنف مثله كتصنيفه ما قبله . ألفه سنة سبع وستين .

قال ـ رضى الله عنه ـ فى خطبته : أما بعد ، فهذا مؤلف مبارك ، ألفناه لقصد التذكير والاعتبار ، بما يمر بالإنسان من الأعمار ، ويجول به من الأحوال ، ويختلف عليه من الأطوار ؛ من حين كونه ينقل من صلب إلى رحم ، إلى أن يستقر فى إحدى الدارين ، من الجنة والنار .

وقال ـ رضى الله عنه ـ قد خطر لنا وضع هذا التأليف من مدة ، ثم خطر لنا تأخيره إلى أن تمضى الثالثة والستون من العمر التى هى مدة عمر النبى ﷺ على الصحيح ـ مما ورد فى ذلك . وقيل: ستون سنة ، وقيل : خمس وستون . وقد مضت هذه المدة من السنين ، وهى الآن فى السابعة والستين ، وقد مضت منها أشهر ؛ نسأل الله تعالى خير ذلك وبركته ، وحسن ختامه ؛ ونعوذ بالله من شره وفتنته ، وسوء عواقبه ؛ فإنه خير مسئول ، وأكرم مأمول ، ونسأله سبحانه ، ونبتهل إليه أن يحيينا ما كانت الحياة خيراً لنا ، ويتوفانا إذا كانت الوفاة خيراً لنا . اللهم لاتقدمنا لعذاب ولا تؤخرنا لفتنة . اللهم إنا نسألك خير الحياة وخير الوفاة ، وخير ما بين ذلك ؛ أحينا حياة السعداء ، حياة من تحب بقاءه ، وتوفنا وفاة الشهداء ، وفاة من تحب لقاءه ، واختم لنا بالحسنى والإحسان ، فى لطف وعافية ؛ وأحبابنا ومحبينا ، وأوليائنا فيك من المسلمين . يا أرحم الراحمين .

قال ـ رضى الله عنه ـ: كان سنة إحدى عشرة ومائة وألف. وكان المستملى له أولادنا مفرقا. وأما كتاب إتحاف السائل، بأجوبة المسائل ؛ التى سأل عنها الشيخ العلامة عبد الرحمن باعباد الشبامى . فأجاب عنهــا بأبدع جواب وعجب عجاب. قال ـ رضى الله عنه ـ : أما بعد فقد طلب منى الشيخ الذكى ، ذو الفهم الزكى ، عبد الرحمن بن عبد الله عباد ، جوابا على عــدة مسائل أثبتها فى ورقة ودخل بها إلىّ ؛ وذلك بمدينة شبام ، عند صدورى من زيارة الشيخ الكبير ، العارف بالله : سعيد بن عيسى العمودى . ومن تلك النواحى من عبـــاد الله الصالحين ؛ الأحياء منهم والميتين، فوعدته بالجواب لما رأيت عليه من لوائح الرغبة فى معرفة الحق ، وشممت منه روائح الصدق ، وقد حان حين إنجاز الوعد ، بحول الله وقوته ، وإكرام وفد أسئلته اللائقة ، بقِرا الأجوبة الرائقة ؛ وأرى أن أورد مقدمة بين يدى الكلام على المسائل ، يكون فيها تبصرة وإيناس للسائل ، ولمن نحا نحوه من الألبَّا الأكيـــاس ؛ فأقول مستعينا بالله ، ومتوكلا على الله ، ومفوضا إلى الله ، وسائلا منه أن يهدينى لما هو الحق عنده ، إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور .

ثم قال ـ رضى الله عنه ـ فى آخر هذا الكتاب: وهذا آخر ما قصدنا من إيراده، من جواب أسئلتك ، وقد تضمن مع وجازته ما لا مزيد عليه من البيان ، وإيضاحا لمن يفهم ، ويكتفى بالإشارة عن بسط العبارة ، وخير الكلام ما قل ودل .

قلت : وقــد قرأت ـ بحمد الله ـ هذا الكتاب ، والذى ذكر قبله على سيدى المصنف ، وكذا رسالة المعاونة ، والديوان المنظوم ؛ اللذين ذكرهما .

ولمــا بلغت فى قراءتى لهذا الكتاب إلى الخاتمة التى هى شرح قصيدة الشيخ

أبى بكر العيدروس ، تعجب سيدى غاية التعجب وقال : ما نظن الآن أن هذا الكلام خرج منا ، ولا نحسب أننا اليوم نقدر على مثله . ثم قال : انظروا تاريخ تأليفه ، فوجدنا وضعه سنة اثنتين وسبعين وألف ، وسنه ـ رضى الله عنه ـ حال وضعه نحو الثمانى والعشرين سنة ، فأخبرته فقال : سبحان الله ! كيف لو كان الإنسان يترقى من ذلك الحين إلى اليوم ؛ لكان يكون مثلا مثل الشيخ عبد القادر ؛ لأن من بلغ مقاما يرتقى إليه ، بل يرتقى فيه . فافهم .

وقال سيدنا وشيخنا عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ فى آخر هذا الكتاب : ثم إنى أعترف عن علم ويقين لا عن ظن وتخمين ، بإفلاسى وخلوى عن حقائق أهل الله ، وعن مواجيدهم وطرائقهم الحميدة . ثم أعرف من نفسى حبهم والموالاة لهم ، والميل إلى التشبه بهم ، والتكثير لسوادهم ، مع حسن الظن ، والتصديق بكل ما فتح الله عليهم به ، من المكاشفات والمشاهدات . وأرجو من الله أن يلحقنى بهم ، ويجعل لى بفضله نصيبا مما خصهم به ، من معرفته ومحبته . وقد ورد : المرء مع من أحب ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم ، ومن كثّر سواد قوم فهو مثلهم ؛ ومع ذلك فقد اندرست طريق هذه الطائفة الصوفية ، وعفت رسومها ، وانطمست معالمها . وعز وجود الصادقين فيها ، بل عز وجود من يطلبها بصدق . وصار الكلام فيها معدودا عند الناس ، من البلاغة والفصاحة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ وما أحسن قول الشيخ أبى مدين ـ رضى الله عنه ـ فى قصيدته التى أولها :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا ‏ ‏ ‏ هم السلاطين والسادات والأمرا

مشيرا إلى جملة ما ذكرناه ، فى شأن الاعتذار والاعتراف ، والإخبار باندراس الطريق :

وا لم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
متى أراهم وأنّى لى برؤيتهم أو تسمع الأذن منى عنهمُ خبرا
من لى وأنى لمثلى أن يزاحمهم على مواردَ لم آلف بها كدرا
أحبهم وأواليهم وأوثرهم بمهجتى وخصوصا منهمُ نفرا
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدى التصوف من أخلاقهم طرفا حسن التآلف منهم راقنى نظرا
هم أهل ودى وأحبابى الذين همُ ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لا زال شملى بهم فى الله مجتمعا وذنبنا فيه مغفوراً ومغتفرا

تم الكتاب المسمى : « إتحاف السائل بجواب المسائل » جعله الله خالصا لوجهه ، ومقربا إلى رحمته ورضوانه، وغفر لنا كل ما وقع فيه ؛ مما يخالف الحق، ويميل إلى الباطل ، ويوافق الهوى ، أو داخلنا من رياء أو تصنع إلى الخلق ؛ وغفر لمن كان السبب فى تأليفه ، وقارئه وكاتبه ومستكتبه وسامعه ولوالدينا وأحبابنا ، وجميع المسلمين . والحمد لله .

اللهم ما بنا من نعمة ، فى بواطننا وظواهرنا . وديننا ودنيانا ، فإنا نعلم ونوقن أنها منك وحدك لا شريك لك ؛ فلك الحمد ، ولك الشكر ؛ عائذين بوجهك الكريم ، من سلب النعم ، وجلب النقم ، سائلين من فضلك أن تعاملنا بمقتضى الجود والكرم ، وإن لم نكن أهلا لذلك ، فأنت أهله . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان المستملى لهذا الكتاب السيد العارف بالله : على بن عمر بن حسين .
وأما كتاب الفصول العلمية ، والأصول الحكمية ؛ فهو كتاب ، غاية فى الملاحة والحسن ؛ لم يوجد له نظير متضمن جملا من العلوم ، وكليات فيما يحتاج إليه الخصوص والعموم ، من طبقات الناس ، حجمه قريب من الذين قبله .

قال ـ رضى الله عنه ـ : فى صدر هـــذا الكتاب : هذه فصول علمية ، قيدناها . وأصول حكمية ، نبهنا عليها ؛ ممـــا قد يسنح فى الخاطر عند المذاكرة والتذكار ، والنظرة والاعتبار ؛ كثيراً ما تدعو الحاجة إليها ، ويقع التعويل عليها ، من كل عالم ناسك ، ومريد سالك ؛ ولم نرتبها على مثل ترتيب الكتب المؤلفة ، فى رعاية المناسبة بين فصولها ، وجعل بعضها كالمقدمة لبعض ، والمتمم لما قبله . وذلك لما ذكرناه ؛ من كونها تسنح فى الخاطر ، أوقات المذاكرة والتذكير وذلك يكون فى أمور شتى ، وفى أحيان قد يتباعد بعضها من بعض ؛ فلذلك ترى الفصول هذه ، كأن كل فصل منها مستقل بنفسه ، ليس له ارتباط ظاهر بما قبله ، ولا بما بعده ؛ هذا هو الأكثر منها والمعظم . فإن اتفق خلافه ، فيكون قليلا منها ، لأمر اقتضاه .

وقد اشتملت هـــذه الفصول على أمور كلية ، وحكم جميلة ؛ بحيث لو أراد العالم ، المستمع فى العلوم ، أن يجعل كل فصل منها تأليفاً مستقلا يجزىء فيه كليّه ويفصل فيه مجمله لأمكنه ذلك ، وتيسر عليه ؛ كما يعرف ذلك من وقف عليه ، من أهل العلم والبصائر ، وأرباب القلوب والسرائر الذين آتاهم الله الحكمة . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، وما يذكّر إلا أولو الألباب .

وكنا عند ابتدائنا فى تقييد هذه الفصول ؛ قصـــدنا أن لا نظهرها حتى تتم أربعين فصلا . فطال العهد بذلك ولم تبلغ هذا العدد ، والتمس منا بعض الإخوان الصادقين ممن وصل إليه العلم بتقييدها أن نمكنه من كتابتها ، والنظر فيها . فدعانا ذلك إلى إظهارها ، رغبة فى النفع والانتفاع . والأعمال بالنيات . ولكل امرىء ما نوى . انتهى .

والمشار إليه بقوله : بعض الإخوان الصادقين سيدنا وشيخنا أحمد بن زين الحبشي ، كما شافهني بذلك مراراً .

وقد سمعت سيدنا الحبيب عبد الله ، قبل أن يستكمل الكتاب لما قال له بعض السادة : إنكم وعدتم بإتمام الفصول الأربعين . هل أتممتموها ؟ فقال له : يا هذا لا تضع الملح على الجرح . لمن توضع التصانيف اليوم ؟ أين الناس ؟ امتقع وجهه ، وبقى يتكلم بكلام شبه هذا ، ما حفظته . ثم فى سنة ثلاثين ومائة وألف ، قبل وفاته — رضى الله عنه — بنحو سنتين أكمل الكتاب المذكور من فصل الاستقامة .

وكان المستملى لأول الفصول السيد عيدروس بن عمر المقدم ذكره ، والمستملى آخرها ابنه السيد الجليل علوى .

وأما كتاب رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة ، للراغبين من المؤمنين ، فى سلوك طريق الآخرة — وحجمه قريب مما قبله — ألفه — رضى الله عنه — سنة تسع وستين وألف ، وسنه — إذ ذاك — ست وعشرون سنة ، فى السنة التى ولد فيها ، سيدى العارف بالله تعالى أحمد بن زين الحبشى ، والسائل لتصنيفها السيد الجليل أحمد بن هاشم الحبشى .

قال — رضى الله عنه — : استملى منا هذه الرسالة . أولها محمد بن عتيق وآخرها السيد محمد الباقر باحسن . وكذلك استملى رسالة المريد ، وكان المستملى لرسالة المذاكرة على بن عمر . وكان تأليفها سنة سبع وستين وألف ، كرسالة المعاونة .

وأما كتاب المجموع ، فهو أربعة أقسام : القسم الأول : المكاتبات . القسم الثانى : الوصايا . القسم الثالث : الحكم . القسم الرابع : الدر المنظوم .

قال سيدنا ومولانا عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ : كلامنا المنثور ـ يعنى الحكم ـ أوسع الأقسام من المنظوم والمكاتبات والوصايا . ولو جمع المنثور كله لاستغرق عدة مجلدات ، ولكننا لم نكتب منه إلا القليل . وقد نظمنا كثيراً من القصائد ، فى حين الابتداء ، ومحرناه . وكثير من المكاتبات ، أيضاً كذلك ، قد فاتت قبل الشروع فى جمعها وكتبها ؛ لأنا لم نجمع هذه الأقسام إلا بإشارة ، حصلت لنا . وهى أنا رأينا كأننا واقفون على ماء نغترف منه ، والناس مزدحمون علينا . وكأن قائلا يقول : حقيق لهذا الشىء أن يكتب بماء الذهب .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لو أنا شرحنا بعض رسائلنا ـ يعنى المكاتبات ـ لبلغ ذلك كراريس ؛ لأن أكثرها حقائق ، وحكم وأسرار . وقد قيل : إن أسرار أهل هذا الشأن فى مكاتباتهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : اقتصرت فى هذه المدونة ـ من جملة ما فتح الله به ـ على المكاتبات التى كتبناها إلى الإخوان ، والكلمات المنثورة ، والوصايا والقصائد المنظومة ، فهى أربعة أقسام .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الحكم المنثورة التى لنا مليحة جامعة ، غير أنها قليل على قدر الزمان ، ولو أنا نثبت كل ما حضر فى الذهن من ذلك ، لكان ذلك أوسع الأقسام الأربعة . انتهى . شعر قلته :

تصانيفه قد حوت كل فن	فكانت بدوراً لنا سافره
نجوم بها يهتدى الحاضرون	وسبل الرشاد بها ظاهره
فكم أرشدت جاهلا للهوى	يميل ونفس له قاهره
وقد كان مما كان منذ زمان	طريق الرجال غدت داثره

وقـــد درست فيه أعلامها فصارت بهـــا بعد ذا عامره
ويستأنس السالكون بهـــا بمرأى عجائبهـــا الباهره

(تتمـــة)

فى ذكر فوائد — إن شاء الله — تتعلق بكلام الدر المنظوم لذوى العقول والفهوم ، وتعداد القصائد إجمالا ، وما كان له منهـــا ، من سبب ووقت ، وغير ذلك ، مما بلغ إلى العلم به . وإن كان ذلك هو البحر الذى لا ينزف ، والممتنع الذى لا يعرف .

قد جمع فيه — رضى الله عنه — من الحكم واللطائف ، والأسرار والمعارف ، والتحف والطرائف ، والحقائق والدقائق والرقائق ، بالرمز والتلويح ، والتوضيح والتصريح .

وكم ضمنه من علوم التوحيد والتفريد ، والتقديس والتنزيه ، ومن علوم الإسلام والإيمان ، واليقين والإحسان ، بالإشارة والعبارة والتبيين . قد تقلد فيه سيوف البيان والفصاحة ، وتدرع جلباب الإيضاح والبلاغة . أقعد من قبله من الفصحاء ، وأعجز من بعده من البلغاء ، وكم أودع فيـــه من الجواهر العلية ، واليواقيت السنية .

وقد سمعت عنه — رضى الله عنه — أنه قال : إن فى كلامنا المنظوم علوما لا توجد فى غيره من الكتب . ومن كان عنده كفاه ، بلفظه أو بمعناه . وعدة القصائد المنظومة مائة وخمسون قصيدة . ولم أعدّ من جملة ذلك ، ما دون السبعة الأبيات . فافهم .

ثم إن قصيدته التى كتب بهـــا إلى الشيخ الجليل حسين بن محمد بن محمد

بأفضل المسكى التى أولها : باسم الإله به بدأنا ، المثبتة فى المكاتبات ، ليست فى ديوانه ، فاعلم .

وكذلك قصيدته التى أجاب بها سيدنا أحمد بن زين الحبشى ، وفقيره عمر باحميد السيونى . التى أولها: يا صاحبىّ وكنتما أنصارا الخ ، قد لا تثبت فى بعض النسخ من الديوان ، وإن كانت مثبتة فى أكثرها ، نبهت على ذلك ؛ لئلا تقع بعض النسخ التى لم تثبت فيها ، فى يد بعض الناس ، ولا يدرى بها . وقد ذكرتها فى الفوائد ، التى تتعلق بالديوان الآتية ، فانظرها .

ولا يخفى ما فى نظامه من حصول النفع الخاص والعام ، وكثرة الجدوى له عند سائر الأنام ، وعظم التأثير له فى القلوب ، وحصول الاتعاظ والتذكر ، حتى إنه قد يسمعه الجافى الغليظ ، فتحصل له الرقة ، ويسمعه الجافى المريض ، فتقع له التوبة ، والرجوع إلى رب العالمين إلى ما وراء ذلك والإشارات لأهل العلوم والفهوم ، كل بحسب شربه وذوقه ومشروبه .

ولقد كنت حال قراءتى عليه — نفع الله به — فى ديوانه المذكور ، استعرت من بعض ذويه كتاباً أطالعه فسأل — رضى الله عنه — عن ذلك الكتاب فقيل له : إنه عند فلان — يعنينى — فقال : من عنده الديوان لا يحتاج معه إلى غيره ، لأنا قد ضمّناه من الأسرار والحكم ما لا يحصى ، أو قريباً من هذا اللفظ بمعناه . وقد تكرر منه القول: إن من مات وهو يحفظ شيئاً من نظمه ، يأتيه أهل البرزخ يستنشدونه كلامنا ؛ لمعرفتهم بما هنالك من مخبآت الأسرار ، وودائع الحكم والأنوار ، كما يأتى ذكر شىء من ذلك فى الفوائد فى هذه الخاتمة .

وقد استوعب نظامه — نفع الله به — جميع أبحر الشعر الخمسة عشر ، أو السبعة عشر — على ما ذكر علماء ذلك الفن — أعنى علم العروض ، وغير ذلك مما لم يذكروه

من البحور بالنسبة لما أحدث كما يعرف ذلك من نظر فيه ، وقد تنزه شعره عن جميع عيوب الشعر العروضية كالإيطاء والإقواء ، وغير ذلك مما يعلمه أهل ذلك الفن ؛ قد أيد الله لسانه وسدد بنيانه وشيد أركانه ، ورفع شأنه ـ رضى الله عنه .

وبالجملة : فكلامه ـ رضى الله عنه ـ السهل الممتنع ، القريب المرتفع .

خاتمة هذا الباب

(فائدة)

قال ـ رضى الله عنه ـ فى قصيدته (أقوم بفرض العامرية والنفل) مرادنا بالعامرية هنا النفس ولا يعرف مراد المتغزل إلا هو وبيت هذه القصيدة : وأحمل نفسى ما استطعت على اقتفا سبيلهم إلخ .

(فائدة)

قال ـ نفع الله به ـ فى التى تلى هذه التى أولها : فيم الركون إلى دار حقيقتها : إن فى هذه القصيدة كلمات على خلاف الإعراب ؛ فأردنا إعرابها فلم يوافق لوزن الشعر ؛ وإذا حصل التكلف فى الشعر ذهب النور .

وقد نظمت بعض قصائدنا قبل أن نقرأ فى النحو ، ولم نعربها بعد قراءتنا . وقلنا : ما قد مضى على الإخلاص لا يغير . وقد طلب منا بعض الإخوان ، فى أن يعرب ما ليس بمعرب ؛ فمنعناه من ذلك .

(فائدة)

قال ـ رضى الله عنه ـ فى القصيدة التى أولها :

إن كان هذا الذى أكابده   يبقى علىّ فلست أصطبر

إن بعض الناس طلب منا أن نشرح له هذه القصيدة . فقلت له : لا ينبغى أن نشرح هذه القصيدة ؛ لأن فيها أموراً كشفية .

وسمعت سيدى العارف بالله : أحمد بن زين الحبشى يقول : الذى يقع لى أن سبب إنشاء هــذه القصيدة ما أخبرنى سيدنا الناظم ـ رضى الله عنه ـ قال : وقعت لى مسائل أظنها ثلاثاً ، فلم يجبنى عنها أحد بتريم . فرأيت الشيخ حسن باشعيب ، تلميذ الشيخ أبى بكر بن سالم فى مسجد آل باعلوى ، خارجاً من مقالده فوقفته لأسأله عنها ، وهو كالمتضجر فأجابنى عن الأولى والثانية . ثم قال لى فى الثالثة : إنما يجيبك فيهــا السقاف ؛ فوقع فى خاطرى أن المراد بالسقاف السيد محمد بن علوى السقاف ، صاحب مكة . فكتبت بهــا إليه ـ نفع الله به ـ فأجابنى فيها .

(فائدة)

كان السيد العارف محمد بن عبد الرحمن مديحج باعلوى ، إذا أنشد بين يديه قصيدة سيدى الوصية البائية التى أولها : وصيتى لك يا ذا الفضل والأدب ؛ يجب بها كثيراً ، ويستعيدها من المنشد . ويقول : أمتع الله بهذا السيد ـ يعنى سيدنا الناظم ـ وقد شرح هذه القصيدة سيــدنا ومولانا السيد أحمد بن زين الحبشى ، شرحاً بديعاً أتى فيه بالعجيب فى نحو مائة وخمسين ورقة ، سماه سيدنا الناظم : « الموارد الهنية بشرح الأبيات فى الوصية » .

أخبرنى بعض المنورين . قال : رأيت كأن هذه القصيدة بحر من نور؛ وكأن هذه الأبيات منها : (يا رب إنك مقصودى ومعتمدى) إلى آخرها ، مثل السرير فى ذلك البحر .

وأخبرنى أيضاً قال : رأيت كأنى أكررها مراراً ؛ فلما بلغت قوله : تقوى الإله الذى ترجى مراحمه ، إذا أنا بشىء ينزل على قلبى كالمطر شبه اللؤلؤ . ولما بلغت قوله : ونزه الصدر من غش ومن حسد ، كررته ؛ فأحسست بشىء يخرج من صدرى يشبه السحاب ، بعد أن حصلت على رحمة فى صدرى تشبه الضيق الشديد ؛ فلما خرج ذلك حصل معى انشراح وانفساح ، ضد ما كان من الضيق والحرج .

(فائدة)

قال ـ رضى الله عنه ـ : كان إنشاء هذه القصيدة المباركة التى أولها :

يا آخذاً منى بأذيالى فى بكرى أيضاً وآصالى

ليلة الجمعة رابع عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٠٧١ . واتفق لبعض المحبين رؤيا فى تلك الليلة، تدل على إنشائها. وأخبر الرائى قبل أن يطلع هو أو آخر من الخلق على القصيدة ؛ أن المشار إليه فيها بالعداوة هو الشيطان ، وأعوانه من الجن والإنس . وكان إملاؤها بالسبير من وادى دوان، والمستملى لها منا المحب أحمد ابن عبد الهادى باقشير .

(فائدة)

قال ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ، ولا حرمنا ببركته فى عافية ـ آمين ، قصيدتنا :

يا رب يا عالم الحـــال إليك وجهت الآمال

فامنن علينا بالإقبال وقربنا وأصلح الحال

من أعظم ما نظمناه ؛ لأن فى كل بيت منها إقامة التوحيد ، وكل بيت منها أربع كلمات ؛ ولو أن مذهبنا مراعاة الأسباب لأوصينا بدفنها ، كما فعل بذلك الإمام اليافعى ـ رحمه الله وغيره ؛ ولـكن مذهبنا لقاء الله بالافتقار المحض ، وقد كان رجل من المتلقين بنا يشبه أويس القرنى من أهل بلدة مريمة ، وحسبت أنه يغفل ، أن هـــذا الرجل كان مقعداً . قال : فلما جئنا مريمة فى بعض الزيارات قصدناه ، وهو فى منزل فقام يسعى إلينا وهو يقول : (قد استغنتك ربى) البيت إلى آخره وجعلنا هذا قلب القصيدة ، فلت قبله عشرة أبيات ، وبعده عشرة أبيات .

وكان ـ نفع الله به ـ إذا كان فى حضرة الذكر الجهرى ، إذا أنشد الحادى هذه القصيدة وبلغ هذا البيت ، قام سيــدى وقام معه من يحضره ، حتى تكمل القصيدة وهو قائم ؛ كأنه أشار إلى قيام الرجل المقعد ، وإنشاده هذا البيت قبل إنشاده القصيدة . والله أعلم ، وأستغفر الله .

قال ـ نفع الله به ـ وإنما سميناها بالنفحة العنبرية ، فى الساعة السحرية ؛ لإشارة حصلت بسبب أمر قصـدناه ، وحصل لنا وقت السحر فأنشأنا أولها عند ذلك ، وأتممناها بعد . وقال : إن السلطان بدر بن عمر ـ لما جاء إلى تريم ـ التمس منا الاجتماع بنا مرات ، فلم نمـكنه من ذلك ؛ غير أنا أرسلنا له قصيدتنا هذه . وقلنا له : تـكفيك .

وكان السيد الولى عبد الله بن عمر خرد ، يحب هـــذه القصيدة . وربما تمثل بشىء منها .

وأخبرني بعض الصالحين المنورين ، الملازمين له من أوائل أمره . قال : خرجنا معه النبرة الكائنة بوادي دمون على قصد النزهة ، فأملى علينا هذه القصيدة وهو راكب على فرسه ـ نفع الله به .

(فائدة)

كان السيد الإمام العارف عمر بن عبد الرحمن العطاس يحب القصيدة الوصية التي أولها : إذا شئت أن تحيا سعيداً مدى العمر ؛ ويعجب بها كثيراً . وربما استعادها من منشدها .

وقد قال سيدنا الناظم لبعضهم : إذا وصلت إلى قبر السيد عمر فاقرأها عنده فإنه يحبها .

وأخبرني بعض الثقات عن بعضهم . قال : أنشدتها عند قبره ؛ فسمعت من داخله حركة قوية ، واستمررت وبقيت في الإنشاد ، وأنا مطرق إلى أن أكملتها فإذا أنا برغيف حار من خمير الذرة ، قد رمى إليّ ، وأحسب أنه من قبره ـ رضي الله عنه ، وعن سائر الصالحين .

(فائدة)

قال سيدنا الناظم ـ قدس الله سره ، ونفعنا به ـ : نظمنا هذه القصيدة :

قد كفاني علم ربي ‏ ‏ ‏ من سؤالي واختياري

في جلب حاجة ، فقضيت على أحسن الوجوه .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : ما واظب صادق على قراءة هذه القصيدة والقصيدة التي أولها :

ما في الوجود ولا في الكون من أحد ‏ ‏ ‏ إلا فقير لفضل الواحد الأحد

عند وقوعه في شدة إلا ويدركه الله بإغاثة .

وحدثنى بعض السادة ، قال : كنت مرة عند سيدى فخطر لى أن أطلب منه أن يوصينى بدعاء أدعو به عند الشدائد والكرب ؛ فحال ما خطر ذلك لى . قال ـ نفع الله به ـ : إن بعض الناس طلب منا أن نوصيه بدعاء يدعو به عند الشدائد وإنا قد أوصيناه بقراءة قصيدتنا :

قد كفانى علم ربى من سؤالى واختيارى إلخ

وقد سبق ما نقلناه فى فصل حجه ، فى الباب الأول : إن إكرام الشيخ حسين بافضل التام لسيدى عندما جاء إلى مكة سببه أنه سمع هـذه القصيدة له ؛ وأنشدت عند الشيخ الفاضل العارف الكامل الحلى ، صاحب الحديدة ، وكان عالماً عارفاً صوفياً ، يذكر عنه كرامات لله ، وللناس فيه اعتقاد حسن فقال سيدنا عبد الله الحداد صاحب الوقت ، وكلامه دال عليه .

(فائدة)

القصيدة الوصية النونية ، شرحها شرحاً عجيباً كفاية لسالك طريق الآخرة ، فى نحو خمسين ورقة ، سماه سيدنا الناظم : سبيل الرشد والهداية فى الأبيات المنظومة فى وصية أهل البداية ؛ ولما وصل فى شرحه إلى أبيات الدعاء آخره ، أرسل به لسيدنا الناظم ، فاستحسنه واستجاده وأكمل الشرح هو ـ نفع الله به ـ إلى آخره غير أنه لم يشرح بيتها الأخير ، فى الصلاة على النبى ﷺ ؛ لكونه حدث بعد شرحها بمدة . فافهم .

(فائدة)

القصيـــــدة التى أولها : الزم باب ربك واترك كل دون . كم نفع الله بها الخلائق خصوصاً وعموماً ، نفعاً مبيناً . وكم تلقاها الأواخر عن الأوائل ، كتابة وتلقيناً . وكم رأيت سيدى أحمد يميل إليها ، ويشير ويوصى بها ويحبها ويأمر بها .

(فائدة)

القصيدة التائية الكبرى التى مطلعها : بعثت لجيران العقيق . تجىء عدة أبياتها مائتين وخمسين بيتاً . قال سيدنا ومولانا الناظم ـ نفع الله به ـ : هذه القصيدة من أعلى ما نظمناه وأظهرناه ؛ لأن لنا قصائد لم نظهرها . وإن أقل شرح لها ـ لو شرحت ـ على كل بيت عشر ورقات ؛ لأن فيها أشياء من مقدمات علوم الكشف ، ولو رأينا لأهل الزمان رغبة فى الخير لشرحناها .

وقال ـ رضى الله عنه ـ إن السيد العلامة إسماعيل البيتى سألنا أن نأذن له أن يشرح هذه القصائد فأبينا وقلنا له : إن فيها علوماً غامضة ، أو نحو هذا . إن أردت فاشرح الرائية ؛ فإن فيها مناسك وسيراً ، وعلوماً ظاهرة .

وسمعت أن بعض العلماء الكبار سأل سيدنا أن يشرحها هو . قال سيدى : فقلنا له : انظرها وتأملها مراراً ؛ ففعل. ثم قال لنا : لم أقدر على شرحها ؛ قد ظهر لى فيها أربعة عشر علماً .

وسمعت سيدى ووالدى يروى عن السيد الفاضل شيخ بن حسن الجفرى باعلوى ، وهو يروى عن الشيخ الصوفى حسين بافضل المكى . قال : إن بعض علماء الحرمين المتفننين ، لما وقف عليها أو على غيرها ، زعم أنه رأى فيها فى موضع منها شيئاً معيباً ، فذاكر سيدنا الناظم فى ذلك . فقال له ـ رضى الله عنه ـ : أرنا هذا الموضع حتى أعنى فى طلبه ، فلم يره ولم يقع عليه أبداً . وكرر ذلك مراراً ، فلم يره ولم يقع عليه ، عرف أن ذلك من كرامات سيدى وتصرفه . وكان ذلك سبب تملقه وانطوائه .

وقيل لسيدى ـ رضى الله عنه ـ : قولكم فيها : ومنهم ومنهم ، فى تعداد مراتب الأولياء من الذى هو أثقل أمراً ، وأشد تعباً منهم فيما هو فيه ؟ فأنشد هذا البيت :

ومنهم رجال ظاهرون بأمره   لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة

(فائدة)

قال سيدنا الناظم : رأيت فيما يرى النائم ؛ كأنى أنشد شعراً :

عسى من بلانا بالبعاد يجود وعلّ ليبلات اللقاء تعود

واستيقظت وأنا أحفظه ؛ فذيلت عليه أبياتا ، وجعلتها قصيدة فريدة يقال : إن هذه التى أولها : ألا ليت شعرى والفؤاد به نار ؛ يشير بها إلى شيخه السيد العارف محمد بن علوى ، صاحب مكة ، بعد موته . ولعل من ذلك قوله : (رعى الله جيران الأباطح والصفا) وقوله :

قد منعتنى عن لقـــاهم موانع وقد قصرت بى دون ذلك أعذار

(فائـــدة)

قال مولانا الناظم ـ رضى الله عنه ـ : كان مرادنا أن نجعل عدة قصيدتنا الرائية الـكبرى التى أولها : لك الخير حدثنى بظابية عامر ؛ مائتى بيت فقط ، عدد بالجمل ، فلم يتفق لنا ذلك .

وسمعت أن السيد العارف الولى على بن عبد الله العيدروس ، صاحب سورت ، كان يحب هذه القصيدة ، ويميل إليهـــا ؛ خصوصا وأنه كان يميل ، ويعجب بكلام سيدنا على إطلاقه عموما .

(فائـــدة)

أخبرنى بعض الثقاة المنشدين قال : سمعت سيدى الناظم يقول : إن الرحمة تنزل عند إنشاد قصيدتنا : ما للفؤاد يفيض بالأكدار .

وقال بعضهم : حصل علىّ همّ ، فسمعت هذه القصيدة ، فزال عنى ما كنت أجده فى الحال .

(فائـــدة)

كان إنشاء هذه القصيدة الوسيلة بالوسيلة العظمى – ﷺ – : (يا رسول الله يا أهل الوفا) آخر جمادى الأول ، سنة اثنتين وتسعين وألف ١٠٩٢ وسقى الله العباد ، فى الشهر الذى أنشئت فيه سقيا عاما .

وكان – رضى الله عنه – إذا حصل القحط يرتب قراءتها ؛ بعد درسه كل ليلة ، إلى أن يحصل الفرج غالبا . وقد يرتب : يا رحمة الله زورى ، ويقول : إنا جربناها لحصول المطر أكثر والتى قبلها : يا رسول الله ، لحصول الرحمة الباطنة أكثر . وتاريخ الثانية سنة خمس عشرة ومائة وألف ١١١٥ .

(فائـــدة)

القصيدة التى أولها : تفيض عيونى بالدموع السواكب : كان – رضى الله عنه – قل أن يسمعها تنشد إلا ويغلبه البكاء .

وأخبرنى بعض المنشدين الصادقين . قال : أنشدت سيدى هذه القصيدة ، فبكى بكاء شديدا ، حتى بلت دموعه ثيابه ، واحمر وجهه احمرار شديدا : ثم أسفر وجهه كأنه قمر مشرق . وقال لى : احفظ من كلامنا ، فإنك إذا مت أتاك أهل البرزخ ، واستنشدوك كلامنا . فقال له رجل – كان حاضرا – ياسيدى هذا لكم خاصة أم لكل الأولياء ؟ فقال – رضى الله عنه – : لنا خاصة ، لأنا صرنا فى زمان ماشل بنا فيه راس ، ولا يعرف قدر كلامنا إلا أهل القبور .

(فائـــدة)

القصيدة التى أولها : أهلا وسهلا بالحبيب الواصل يحكى أن سيدنا الناظم ، يشير فيها إلى وصف القطب . وقـــد رأيت جوابا له على سؤال ، عن القطبية والقطب . قال فى آخره : وانظر قصيدتنا (أهلا وسهلا بالحبيب الواصل) .

(فائـــدة)

سمعت من سيدى الولى أحمد بن زين الحبشى ما لا يحصى . يقول : لا شىء أنفع لعامة الناس من قصيدة سيدى : أيها العبد لا تيأس من الله مولاك . وكم رأيته يمدحها ، ويوصى بها كثيراً .

(فائـــدة)

عدد أبيات القصيدة الميمية الكبرى زيادة على مائة بيت .

كان ـ رضى الله عنه ـ يقول : لو أنه شرحها عالم منصف خلى من الحسد وللنافسة ، ولا ينافس الإنسان إلا من يعرفه ومنا الخير فاته غافل عنـــه ؛ وهى مشتملة على جميع مناسك الحج ولا يخلو بعض أبياتها عن بعض بالنسبة إلى هذا البحر ؛ ولأنه لم يكن لنا فيه كثير نظام . ومن عادتنا إذا اطلعنا على ركة فى شىء من الأبيات ، بعد إثباته ، لا نتكاف إصلاحها . وربما فعلنا ذلك بالقصد . وفى هذه القصيدة أشياء لا توجد فى الرائية .

(فائـــدة)

قصيدته التى أولها : سلام على إخواننا والأحبة كانت جوابا على قصيدة ، وردت عليه من السيد أحمد بن عيدروس ، صاحب الوهط ؛ وهو إذ ذاك بزيلع أولها :

سلام عليكم يا أهل مودتى   سلام محب لايزال بـــلوعة

(فائـــدة)

القصيدة التى مطلعها : جزى الله خيرا سيدا وابن سيد ، هى التى امتدح بها السيد العلامة العارف بالله أحمد بن عمر الهندوان . وستأتى ـ إن شاء الله ـ فى ترجمته ؛ لمـا وقف على فهرست كتبه ، والقصيدة الأرجوزة التى أولها : أحسنت

يا وجيه دين الله ؛ كانت جـــوابا للسيد الوجيه عبد الرحمن بن على القصيدة أرجوزة ، ذكر فيها الإلباس ، وسند الخرقة ؛ وقـــد مرت كلها فى باب الإلباس ، والقصيدة التى أولها : حىّ ظبى الرمال والأطلال ، يمدح بها الشيخ الـكبير عبد الله بن أبى بكر العيدروس . والقصيدة التى أولها : يا ظبى عيديد ما فى الحسن لك ثانى ؛ يمتدح بها سيدنا الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى .

وقال الناظم ــ رضى الله عنه ــ : قد قلنا قصائد فى سيدنا الفقيه المقدم ، أى غير هذه لأجل أمور ؛ والقصيدة التى أولها : العبد قد بناه قلها لما بنى مسجده : مسجد الأوابين ؛ الشهير بنويدرة تريم ، سنة أربع ومائة وألف . وأرخه جماعة من أصحابه . ومنهم السيد عبد الرحمن بن عبد الله الحبشى ، وهو المشار إليه فى القصيدة بوجيه والتاريخ قوله ، نطلب به رضاه . والقصيدة التى أولها : لجيران لنا بالأبطحية ، شرحها سيدنا أحمد بن زين الحبشى شرحا لطيفا غاية فى الحسن والإشارة ، وسمـــاه سيدنا الناظم : الجذبات الشوقية ، فى المقاعد الصدقية ، وقد قرئ على سيدنا عبد الله واستجاده جداً . وكتب إلى سيدنا أحمد ، وذكر ثناءه على ذلك الشرح . وكان ذلك بقراءة السيد الشهاب : أحمد بن عيدروس ، صاحب الوهط باعلوى ، وسمعت سيدى أحمد يقول: أول مافتح الله علىّ بالعبارة فى علم الإشارة ، فى ذلك الشرح .

(فائـــــدة)

القصيدة التى أولها : يا أهل جيرتنا بالمربع الخضر يمتدح بها النبى ﷺ عدة أبياتها نحو سبعين بيتا ، والتى بعدها : يا وجيه الدين والـكرم كانت جوابا للسيد الوجيه عبد الرحمن بن على ، المقدم ذكره قريبا ، على قصيدة امتدحه بها .

(فائــــدة)

القصيدة التي أولها : مرت لنا بالحمى المأنوس أعياد . قالها ـ رضى الله عنه ـ يرثى بها أخاه السيد الجليل : الحامد بن علوى الحداد ، المتوفى بأرض الهند ، مع جماعة من أصحاب سيدنا الناظم ، توفوا بهـا ، فى أوقات متقاربة ، بعد طول الغربة بها ، والبُعد عن الأوطان .

(فائــــدة)

كان ـ رضى الله عنه ـ يقول : أربع قصائد نظمناها ، وقصدنا أن تكون عماد الديوان ، وهى التائية الكبرى، والرائية الكبرى ، والميمية الكبرى . وقد تقدم ذكر هذه الثلاث ، والعينية الكبرى التي مطلعهـا : ياسائلى عن عبرتى ومدامعى ؛ وكنا أردنا أن نجعل عدد أبيات كل واحدة منها بعدد الحرف الذى هو رويُّها التاء والراء والميم والعين ؛ فما اتفق لنا غير ما اتفق .

قلت : وقد شرح القصيدة العينية ، سيدنا العارف الأكمل : أحمد بن زين الحبشى شرحا ، لم يُسبق إلى مثله .

قال سيدنا ومولانا الولى : عبد الله الحداد ، فى كتاب الفصول العلمية : وقد شرح هذه القصيدة العينية العالم الصوفى ، من خواص أصحابنـا الشريف أحمد ابن زين الحبشى باعلوى ـ نفــع الله به ـ شرحا مبسوطا ؛ وذكر فيه شيئاً من مناقب المذكورين ، فى القصيدة المذكورة .

قلت : وقد سماه سيدنا الناظم : النفحات السرية ، والنفثات الأمرية ، شرح القصيدة العينية .

قال فى صدر هذا الشرح المذكور :

(أما بعد) فهذا شرح لطيف ، وتنبيه وجيز ، وتوسيع عدل وسط لقصيدة

سيدنا وبركتنا وشيخنا وإمامنا ، وكنزنا وذخرنا ومولانا وحبيبنا السيد الشريف العالم العلامة ، الزاهد الورع ، العابد التقى ، الكريم السخى ، الشيخ الإمام ، شيخ مشايخ الإسلام ، الولى الصدّيق ، العارف بالله وأحكامه وأيامه ، القطب الكبير ، والغوث الشهير ، العبد المحض : عبد الله بن علوى بن محمد الحداد باعلوى — نفع الله به — هى التى رويتها عين مخفوضة ، وهى من أحسن النظام الرائق البديع ، لمعانى الجمال العزيز الرفيع . ومن أبين الفائق المنيع ، لحركات السير المعنوى ، فى أوضح طريق ، عذبة الألفاظ ، جزلتها ، بديعة المعانى سهلتها ، قليلة النظير ، بديعة التحرير ، حلوة النظم والرسم ، بليغة الجمع ، عظيمة النفع ، قد تنزهت عن الإيطاء ، وهى تكرير لفظ القافية ، قبل سبعة أبيات ، وحفظت بالإيلاف عن الإكفا الذى هو اختلاف جزء الروى ، والإقواء الذى هو اختلافه بالحركات ، وغير ذلك من العيوب العروضية ، فى بديع معانيها ، وبيان ألفاظها ، ومن جميع الجهات ، قد جمع ناظمها بها وأزوى ، وسقى وأروى ، وشوق وحقق ، وبيّن ودقق ، وفهّم وذوق ، وحرر وقرر ، وأوضح وأفصح ، وأفلح وأبلح ، وأدخل وأخرج ، وزين وأبهج ، وأوجد وأشهد ، وأنور وأنجد ، أبان الدين بالدين عنوان الطريقة ، وكشف الدين عن عين أحوال الحقيقة ، وعُنى بتعيين أعيان من سادات الخليقة .

ولقد أشار علىّ سيدنا الناظم بشرحها ، من حين أظهرها وأبداها ، ثم حصل اجتماع خاص وخلوة اختصاصية به ، فى مسجده بالسبير . فأشار بذلك إشارة جازمة ، وأشار بالبسط فى المناقب ، والوصية الاختصار فى غيره . وكان الفراغ منه سنة أربع وعشرين ومائة وألف ١١٢٤ .

(فائـــدة)

لما بلغ سيدنا الناظم ـ رضى الله عنه ـ أن بعض السفلة والرعاع ، تكلم بكلام غير لائق فيما يتعلق به ، وخص فيه وعم إنشاء هذه القصيدة ، نسمات الحى وهنا إذ سرت التى يقول فيها : بهتونا بمقـــال سيئ كانت الأحرى به لو أبصرت .

(فائـــدة)

لما توفى السيد الصالح سليمان بن عبد الرحمن مساوى باعلوى ، رثاه سيدنا ـ رضى الله عنه ـ بقوله : حيا سليمانَ صوبُ العارض الهطل الخ . وكان السيد هذا زاهدا خاملا ، مؤثرا للتقشف البالغ .

وسمعت سيدى أحمد يقول : إن سيدى عبد الله يقول : إنه من الأبدال ، ووصفه فى القصيدة بقوله : (وليس من السر المصون خلى) .

وبلغنى أن بعض الناس رأى كأن ساقية ماء أحلى من الشهد ، تجرى من المدينة الشريفة ، إلى بـــلدة بور ، فقص الرؤيا ، على سيدنا الحبيب : عبد الله ، والسيد سليمان إذ ذاك حاضر ، فقال سيدى : هذا مدد أهل بور ، وانتفاعهم بالسيد أحمد بن هاشم الحبشى ، فعند ذلك قال السيد سليمان : أنا ظمآن وصاح . فقال له سيدى : قدك مسقى . فبعد سبعة أيام ، مات السيد سليمان ـ رحمه الله ، ونفع به ، وسائر عباده الصالحين ـ آمين .

(فائـــدة)

لما بلغه ـ نفع الله به ـ أن بعض الناس أوصى بوصايا محرمة ، وافتعل لها حيلا فاسدة ، نهى عن تنفيذها ، وأمر بإبطالها فأبطلت ، وأنشأ هذه القصيدة : ليس دين الله بالحيل .

(فائـــدة)

القصيدة التى أولها : (ذكر العهد والربا والمنازل) أشار فيها إلى السيد نور الدين علىّ بن عبد الله العيدروس ، صاحبه ، وأخيه فى الله . وذلك فى حياته . وستأتى فى ترجمته ، فى الخاتمة — إن شاء الله تعالى .

(فائـــدة)

امتدح سيدنا الناظم فقيره المنور : عمر باحميد السيونى بقصيدة : أولها :

غنى الحمام على الغصون جهارًا فرقصت من طرب وتهت نخارًا

بوجود من عم الوجود بجوده وأفاض من عين الحياة بحارًا

فقال له سيدنا : اعرضها على السيد الجليل أحمد بن زين الحبشى ، واطلب منه أن يجيزك عليها ببيتين . فطلب منه ، فأجازه بقوله :

أحسنت بالقول الذى قد نلته ولقد صدقت وما أتيت عثارا

فالله يرزقنـــا لحسن تأدب ويحسن الإعـلان والإسرارا

فلما وقف لمها سيدنا عبد الله أجاب سيدنا أحمد ، وعرض بذكر الآخر . فقال شعرا :

يا صاحبىّ وكنتما أنصـارا عونا على الحق المبين جهارا انتهى

(فائـــدة)

كان إنشاء هاتين القصيدتين : (نعم عالم الأرواح خـير من الجسم) الخ ، و (سرى البرق من نجـــد مهيج لى شجونى) الخ ، يوم الاثنين ، ثانى شهر ذى القعدة ، سنة خمس عشرة ، والثانية يشير بها إلى السيد الفاضل : أحمد بن هاشم وسيأتى — إن شاء الله — ذكرها ، فى ترجمته فى الخاتمة .

(فائـــدة)

قال هذه القصيدة يمدح بها الشيخ عبد القادر الجيلانى ـ رضى الله عنه ـ : ياهاجرى كم ذا تكون مهاجرى الخ ، ويستغيث به فيها .

قال ـ رضى الله عنه ـ : قد أنشأنا أبياتا فى الشيخ عبد القادر على نمط هذه ، فلم تكمل قصيدة ـ يعنى طويلة ـ وأنشأنا هذه ، لأمر مهم ، ولأن لنا به دلة ، من حيث رحم أهل البيت . والقصيدة التى أولها : (بنفسى أفدى خير من وطىء الثرى) يمدح ويستغيث فيها بالنبى ﷺ سنة سبع عشرة ومائة وألف. يقال: إن سبب إنشائها نزول بلاء عام طام ،أهلك البلاد والعباد ، بحضرموت . وهو الذى يشير إليه بقوله فى القصيدة المذكورة: مهم فى مرابعنا طرى . وقوله:

قادته فرقة مضلة ليست لنور الهدى ترى

وبقيت هذه الفتنة الذميمة إلى يومنا هذا مستمرة، نسأل الله دفعها وكشفها. ولعلها لا تخفى على ذوى الفهم . والله المستعان .

(فائـــدة)

توفى لسيدنا ومولانا أحمد ابن، فأرسل إليه سيدنا ومولانا ، بركة العباد : عبد الله الحداد قصيدته هذه :

يا أحمد الله ييسر كل ما قد تعسر . تسلية له ، قالها لسبع وعشرين ، من شعبان ، سنة ثمانى عشرة ومائة وألف .

(فائـــدة)

الحمد لله الشهيد الحاضر . قالها سنة ثمانى عشرة ومائة وألف . وأشار على سيدنا أحمد بشرحها ، فشرحها بشرح لطيف ، وتكلم فيه على معنى المقام العاشر ، اسمه الروض الناضر .

(فائـــدة)

سمعت سيدى العارف أحمد بن زين الحبشى ، يقول : جئت إلى تريم ، فى بعض السنين . فحال وصولنا أنشأ هذه القصيدة : ياقل لأحبابنا ياقل لجيراننا وأمرنى أن أتكلم عليها يوما ، فى مجلسه ، بمسجد الأوابين . فكتبت عليها حينئذ ـ ما شاء الله ـ تعليقا لطيفا .

قلت : هذا التعليق موجود ، فى بعض نسخ الديون كما رأيته وهذا ما انتهى إلىّ العلم به ، فيما يتعلق بكتبه ، من ذكر سبب ، أو تاريخ ، أو نكتة ، تحصل بها فائدة ، أو مقالة ، أو واقعة له أو لغيره . اغتنمت كتابتها للحفظ ؛ لأن كل ذلك ـ إن شاء الله ـ لايخلو من فائدة ما ، ولو لم يكن إلا ترويح أسرار المحبين له ، وابتهاج أرواحهم ، بما يطرق أسماعهم من ذلك . وهذه ـ إن شاء الله ـ نية صالحة ، يحصل بها الثواب ، إذا صحت النية وصدقت . صحح الله لنا النيات والمقاصد ، بمنّه وفضله ؛ إنه جواد كريم .

تم الباب الخامس ، من مناقب سيدنا الحبيب : عبد الله بن علوى بن سميط . نفع الله به وبالجميع ، وأعاد علينا من سرهم .

آمين . آمين . آمين . اللهم

آمين

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس

فى ذكر شىء من كلامه البديع النظم ، العزيز الوجود ؛ الذى لا يكاد يصاف فى مصنف مما فتح الله به عليه ، أكثره من مكاتباته وفتاويه ، ووصاياه ونصائحه ، ودعوته وسبيله ، ورسائله وإتحافه ، وفصوله وحكمه .

ومما لا يكاد يوجد فى شىء من مؤلفات السابقين ، أكثره مما خصه الله به من الفتوح والمنوح الزائدة على من سلف من الأوائل، وما خصه الله من الفضائل مما ينعش الطالبين، ويقوى السالكين، ويهيج خواطر المحبين، ويثير همم المريدين للقرب من رب العالمين ؛ وذلك من المناقب العظيمة، وله وقع عند كل ذى قريحة سليمة وفطرة مستقيمة؛ أشار علىّ وأمرنى بالتقاط ذلك بالخصوص سيدى الأكمل أحمد ابن زين الحبشى ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى .

وخاتمة هذا الباب فى كلمات وحكم وفوائد عظيمة نقلت عنه ؛ كان يلقيها فى مجالسه ودروسه ولم تدوّن . نقلتها عمن نقلها عنه ، وأحببت إيرادها لتحفظ إذا نظمت فى سلك هذا المؤلف .

واعلم أن جميع ما نقلته فى الكتاب هو من مؤلفاته المعروفة المشهورة ، عدا خاتمة الباب كما سيأتى .

قال سيدنا الإمام العارف الحبيب الشيخ عبد الله بن علوى الحداد ــ نفع الله به ــ فى صدر كتابه «المجموع من المكاتبات» : اعلموا ــ وفقنى الله وإياكم ــ أنى قصدت أن أجمع فى هذا الأوراق أطرافاً مما فتح الله علىّ وأنطقنى به من الكلام الموافق لكلام الله تعالى وكلام رسوله ، وهدى السلف الصالح ــ رضى الله عنهم ــ حملنى على ذلك خوف الاندراس الذى يستولى غالباً على ما لم يكن مدوناً ومجموعا ، كما وقع ذلك لكثير من كلامنا .

وأيضاً فإنه ـ أعنى ما نقصد جمعه ـ محتوٍ على فوائد ، أحتاج إليها في نفسي وأستفيدها في خاصتي ؛ وكذلك الإخوان والأصحاب وكل مؤمن، إلا مستكبراً ينكر آيات الله ، أو حاسداً يحمله شؤم حسده على الإعراض عن الهدى بعد ما تبين ، أو غافلا لا يهمه أمر دينه؛ لإكبابه على دنياه ، أولئك الذين حق عليهم المقت وحل بهم السخط من الله ؛ نسأل الله العافية .

واقتصرت في هذه المدونة ـ من جملة ما فتح الله به عليّ ـ على المكاتبات التي كتبناها إلى الإخوان والكلمات المنثورة والوصايا والقصائد المنظومة ؛ فهي أربعة أقسام ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه ، ومقرباً إلى رضوانه . وأسأله ـ سبحانه ـ أن يوفقني وسائر أوليائي وإخواني وأحبائي وأعواني للعمل بما علمنا ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمة ؛ إنه هو الوهاب الكريم . وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين . ونستغفر الله من التصنع والرياء ومن الذنوب كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

قال ـ رضي الله عنه ـ : من الفقير إلى الله المنتمي إلى أهل الطريق ، المعترف بالإفلاس مما لديهم من التحقيق ، عبد الله بن علوي الحداد علوي إلى حضرة الأخ الوفي السيد الصفي ، والعارف الصوفي الشيخ الحبيب : أبي بكر ابن السيد شيخ السقاف باعلوي ـ نفع الله به ، وبسلفه الصالح في الدارين .

وبعد ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه ؛ وقد وصل إلينا كتابكم الشافي الكافي . وحصل بوصوله السرور الوافي ، والأنس الصافي ؛ من حيث إنه وقع مفتاحاً للصلة فيما بيننا وبينكم ؛ وهي وإن كانت حاصلة في العالم العلوي الأعلى من حيث اتحاد الأصل الروحي ، والدين الذي أنزل وأوحى .

فلظهورها فى العالم لأدنى حكم آخر لأن من عالم الشهادة تسكن الحركات، ومن عالم الغيب تنزل البركات.

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الواصل إلى الله عبد وصل من العلم بالله إلى أن ينتهى إليه علم العلماء به من خلقه.

وأهل هذه الرتبة يتفاوتون فيها تفاوتاً لا ينحصر، وللواصل إلى هذا المقام حالتان : تسمى إحداهما بالجمع، والأخرى بالفرق. فإذا وردت عليه حالة الجمع، فنى عن نفسه، وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه، وذهب فيه بالكلية، فلا خاطر يخطر هناك، ولا موجود ثم يظهر إلا الموجود ـ جل وعلا.

وقال ـ نفع الله به ـ : أصل وجود الخواطر وتشعبها إنما هو تفرق الهمم وكثرة العلائق. وما عند الواصل إلى الله من هذا الأمر خبر، قد جعل الهموم هما واحداً، وهو الله تعالى. وإلى الجمع الإشارة بقوله ﷺ : لى وقت لا يسعنى فيه إلا ربى. ثم إن دوام وارد الجمع عزيز جداً وعند دوامه تظهر أمور عجيبة وتبدو شئون غريبة. وقد داوم هذا الوارد على بعض مشايخ العراق، سبع سنين. ثم أفاق يسيراً. ثم عاد عليه فاستغرقه سبعاً أخرى. وكان فى هذه المدة لا يأكل ولا يشرب، ولا ينام ولا يصلى؛ بل كان واقفاً فى البرية، شاخصاً ببصره إلى السماء.

وبلغنا عن بعض مشايخ مصر أنه توضأ ثم اضطجع. وقال لنقيبه : لا توقظنى حتى أستيقظ بنفسى. فمرت سبع عشرة سنة وهو فى نومته، ثم استيقظ وصلى بوضوئه ذلك؛ والعارفون يشتاقون إلى دوام الجمع. والحق تعالى ينقلهم لطفاً بهم وليقوموا بالتكليف؛ ولئلا تضمحل أجسامهم وتتلاشى عظامهم؛ لأن

الواردات الإلهية ، إذا قويت واستولت لم تثبت لها القوى البشرية . كيف وقد احترق جبل الطور فصار دكا ، لما أشرق عليه ذلك النور . ولا يصح دعوى حصول الجمع لأقوام تخبطهم الشيطان ، فتراهم يتركون العبادات ، ويضيعون الفرائض ، من الصوم والصلوات ، ومع ذلك يتناولون الشهوات ، ويرتكبون المحرمات ، لو كانوا من أولياء الله لحفظهم ، ولو كانوا مستغرقين به لغابوا عما سواه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن نفس الواصل قد اطمأنت إلى ربها ، وصارت فى حيز القلب سامعة مطيعة ؛ دعاها مولاها فرجعت إليه ، فأدخلها فى عباده وجعلها معهم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وقال ـ نفع الله به ـ : العارف فى اصطلاح الصوفية : شخص آمن بالله على بصيرة فامتثل واجتنب . ثم أخذ يكثر النوافل المقربة إلى الله ابتغاء الزلفى لديه ؛ ثم أشرقت عليه أنوار السعادة ، وصار الغيب فى حقه كالشهادة ، وهداه الحق إلى سبيله وجعل له فرقاناً ، وعلمه من لدنه علماً .

وقال أيضاً : قد علم وتقرر أن الأعمال الصالحة التى تصدر من العارف يزيد ثوابها على أعمال غيره ، وتتضاعف أضعافاً كثيرة . وكذلك ما يصدر منه من السيئات ، تعظم المؤاخذة عليها فتخشى المعاقبة ؛ وربما عوقب على الصغائر معاقبة غيره على الكبائر ، وذلك لأنه فى حيز القرب .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : القطب الغوث ليس إلا واحداً فى كل زمان ، وهو الفرد الجامع ، ويدعى عند القوم بالخليفة ، وبالإنسان الكامل ، وينعت بصاحب الصديقية الكبرى ، والولاية العظمى ، والقطبانية معنى السيادة . وكذا يطلق اسم القطب على كل من له سيادة خاصة على أهل مقام ، أو حال . فيقال :

قطب المتركلين ، وقطب الراضين ، إلى غير ذلك . وقال : من أراد الكشف والعيان ، فعليه بتهذيب أخلاق نفسه ، وتلطيف كثافتها بالرياضة البالغة ، الماحقة للرعونات النفسانية ، القاهرة للحظوظ الشهوانية ، المزينة بالحضور الدائم مع الله ، بوصف حسن الأدب ، على بساط الذلة والانكسار ، والاضطرار والافتقار ؛ تحقيقاً للعبودية ، ووفاء بحق الربوبية . فإذا أحكم هذين الأصلين ، مع حسن الرياضة ، وكمال الحضور ، انهتك حجاب قلبه ، وأبصر غيب ربه ؛ فعند ذلك يشاهد الأولياء ، على مراتبهم ومناصبهم القدسية ، أرواحاً متجرّدة ؛ فحينئذ يستغنى عن الوصف ويرتفع عن حضيض التقليد إلى أوج الكشف .

وقال — نفع الله به — : قد يدنو اللعين من نفس المتقى وقلبه ، فى حين غفلته عن ربه ؛ ولكن تدركه على القرب امتدادات التذكر والتذكير : فإذا هو سميع بصير ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف » إلى آخر الآية .

وقال — رضى الله عنه — : وقد يفيض هذا المدد ، من الله على عبده بواسطة ملك الإلهام .

وقد يكون بواسطة بعض عباده ، الذين رضيهم لإرشاد هذا الأنام ، وراثة منهم لمتبوعهم الإمام الأعظم ، والنبى المكرم ، والرسول الأفخم حبيب الله محمد ابن عبد الله ﷺ .

وقال — رضى الله عنه — : ليس فى الدين إشكال ، والهدى أحمى جانبا من أن يشتبه بالضلال ؛ ولكن الشيطان عدو مبين ، والهوى غالب على الإنسان ، المخلوق من سلالة من ماء مهين ؛ فإن ثبته مولاه وهداه ووفقه ، وأعانه على امتثال ما به أمره واجتناب ما عنه نهاه ، ظفر بالسعادة ، وفاز

بالحسنى وزيادة ؛ وإن وكله إلى نفسه وحوله وقوته ، كان الهلاك إليه أسرع من طرفة عين ، فيهلك من حيث يرجو النجاة ؛ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولهذا قال القائل :

من حيث يرجو جاءه ما يتقى   ياويح مَن بالماء أضحى يَشْرَق

وقال غيره :

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وقال — نفع الله به — : الإيمان هو الأصل ، وهو صدق التوحيد ، مع رسوخه وثباته ؛ والتوكل والإخلاص من أجلّ فروعه ، وأشرف ثمراته ، وما تحقق عبد بهذه المعانى الشريفة ، وبنى على قواعدها قوله وفعله ، إلا صار الشيطان يفرَق من ظله ؛ ومتى لم يتحقق بها فللعدو به إلمام ، ومن حوله تطواف . وكل من عرى عنها ، وخلى منها ، فقد فارقه دينه ، وارتحل عنه إيمانه ويقينه ، وصار الرجيم وليّه وقرينه .

وقال — قدس الله روحه ، ورضى عنه — : إن السالك الصادق لايزال فى مزيد من المعرفة والعبادة ، إلى أن يخرج من الدنيا ، وذلك علامة صدقه ؛ فإذا ظهر عليه أثر من التقصير ، دل ذلك على وقوفه ، أو على فتوره .

وقال — رضى الله عنه — : إن الأمة قد أجمعت سلفا وخلفا ، على أن التكاليف الشرعيــة ، لا تسقط عن المكلف ، الذى هو عاقل إلا بالموت ، أو بزوال العقل .

وقال — نفع الله به — : للشيطان اللعين تلبيسات تشبه الحق ، وهى من الباطل المشئوم ، يلبس بها على السالكين لطريق الله .

فمن تلبيساته : أن يقول للسالك : إن التكاليف طريق إلى الله ، وأنت قد

وصلت إليه ، فما تصنع بها ؟ ويقول له : أنت فى عين الجمع على الله ، وفى العبادات المتنوعة ما يجلب التفرقة . ويقول : إن التكاليف تليق بأهل الغفلة ، لتقودهم إلى الحضور مع الله ، فى بعض الأحيان .

فأما من كان عاكفا بقلبه ، على الحضرة القدسية على الدوام ، فهى فى حقه حجاب . ومثل هذا كثير يقع للسالكين .

وقال — رضى الله عنه — : لن يفارق السالك الواصل فى شىء من الأمور إلا فى أمرين : الأول : حصول الكشف والثانى : القيام بالفرائض والنوافل ، مقرونا باللذة والراحة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : أرحنا بها يا بلال ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة . والسالك يقوم بوظائف العبودية ، مع المشقة والمجاهدة ؛ ومن قال بغير هذا فليس من أهل الطريق ، ولا عنده شىء من الذوق والتحقيق .

وقال — رضى الله عنه — : الجمع عبارة عن تجلى نور الحق لقلب عبده ؛ وهذا لا يكون على الدوام . وأكثر ما يرد هذا الوارد على أهل الله ، وأحدهم فى صلاة ، أو تلاوة ، أو ذكر .

وقال — رضى الله عنه — : كل نوع من المعاملات الدينية قالب لمظهر من المظاهر الربانية ، فلا يستوفى العارف جميع المظاهر الإلهية ، حتى يقوم بجميع أنواع العبادات .

وكتب — نفع الله به — إلى بعض الملوك : اعلم أن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك ؛ ولو أنه يبقى لك ما رجاه أحد بعدك ؛ ولكن فمن درج من آبائك عبرة ، ويكفيك بهم اتعاظا إن أحسنت الفكرة ؛ فقد تمكنوا فى البلاد ، وقهروا العباد ، وجمعوا الأموال ، وأطالوا الآمال . فلما أتاهم أمر الله ، لم تغن الدنيا عنهم شيئا ، فأخرجوا من سعة القصور إلى ضيق القبور ، وقد أفضوا إلى ما قدموا ،

ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحداً . ولله در من يقول :

سل الأيام ما فعلت بكسرى ... وقيصر والحصون وساكنيها

فلو نودى على الدنيـــا بفلس ... عجبت لعاقل أن يشتريهـــا

وقال ـ رضى الله عنه ـ : بحق أقول : لا يستطيع أحد أن يقرب من الله بشىء أفضل من التحقيق بأوصاف عبوديته ؛ من الفقر والذلة ، وإظهار المسكنة ، والتواضع والانخفاض ؛ إلى غير ذلك من أوصاف العبد .

وقال :الواجب على كل عاقل أن يسعى بكل ممكن ، فى حقيقة خلاص نفسه . ويبذل استطاعته ، بفكاك رقبته . ويعتنى كل الاعتناء ، بأخذ الزاد ، ليوم المعاد . ومن عقل الأمر الذى من أجله خلق ، علم أن الراحة الأبدية موقوفة لمن ترك الملاذ الدنيوية . والعجب كل العجب لعاقل يستريح ، وبين يديه العقبات الصعبة ؛ من الموت وفتنته ، والقبر وضغطته ، والنفخ وروعته ، والموقف وغصته ، والصراط ودقته ، وغير ذلك من الأمور الشنيعة ، والأهوال الفظيعة . كلا إنما هى غفلة شاملة ، وعقول عن معقولاتها ذاهلة ، قد أشغلتها العاجلة عن الآجلة ؛ وإلا فمن أين تجىء الراحة ؟ وإلى أى شىء تكون الاستراحة ؟ فالسعيد الميمون من أخذ فى الاستعداد ليوم المعاد . وأحسن الزاد التقوى ، وما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار .

وقال ـ رضى الله عنـــه ـ : يا أخى البدارَ البدارَ قبل خروج الأمر عن الاختيار ، والتشمير التشمير ؛ فإن العمر قصير ، والناقد بصير . فاستعن على أمورك ، باستشعار قرب الموت ، واستحضار مرارة الفوت ؛ فعما قريب ينكشف الغطاء ، ويبين للمبطئين شؤم البطاء . وعند الصباح يحمد القوم السُّرَى وتنجلى عنهم غيابات الكرى .

حمد المدلجـــون غب سرامُ   وكفى من تخلف الإبطـــاء

وقلت : صلاح القلب يدور ، بعد أخذ ما لابد منـــه ، على ثلاثة أمور : أحدها التقلل من المطعوم ، وكونه من الحـــلال . الثانى : ترك مخالطة أبناء الزمان ، على كل حال . الثالث : استشعار الموت القاطـــع للآمال . فمن الأول تكون استنارة الجنان ، وعن الثانى تحصل السلامة للإنسان ، وبالثالث يستقيم الأمر ، ويصلح الشان . والله المستعان ، وعليه التكلان .

وقال ـ نفـــع الله به ـ : الوصية لنا ولكم ولكل مؤمن ، بالمحافظة على المكتوبات ، وعمارة الأوقات ، بنوافل الطاعة ، وأنواع القربات ، والتطهر بالتوبة من دنس المخالفات والغفلات ، وملازمة ذكر الله فى جميع الحالات ، ومراقبة الله عالم الخفيات ، فى الأنفاس والخطرات والطرفات . فمن فعل ذلك ، فتحت عليه البركات ، من الأرض والسموات ، وسيقت إليـــه المواهب والخيرات ، وكان عند [illegible] مرضيا ، ورفعه [illegible] .

وقال : إن الله ـ وله الحمد ـ أخبر عن نفسه ، أنه عند ظن عبده به ، وأنه يذكره إذا ذكره ، وأنه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، وأنه سبحانه لا يقطع أمل من أمّله ، ولا يخيب رجاء من رجاه . فكم قرب بعيداً ، وجمع بايدا ، وأرى غائبا ، وآوى هاربا صدق فى رجوعه والتجاه .

ومما كتب إلى أخيـــه السيد الحامد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما تسارعت الأطيار إلى أوكارها ، وترنمت بألحانها ، على أفنان أشجارها ، وما هبت النسيم فى أسحارها ، فأمالت بلطيف هبوبها الغصن الرطيب ، وانشقت بطيب شذاها مشام النائى الغريب ، فتشوق إلى الاقتراب ، وتبرم بطول الاغتراب ، وأنشأ يقول :

يا أحباب مهجتى هل تزوروا إن نلبى بحبكم مأسور
كلما هب من حماكم نسيم وشممت شذاه كدت أطير
لم أكن أشتهى البعاد ولكن هو حكم جرى به المقدور
جمع الله بين قومى وبينى عن قريب فإن ربى قدير

أما بعد ، فإن القلوب إذا قطنها الاشتياق ، حنت للتلاق ، وتألمت بالفراق ؛ ولا سيما عند التغزل بالأطلال . وتذكر ليالى الوصال ، وما فيها من القرب والإجلال وصفاء الأحوال ؛ وإلى مثلها أشار من قال بما قال :

تلك الليالى التى تعتد من عمرى مع الأحبة كانت كلها عرسا
لم يحل للعين شىء بعد بُعدهمُ والقلب مذ أنس التذكير ما أنسا

وقال — نفع الله به — : إياك أن تضجر ويضيق صدرك لشىء يذهب من هذه الدار ، سواء كان لك أو لغيرك ؛ فإنها أقل من أن يهتم لأجلها مؤمن . ومن كل شىء عوض . ولكل شىء بدل إلا الله ، كما قيل :

لكل شىء — إذا فارقته — عوض وليس لله — إن فارقت — من عوض

وقال — نفع الله به — : أكثر — بارك الله فيك — من الاستغفار ، ومن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بالليل والنهار . وأكثر من التضرع إلى الله ، والدعاء بنهاية الرغبة وصدق الالتجاء . فإن فعلت لم تعدم من الله فرجا عاجلا ولطفاً خفيا من حيث تحتسب ، أو من حيث لا تحتسب .

ومن كلامه : ما عليك من فلان وفلان ، وهوّن عليك ، فإن الزمان أهله كما ترى وتسمع . وكن مع الله ، ولا تكن مع الناس تربح . وإلى الله معاد جميع خلقه وهو عليهم رقيب ، وبهم حسيب . واصبر وسلّم واقنع باليسير . والأيام تمضى ، وتبقى الآخرة . والسعة مرجوة من الله — عز وجل — والفرج خصوصاً وعموماً .

ومن كلامه ـ رضى الله عنه ـ : اسعَ فى تنوير قلبك وقبرك : القلب بالأعمال الصالحة الباطنة ، والقبر بالأعمال الصالحة الظاهرة . والإخلاص شرط فى الجميع ؛ وإلا فلا عمل ولا ثمرة .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا أردت القساوة تزول عنك فدم على ذكر الله ، ولا تكثر التفكر والاهتمام بأمور الدنيا ؛ بارك الله فيك .

وقال : الشأن كله فى إصلاح النية وصفاء الطوية وحسن الظن بالله .

وقال ـ نفع الله به ـ : الفقراء لا يركبون إلا الهمة ، ولا يتسلحون إلا بالدعاء ولا يتدرعون إلا بالاكتفاء بالله تعالى ؛ فإن لم تكن منهم فتشبه بهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : هيهات هيهات ، ما كل أحد ممدوداً بالتوفيق ، والهداية إلى سواء الطريق إنما هى مواهب واختصاصات اختص الله بها من شاء وله الأمر كله .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إذا صارت النفس أبية تأنف عن مقارنة الأرذال فى المشاهد والوسائل ، فقد أقيم فى قالبها روح الهمة الذى هو رسول التوفيق ، وبشير الظفر بالتحقيق .

وكتب إلى بعض أصحابه : اعلم أنه قد وصل كتابك . وحاصل ذلك أنه أشكل عليك أمر نفسك حتى خشيت أنك ممن المقوتين ، ونعم هذه الخشية . فإنك إن كنت كما ظننت فقد عرفت قدرك ولم تتعد طورك . وقد قال على ـ كرم الله وجهه ـ : رحم الله امرأً عرف قدره ، ولم يتعد طوره . وإن كنت خيراً مما تظن ؛ فقد تواضعت لربك . والله يحب المتواضعين له من عباده . ولا يكون العبد عنده ذا قدر ، حتى لا يكون لنفسه عنده قدر . والوصية منا إليك : أن تكون لله كما يحب ، فى كل حال ، ليكون لك ـ سبحانه ـ كما تحب ، فى جميع الأمور .

وقال ـ رضى الله عنه ونفع به ـ : تمسك بالعروة الوثقى ودر مع الحق حيث دار . واقتف آثار الأخيار ، أولى الأسرار .

وقال : النفس الصالحة فى اصطلاح الصوفية : لطيفة فى الإنسان ، من طبعها إيثار الراحات العاجلة وهى مجبولة على الميل إلى الحظوظ الفانية ؛ وتهذيبها عندهم بالرياضة ، على موافقة الكتاب والسنة، شرط فى صحة السلوك وهو معنى مجاهدتها بالرياضة على اتباع الحق ، واجتناب الباطل ، والإعراض عن كل فضول .

ولما كانت المتابعة للرسول هى الخصلة الجامعة لهذا المعنى كان القوم ـ رضى الله عنهم ـ من بين سائر الطوائف لهم أعظم العناية ، وأتم المحافظة عليها . وهم ـ نفع الله بهم ـ لا يقيمون وزناً ، لمن لم تكن حركاته وسكناته ـ فى ظاهره وباطنه ـ واقعة على موافقة الكتاب والسنة . والنفس مجبولة لسر خفى على كراهية الانقياد والانقهار تحت حكم أحد وعلى حب الاستقلال بالأمور ، والاستبداد بها حتى إنها لا تحب أن يكون لأحد عليها سلطان .

وقال ـ قدس الله روحه ـ : باسمك اللهم أفتتح ، وأحمدك امتثالا لأمرك ووفاء بواجب شكرك . وإن كنت عاجزاً عن القيام بالتمام ، بما يجب من حمدك وثنائك لسمو مجدك وعلائك، وكريم أياديك وآلائك . وقد علمت ـ حين أعجزتنى عن إحصاء ما لك علىّ من النعم ـ أن عجزى عن القيام بشكرها أبلغ وأتم .

وقال ـ نفع الله به ـ : سبب الميل إلى الخلق ضعف اليقين ، ودواؤه الذى يحصل به الخلاص منه : قوة اليقين . واليقين المشار إليه : نور ربانى ، يستغرق القلب ، ويستولى عليه ، فحينئذ لا يرى المؤمن غير الله فينقطع عن نفسه، فضلا عن غيرها من الأكوان .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا يفوز بالخير المشروط لمحبة الصالحين كل أحد ،

حتى يلوح عليه أثر من التشبه بهم . وأما سبب التقاعد عن سلوك سبيلهم ، فليس إلا فقد الهمة ، وهى قالب التوفيق . والتوفيق فى خزانة الله ، فليطلب منه تعالى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن الله ـ وله الحمد ـ لا يرضى الشكر ؛ بإبقاء النعم التى هى عليه فقط ؛ بل بذلك مع المزيد . وربما كان المزيد أجل وأفضل من النعمة التى وقع الشكر عليها .

وحقيقة الشكر وغايته : أن تعلم أن جميع ما عليك من النعم من فضل الله مع الإكثار من الثناء عليه ، والتحدث بالنعم . والاستعانة بها ، فى العمل بطاعته . ومن توسل بشىء من نعم الله إلى شىء من معاصيه ، فقد كفر النعمة واستوجب السلب إن لم يبادر بالتوبة .

وقال ـ رضى الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به ـ : هـذا زمان ، قد رفعت فيه الأمانة ، ورقت فيه الديانة ، وكثرت فى أهله الخيانة ، وأصبح الناس فى أمر مريج ؛ مقصورة همومهم على البطون والفروج ، سببًا عندهم الهبوط والعروج ، لا يبالى أحدهم ـ إذا نال مشتهاه من دنياه ـ كيف كانت منزلته من مولاه . فالله المستعان ؛ ما هذه والله أخلاق المؤمنين ، ولا سجايا الموقنين ، بل هى شيم الجاحدين ، وشمائل الشياطين . ففر يا أخى من أهل الزمان فرارك من الأسد ، واجتهد فى إصلاح المضغة التى إذا صلحت صلح سائر الجسد .

وقال ـ قدس الله سره ـ : إن لله عباداً شغلهم به عما سواه ، وغيَّبهم عنهم فلم يشهدوا إلا إياه ، فهو أنيسهم فى الخلوات ، وجليسهم على ممر الساعات ؛ جوارحهم بطاعته عاملة ، وأسراره عما سواه ذاهلة ، وعقولهم عنه عاقلة ، لم يشغلهم حاضر الدنيا عن غائب الآخرة ، وعلموا ما خلقوا له ، فشمروا . وعرفوا

شرف مطلوبهم ، فجدوا فى بلوغه وبادروا ، ورأوا حقارة الدنيا ، فأعرضوا عنها وأدبروا ؛ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الهداية : هى العلم ، والتمسك : هو العمل ، والثبات : هو الاستقامة ، والمعونة من الله : هى التوفيق . ولا كال بدون هذه الأربع . والسلام .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : يا أخى ألزم قلبك التعلق بربك ، ووطّنه على الاكتفاء والانقطاع إليه .

واعلم أن البلدة عندنا لا يسلك فيها إلا أحد ثلاثة : من له مال يغنيه ، أو حرفة تكفيه ، أو ذل لا يبالى معه لمن ذل . ولا من أى وجه أكل ، طيباً كان أو خبيثاً .

والفقير فى البلد أذل وأحقر من التراب ، وأذل وأهون من المستحق للعقاب فرحم الله من عرف زمانه وأهله ، وعض بنواجذه على دينه حتى يلقى الله ربه ؛ ولو كان فى اليد والقدرة شىء لسكنا نملأ مدينتهم عليهم فقراء ومساكين ؛ فإن أول هذا الدين لم يقم إلا بضعفة المؤمنين . ولكل أجل كتاب .

وقال ـ نفع الله به ـ : الذى نوصيك به : أن تترك كل ما يشغلك عن الله ، وتعرض عن كل ما يصدك عن بابه ؛ وأقطع عنك كل علاقة تقطعك عن العلو بجنابه . وكن بكليتك لمولاك ، يكن سبحانه لك فى سرك ونجواك ، ومماتك ومحياك . ولا أجدر فى تنوير القلب ، من التعلق بالله ، وملازمة الذكر لله ، والحضور مع الله .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا تكن إلا طيب الخاطر ؛ ضاقت الدنيا ، أو اتسعت ، أقبل الخلق أو أدبروا فهذا ينبغى أن يكون وصف سالك طريق الآخرة ،

فإن لم يكن بهذا الوصف متصفاً فمن قريب يرجع إلى الدنيا وإلى ما خرج عنه . فنعوذ بالله من الضلال بعد الهدى .

وقال — قدس الله روحه — : الله . الله في صدق التوجه ، وملازمة الذكر ، وقطع النظر إلى الخلق ، وتقوى الله في السر والعلن ، وملازمة الطاعة في الخلاء والملاء ، والإقبال على العمل بالخير في السر والنجوى . فاجتهدوا وسارعوا في الخيرات وقدموا لأنفسكم . واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين .

وقال — رضى الله عنه — لا يقف على أسرار القرآن ومعانيه إلا من تطهر عن ملابسة الآثام ، ومن إضمار الحدوث والإرادات التي تميل بالقلب إلى التمتع بالحطام ، وزين باطنه وظاهره بالأعمال الصالحة ، والأخلاق المرضية ، وأقبل على ربه بترك ما سواه ، من الموجودات العلوية والسفلية . ومن يهد الله فهو المهتد .

وقال — رضى الله عنه — : لا تكن لك همة ولا اشتغال ، إلا بما يقربك من ربك ، واعمر بالتوجه إلى الله باطنك وظاهرك ، وثابر على الذكر لله تعالى ، في كل حال وحين ، وخصوصاً قول : لا إله إلا الله . ولا تلتفت إلى الغافلين ، وأعرض عن الجاهلين . وكن لمولاك يكن لك ؛ وإذا كان لك سبحانه — أغناك عن نفسك التي هى أقرب الأشياء إليك .

واستشاره بعضهم في المجاورة بالحرم فقال : اختيارنا لك : أن لا تجاور لأن المجاورة تحتاج إلى أدب . ولعلك تفي به ، فتنقلب بالخسارة ، والإنسان مأمور بحسن الأدب مع الله ، في كل موطن . ولكن ليست عقوبة التارك للأدب في الحضرة ، كالتارك له على الباب . ولكن إن رأيت المجاورة أحسن لقلبك ، ومنها لك فائدة دينية ؛ فما مقصودنا إلا الخير لك أينما كنت ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب . ولا تنسنا من صالح دعائك .

واجتهد فى ملازمة الأعمال الصالحة ، ودم على الذكر ، وهوّن عليك ما تجد من الحرص على الدنيا ؛ فإنها أقل من كل قليل . ولا تبال بشىء يذهب منها ، إذا كان الدين سالماً . ولا تجالس إلا أهل الخير والصلاح . وجانب مجالسة أهل الفضول والخوض فيما لا يغنى ، ونحن داعون لك . والسلام .

وقال — نفع الله به — الموكول إلى نفسه هالك ، والموكول إلى الخلق ضائع . ومن توكل على الله فهو وكيله ، ومن كان وكيله مولاه كفاه وأغناه ، وحفظه وتولاه .

وقال — رضى الله عنه — : إنا نحب ونهتم بكل من نراه راغبا فى سلوك طريق الله . فعليك — بارك الله فيك — بالإقبال على ربك ، وأنزل جميع حوائجك بباب كرمه وارجع إليه فى جميع مهماتك ؛ فإنه منك قريب ، وعلى إسعافك بمسألتك قدير . والسلام .

وقال : صرف اليقين هو الذى يعبر به عن المكاشفة بعالم الغيب ، وينتفى معه الشك والريب ، وتحصل به النزاهة من كل عيب ، ظاهر أو باطن .

وقال — نفع الله به — ليس بعد الخروج من هذه الدار إلا الابتهاج بنيقن السلامة والكرامة ، أو الاحتراق بنيران الحسرة والندامة .

وكتب إلى السيد العارف على بن عبد الله العيدروس : ثم إنها وإن طالت أيام البين والفراق ؛ فإن الوداد إذا تمكن وصفا لم تزده البينونة الصورية إلا رسوخاً وتمكنا ؛ ولولا أن الله تفضل على المتحابين ، عند تباعد الأجسام بتقارب والتئام ، يكون بين الأرواح فى عالم التصوير الخيالى ، وفى برزخ المثال والمنام ؛ لكان يكون أمراً عجيباً . ولله در القائل :

وما برحوا عنى أراهم معى
فإن نأوا ظاهراً فى القلب قام لهم شكل

فهم نصب عينى ظاهراً حيثما سروا
وهم فى فؤادى باطناً حيثما حلوا

وما ذكرت من الاشتياق إلى الوطن والأحباب ، والحرص على الخروج ، والتوجه من دار الوحشة والاغتراب . فهذا ياسيدى هو الظن بكم ، وذلك لأن كل ذى نفس كريمة ، وفطرة مستقيمة ، يكون فى طبعه ميل شديد إلى الأوطان والأحباب ، وأنتم أهل ذلك . وأيضاً فإنه لايسمع بوصف أرض الهند عاقل ، ويعلم ما فيها من الأمور الخارجة عن مقتضى الشرع والعقل ؛ إلا ويقطع بأنه لا يستريح بها ، من له عناية بأمر الدين ، وهمة فى عمارة الآخرة ؛ ولكن عليك بسعة الصدر ، وملازمة الصبر ، وخفض الجناح ، وحسن المداراة ، لمن بليتم بصحبته ، من أولئك ، حتى يأتى الله بالفتح ، أو يجعل لكم مخرجا . ولله در المتنبي ، حيث قال :

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

وأنتم ياسيدى محفوظون ، وبعين العناية ملحوظون فطيبوا نفسا . واعلموا أن لإقامتكم بأرض الهند أسراراً عجيبة . وغدا تعرفونها عند الخلاص من تلك الأرض ، فاكتفوا بعلمه ــ سبحانه ــ وسلموا لحكمه ، وكونوا مع اختياره . وأقبلوا عليه بوجه القلب ، متضرعين بلسان الذلة والانكسار ، وارفعوا إليه حوائجكم ، على أكف الفاقة والافتقار ، وأطيلوا القيام بين يديه بالأسحار ؛ فسوف ينجح لكم المطالب ، ويقضى لكم المآرب . وما ذلك على الله بعزيز . ويبلغنا عنكم على لسان الواصلين : أنكم فى غاية الإقبال على الله ، مواظبون على الأوراد ، وعاكفون على مطالعة الكتب النافعة . فالحمد لله ، زادكم الله من كل خير .

واعلم أن المغبوط من عباد الله ، من هو المؤثر للآخرة ، المعرض عن الدنيا ، العاكف على الطاعة ، البعيد عن المخالفة الذى يعمر أوقاته ويقضى ساعاته ، وينفق أنفاسه ، فيما يعود عليه نفعه ، ويرجو ثوابه ، حين ترد الأعمال على العاملين . وذلك فى يوم الدين . وأما من وسع عليه فى أمر دنياه ، وهو فى غفلة عن مولاه ، وعما ينفعه فى أخراه ، فليس بمغبوط ، ولكنه مهان وممقوت . وأيش يكون قدر الدنيا . وحسب المؤمن منها ، ما يستعين به على الآخرة . ويكفيه مزهّداً فيها أنها تُصرف عن الأخيار والأبرار ، وتُقْبِل على الأشرار والفجار . ولو كان لها قيمة ، أو مقدار ، لمكّن منها من يستعين بها على الطاعة ، وينفقها فى وجوه الخير.

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الغالب على أهل حضرموت قلة التمييز ، وعدم التفرقة بين الغث والسمين ، والصدق والكذب .

وقال : شهادة الحسنة أربعة أشياء : ملازمة الطاعات ، ومجانبة المخالفات ، وإيثار الآخرة عن الدنيا ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم والاعتماد عليه ، فى السر والنجوى . فإذا صحت هذه الأمور للعبد ، وتمت له ، صار من المحسنين ، ورحمة الله قريب منهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من أصلح نيته مع الله ، وصفت سريرته عن إضمار الشر لأحد من المسلمين ، وعوّل فى جميع أموره على ربه ، كان فى حرز الله ، وأمانه من كل مكروه . فكونوا كذلك ـ وفقكم الله .

وقال ـ فى صدر مكاتبة ـ : الحمد لله حمد المفرّد المستتر ، الموحد المستغرق ؛ الذى أسفرت له الحقيقة القدسية عن محياها ، وسلت له سيف فَناها حين أم فِناها ، فأطمست عينه وأثره ، وغيّبت وجوده ، فلم يبق له من نفسه لا مُخبر ولا خَبر ، فهو أبعد الأشياء عن إدراك حقيقة نفسه . فكيف يكون بُعده عن

العالم بغيره من جنسه . فسبحان من سلبهم عنهم ، ثم تفضل عليهم ، بأن ردهم إليهم ، ليقيموا أوامره ، ويظهروا شعائره إلى فلان بن فلان ، أخرج الله من قلبه كل قدر للدنيا ، وكل محل للخلق ، يميل به إلى معصيته ، أو يشغله عن طاعته ، أو يحول بينه وبين التحقيق ، بمعرفته الخاصة ، وبمحبته الخالصة . اللهم آمين . وهذه الدعوات مما فتح الله به على عبده ، وبها ندعو كثيراً ، فواظبوا عليها ، فإن الحاجة داعية إليها ، فى حق من بلى بمعرفة الخلق ، والظهور لهم ، وهو مع ذلك متلهف إلى التخلص ، ليخلص إلى فضاء الملكوت ، وقدس اللاهوت .

وقال — رضى الله عنه — : من أحب من أهل هذا الزمان أن يستقيم قلبه ، ويرضى عنه ربه ، فليوطن نفسه على الصبر ، على الفقر ، وضيق المعيشة ، وقلة احتفال الناس به ، فإن الجنة حفت بالمكاره ، كما أن النار حفت بالشهوات ، والهدى هدى الله ، والتوفيق بيد الله .

وقال — نفع الله به — : أحمد الله تعالى ، وأسأله به أن يحمد عنى نفسه ، بما هو أهله ؛ فإنى لا أستطيع أن أقوم بحمده ، كما ينبغى لجلاله ؛ لأنه تعالى كشف لى عن حكم تدبيره ، ولطائف صنعه ، وأعاجيب قدرته ، وبدائع أسراره فى خلقه وتقديره ، بما أبهرنى وحيرنى ، وأسبغ علىّ من خيره ، وجزيل بره ، وأسبل علىّ من جميل ستره ، ماغطانى به وغمرنى : ثم إنى لا أزال لحمده ملازماً ، وبالعجز عن شكره معترفا وعالما . وصلى الله وسلم ، على معدن الفضائل والمكارم ، سيدنا محمد وآله ، ما تغنت الحمائم ، فأنعشت بنغماتها روح المشتاق الحزين ، فمال من طربه ، وطمع فى نيل أربه ، وأنشد قائلا :

هــــل يجمع الله بيني وبين قـــرة عيـــني

ويذهب البعـــد عنى وينجـــلى كل رين
وأشهـــد الحجر يوما بالقلب والنـــــاظرين

فهتف به هاتف : الرجاء وحسن الظن بالمولى ، فأبشر عما قريب ، يزول عنك البعاد ، وينمحى كل بين عنك وليل الفؤاد قد واصلتك سليما ، وأسعدتك سعاد .

ثم قال : فاستمسكوا بعروة حسن الظن بالله ، وأقبلوا بصدق اللجوء ، والرغبة إلى الله ، واعكفوا على طاعته ، وثابروا على ذكره ، وشمروا فى القيام بحقه . واعلموا أنه معكم أينما كنتم . وأنه ـ سبحانه ـ عند ظن عبده ، فظنوا به ما هو أهله من إسباغ النعم ، وإفاضة الفضل والكرم ، وصرف البلايا والنقم .

وأكثروا من تلاوة القرآن . وقوموا من الليل ما تيسر . وأكثروا من التضرع ، فى وقت السحر . وانظروا إلى الدنيا وأهلها ، بعين الزهد والاعتبار . والحذر من النظر إليهم بعين الغبطة والاستكثار ؛ فإن الدنيا أقل من كل قليل ، والمفتون بقضاء نهمته منها ذليل :

ومبتغى القليل أقـــل منه وكل فوائد الدنيـــا قليل

وقال ـ قدس الله روحه ـ : لو أن العبد الضعيف قام بجميع وظائف العبودية ، على سبيل الشكر لله على نعمة الإذن له من الله فى أن يعبده ، لكان هو الرابح ، فكيف وقد وعد الله العاملين بطاعته من الذكر الجميل ، والثواب الجزيل ، فى الدنيا والآخرة ، ما لا يقدر قدره ، ولا يبلغ كنهه . فالحمد لله رب العالمين . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : صلاح القلب وصفاؤه ، واستعداده لفيض المعرفة الخالصة ، موقوف بعد أداء الواجبات ، وترك المحرمات ، على أربعة أشياء : الأول : مراقبة الله مع الأنفاس . الثانى : الاعتماد على الله ، والاكتفاء بعلمه

فى كل شىء . الثالث : ملازمة الذكر لله بالقلب واللسان . أعنى قول : لا إله إلا الله . الرابع : ملازمة التضرع والابتهال إلى الله ، عن تحقق بالذل والفاقة . والخير كله ، فى التأسى بالسلف الصالح ، وملازمة الأوراد ، وقطع علائق الدنيا عن القلب ، ومجانبة من يشغل عن الله ، من قريب وبعيد .

وقال ـ نفع الله به : إذا علم ـ سبحانه ـ منك صدق الغرام ، وصحة الرغبة فى الخلاص ، أفاض عليك الأنوار ، وكاشفك بمصونات الأسرار ، وألقى على النفس الأمارة بالسوء المقارفة للشرور ، من الطمأنينة والانقياد للحق ، والنفرة عن الباطل ، والرغبة فى ملازمة الخير ، وموافقة الأخيار ، ما تقر به عين القلب ، وينمحى عنه وجود كل ما يشغلك عن سلوك سبيل القرب ؛ فعند ذلك تعرف لطف مولاك ، وعنايته بك ، وإقباله عليك ، وحسن نظره إليك . وأول هذه المعرفة معرفتك بشؤم النفس ، الحامل لك على الفزع إلى الله . فتنبه لما أشرنا إليه ، وتأمل حقه ، واقنع بهذه اللامعة ؛ فإنها من العلم المكنون المتلاطمة بحاره .

وقال ـ نفع الله به ـ : العافية الحسنة : هى سلامة الأجسام ، من الوقوع فى الآثام . ومن الأمراض والأسقام . والعافية المعنوية : هى سلامة القلوب من الشك والأوهام ، ومن إضمار الشر لأحد من أهل الإسلام فمن أكرم بالعافيتين على هذا الوجه ، دام إقباله على الله وعلى طاعته . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ إن إنفاق الإنسان غرر أيامه ، فى البُعد عن أهله وأوطانه ، لمن الغبن الظاهر ، ولكن ليس للعبد اختيار ، وإنما هو مقهور مصرف فى يد الأقدار . والذى يليق به : الاستسلام لقهر ربه ، والانقياد لحكمه ، والتفويض إليه ، وترك التدبير معه . فمن اكتفى بالله ، كفاه ما يهمه من دينه

ودنياه ، ومن لم يكتف به وكله إلى نفسه ، وكان الهلاك إليه إذ ذاك أسرع من كل شيء ، فأدم على قرع باب مولاك بيد الطاعة ، يفتح لك . وإذا فتح لك ، ودخلت إلى حضرته ، أبصرت جميع الخير كأنه فى يديك .

واعلم أن الدنيا سريعة الزوال ، وشيكة الارتحال ، كثيرة الأنكاد والأشغال ، إذا أقبلت أشغلت وأفتنت . وإذا أدبرت غمت وأحزنت . فما أغفل الحريص عليها ! وما أجهله ! وما أعقل الزاهد فيها وأفضله !

وقال ـ نفع الله ـ : يا أخى عليك بالتفويض والتسليم ، والاكتفاء بالله العزيز العليم . واجعل اختيارك موقوفا على اختياره ، وتدبيرك متروكا لتدبيره . وكن حافظا له ، بالإقبال على طاعته ، والإكثار من تلاوة كتابه وذكره ، يكن حافظا لك بتيسير أمورك : الظاهرة والباطنة . وأجر حركاتك فى سرك وجهرك ، على سنن الصواب .

واحذر أن يدخل قلبك حب الدنيا الخسيسة . ولتكن فى عينك أقل وأحقر من أن تشغلك عن ربك ، وعن ما يقربك منه ، ولا ترغب فى مصافاة أحد أبناء الزمان إلا إن كان خيرا . وحسبك مع من دونه ، المجاملة بالظاهر ، وسعة الصدر ، وسلامة القلب ، ولين الجانب ، وخفض الجناح لجميع المسلمين . وكن معلما لجاهلهم ، منبها لغافلهم ، مرشدا لضالهم ، تكن عند الله من الأئمة الهادين .

وعليك بالتوسط فى جميع أمورك : العادية وغير العادية ، حتى فى المأكل والملبس ؛ فإن الله لا يحب المسرفين ، ولا المقترين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إذا اجتمعت هذه الشروط فى الداعى ، رأى أثر الإجابة فى موقف الدعاء : صدق الرجاء ، وكمال حسن الظن بالمولى ، وحضور القلب ، وخشوع الجوارح ، وطيب الطعمة ، وصدق التوبة .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ : إلى فلان ابن فلان ، خطبه الله للحظائر القدسية ، والرياض الأنسية ، بسفير العناية الإلهية ، المنطوى تحت لطف نسيمه ، نسمات الهداية التوفيقية ، التى ينبعث بهـا القلب ، لطرح العلائق الكونية ، والرسوم الملكية ، ويشتاق عندها إلى التخلص من قفص الصور الظلمانية ، ليطير فى فضاء العوالم الملكوتية الغيبية ، فيجتنى طائر روحه فيها ، من ثمار المعارف الربانية ، ويرتوى من حياض مياه الفتوح الاختصاصية . ثم يؤذن له فى الطيران إلى عوالم الأسماء والصفات ، فيفنى عما شهد أولا . ثم يؤذن له أن يطير ، فلا يستطيع ، فيفنى الفناء الكلى ، الذى لا يبقى معه أثر ولا عين ، ولا كيف ولا أين ، ولا قرب ولا بين . فسر إن شئت أن تنظر . واعلم أن من دار حار وإلى الله تصير الأمور .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إعراض أهل الزمان اليوم ، مقصود كل عارف؛ لأنهم قد صار إقبالهم مقصورا على من ينفعهم ، وما ينفعهم فى أمر دنياهم فحسب .

وقال: من شأن المؤمن التقى أن يكون خاملا ، لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه، وما عليه من ذلك إن كان مصلحا فيما بينه وبين ربه . هـذه والله هى الغنيمة ، عند من له بصيرة مستقيمة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : كن بربك مستأنسا، وبه واثقا، وإلى فضله متطلعا وعلى بابه واقفا ؛ فإنه يجيب الدعاء . لا إله إلا هو إليه المصير .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه أطاعه ، ومن أطاعه استوجب المحبة منه ـ سبحانه ـ ومن صحت له المحبة من الله ، فهو الملك المطاع فى الوجود ؛ لأن الأكوان معك إن كنت مع الله . وأىّ معية أخص من معية المحبة . ومن حصل على هـذا الإكسير الخطير ، فاز بشرف الدنيا

والآخرة . وإلى ذلك الإشارة بقول الشيخ عمر بن الفارض ـ رحمه الله تعالى :

وفى سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الأكوان عبدا طائعا ولك الحكم

وقال ـ رضى الله عنه ـ : وصيتنا لك : أن لاتزال بقلبك واقفا على باب الله ، متوجها إليه بكليتك ، باطنا وظاهرا ، دائبا فى ذكره على كل حال . عليك بالذكر ، فإنه رأس مالك وأمرك ، ومفتاح باب الفتح ، خصوصا لا إله إلا الله ، فإنها روحه وجملته وإليها ترجع معانى جميع الأذكار .

وأحسن المحافظة على الصلوات الخمس ، وصل مع الخشوع والخضوع ، وأمسك لسانك إلا من خير ، ولا تبخل بشىء مما فى يديك ، فإن البخل من أبغض الخلق إلى الله الأعظم . وتنزه وتنظف من أقذار المعاصى ، بالبعد منها . واحترز من الوقوع فيها أشد من احترازك من السموم والنيران .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : عليك بملازمة الطاعة ، والتخلق بالقناعة ، ولا تحسب أنك تصل إلى نعيم الآخرة ، مع الميل إلى التنعم بالدنيا ، ولا تغبط المتنعمين بها ، فلو كشف لك عن قلوبهم المنكوسة ، ووجوههم المشوهة ، لكنت تفر منهم فرارك من الأسد . وما لابد منه من ضرورة المعاش ، فلو تكفل به مولاك لك ، ولكل دابة ، ما كلفك ، أن ترزق نفسك ، ولكن كلفك أن تطيعه ، وهو يرزقك ما لابد منه . فكلما كانت الطاعة أكثر ، كان الرزق أيسر وأوفر .

إذا جزعت النفس من المعيشة ، فذكرها أحوال أهل النار فى نارهم ، وأحوال أهل الجنة فى جنتهم ، فإن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر ، سكنت واطمأنت وإذا شوش عليك أهلك ، فاغلبهم بالصبر الجميل ، وقل لهم سلاما ، فإنهم من الجاهلين ، يريدون أن يهلكوك ، بالدخول فى مداخل السوء ، فلا عليهم إذا انقلبت إلى النار الموقدة .

وقال ـ قدس الله سره ـ : رأس المال : سلامة الدين ، والربح الأكبر : اجتماع القلب على الله ، وخير الزاد ، التقوى . ومن أخذ من نفسه لربه ، حمد المنقلب إذا رجع ، وعرف منة الله عليه ، فى توفيقه إياه للإقبال عليه . وما يلقاها إلا من صبر ولكل نبأ مستقر .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من أحكم البدايات وصل إلى النهايات ، ومن لافلا . وليس إلا الصبر فى أوائل الأمور ، حتى يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده ، فيذهب الكسل ، ويرتفع الثقل ، ويأتى الرّوح والفرج ، عوضا من الضيق والحرج .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الله معك ما اتقيته ورغبت فيما عنده ، وغمضت عينيك عن النظر إلى هذا العرض الفانى ، ومن الأشياء المفضية إلى موت القلب .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : حسن الظن بكل مسلم واجب ، وإعجاب المرء بنفسه شر لازم ، واشتغال الإنسان بما هو الأولى به دليل على توفيقه وعناية الله به .

وقال ـ نفع الله به ـ : الزمان مفتون ، وأهله ناكبون عن سبيل الله ، والنفس جموح ، والتزلزل من أخلاقها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال ـ نفع الله به ـ : من لم يكن معه بضاعة واسعة ، من الصبر واليقين فأمره فى غاية الخطر ، إلا أن يتسبب فى تقوية يقينه ، وتنمية صبره ، فاعتبر واذكر ، وكن رجلا لنفسك ، تحمد العاقبة ، وتفز بالعاقبة . وفقك الله .

وقال ـ قدس الله سره ـ : إن فلان بن فلان هتك الله عن قلبه سحاب الغفلة ، المانع من رؤية الأمور ، على ما هى عليه ، ولست أعنى تلك الرؤية ، العلم الواسع ، من طريق الحواس ؛ فإن ذلك حاصل ، وتحصيله لطالبه غير متعسّر ،

بل أعنى بها رؤية القلب ، المشار إليها باليقين الخالص ، الجارى مجرى المشاهدة للغيب ، أو هى بينها . وذلك موقوف على الجذب الربانى ، أو السلوك المعتبر على يد العارف المتمكن النورانى .

وقال — جزاه الله خيرا — : لا تخل وقتك من مطالعة شىء ، من كتب سيدنا حجة الإسلام ، إن كنت تريد أن ترافق الرفيق الأعلى .

وقال — رضى الله عنه — : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى جعل الموت تحفة لكل مؤمن ، وزلفة لكل محسن ، وأعنى به العارف المتمكن ، المخصوص بالأدنى ، وإنما كان من لفاله ، مع أنه قد كان قبله فى عين الجمع والشهود ، عاكفا بروحه فى حضرة الشاهد المشهود لشان . وهو أن الإنسان ، وإن كان من أهل العرفان ، فإن ما دامت روحه فى هذا الجسد الظلمانى الفانى ، لا يتم له انكشاف الجمال الربانى النورانى ، ولا يتم تخلص الأرواح عن الأشباح إلا بالموت . وعنده يكمل الانكشاف والإيضاح ، لصيرورة ظلمة ليل أحد من أهل الصلاح ، المشهود لهم بالفوز والفلاح .

وقال — نفع الله به — : لا يذهب ذاهب إلى الآخرة ، من هذه العصابة الطاهرة الظاهرة ، إلا ويخلفه مثله سويا . ثم قال : نسأله — سبحانه — أن يمن علينا وعليكم ، بالسير والذهاب فيه ، والاشتهار والاستغراق ، بمشاهدة أنوار سبحات جلاله ، وكمال حضرته ، ويمدنا عند سطوع سطوات نواميس أنوار شموس الحقيقة ، بقوة من لدنه ، نقدر بها على القيام بحفظ الشريعة ، وسلوك الطريقة ؛ فإنه إن يرزق الحق المطلق ، غير مقرون بحول الله وقوة من الله ، تلاشى العبد وانمحق ، ولحق والتحق بالمعدوم المضمحل . وبذلك ينقص مقداره ، بالنسبة إلى أقدار المحققين . والعافية أوسع واللطف أشمل ، ومن الحجاب رحمة ؛

فإنها لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكنوناته ، كما قيل . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وكتب ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : أصلح سريرتك ، وهذب أخلاقك ونفسك ، واقبل على آخرتك ، واقنع بما قسم لك ربك ، ولا تهتم برزقك ، ولا تغفل عن ذكر سيدك . واترك ما يشغلك عنه ، وجانب ما يبعدك منه ، وتمسك بالحق ، وأعرض عن الخلق ، وأمسك لسانك إلا من خير ، ولا تحرك جارحة من جوارحك إلا فيما ينفعك غداً .

فإن عملت بهذه الوصية ، عن يقين بالله واليوم الآخر ، ومحافظة على الفرائض ، مع اجتناب المحارم ، صلح أمرك ، وانشرح صدرك ، واستنار قلبك بنور ربك . ذلك هو النور ، المعبرّ به عن الكشف والبيان ، على لسان أهل العرفان ، فناء بالله الحنّان المنّان ، عن جميع الأكوان ، العال منها والدان . حبذا ذاك الفتوح ، فلا حرمنا الله وإياكم هذه المنوح .

وقال : المدح الواقع على الفقر كتابا أو سنة ، المراد به : الفقر المقرون به الصبر والرضى ، وحسن الأدب مع الله . والذم الواقع على الفقر ، المراد به : فقر مقرونا بتسخط المقدور ، وضيق الصدر بموانف القضاء ، حتى ينتهى بصاحبه إلى الاعتراض على الله فى تدبيره . والفقير الراضى الشاكر على فقره من الله ، بمكان لايبلغه الغنى ، وإن بذل نفسه وماله فى سبيل ربه . والفقير المتسخط أشر من شرار الأغنياء ؛ لأن بليته فى الاعتراض على الله ، وهو أمر فظيع . وأما بلية الغنى ، فنهايتها الاغترار بالدنيا ، والتمتع بها ، على وجه غير مرضى .

وقال : إنما الشأن أن يرجع الإنسان عندما تفجؤه الشدائد ، إلى الله بديهة من غير فكر ولا نظر ، ولا تعريج على شىء من الأكوان . فإن عرج على شىء

منها فى الأمر الإلهى ، كان مع ذلك بظاهره وقلبه وسره ، مع الله الذى إليه يرجع الأمر كله ، وبيده الخير كله ، وهو على كل شىء قدير .

وقال — رضى الله عنه — : إذا علم العاقل أن الصبر من أعظم الفضائل وأجل الوسائل ، اعتمده واتصف به عند نوب النوائب ، ودور الدوائر ونزول النوازل وعدل عن الجزع والتبرم ؛ لعلمه بأنه متعب فى نفسه ،وهو مع ذلك مفوت للثواب وموجب للمقت والعقاب ، فيفوته بجزعه رضى مولاه ، وكريم ثوابه وجزاه ، وذكره وثناه من غير أن يعود له ما ذهب عنه ، ولا يرجع إليه ما سلب منه ، ولو لم يكن فى المصائب والبلايا ، إلا التعريف بشأن الدنيا الدنية الداعى إلى الزهد فيها ، وإيثار الآخرة عليها لكان ينبغى للعاقل أن يعده من النعم العظام . كيف — وفيها أعنى المصائب — الثواب العظيم والجزاء الكريم فى جوار الله البر الرحيم . وما يلقاها إلا الذين صبروا . وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وقال — نفع الله به — : السعيد الميمون من رضى بمر القضاء ، وصبر عند حلول البلاء ، وجانب السخط والجزع ، وسلم أمره إلى الله تعالى مكتفياً بعلمه ، ومسلماً لحكمه .

ومن علم أن الله هو المبتلى له ، والقاضى عليه بما وصل إليه وعلم مع ذلك أنه — سبحانه — رحيم به ، لا يختـــار له إلا ما هو الأحسن والأبقى ، طاب قلبه ، واستراحت نفسه ، عند شعورها بنوازل القضاء كما قيل :

وخفف عنى ما أجده من البلا ‏ ‏ بأنك أنت المبتلى والمقـــدر

وما لامرئ عما قضى الله معدل ‏ ‏ وليس له منـــه الذى يتخـــير

ثم قال : إياك والجزع ، واحذر من لو ولم وكيف؛ فإن الأمور كلها ما كان وما يكون ، قد جرى بها القدر ، وسبق بها القضاء ، فى العلم المكنون . وقل

ما يرضى ربك : إنا لله وإنا إليه راجعون . لتكون من الذين عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون .

ثم قال : ليست الدنيا بدار بقاء ولا خلد ، ولابد من الفناء والمصير إلى الدار الآخرة ، سواء طالت الأيام ، وامتدت المدد ، أو قصرت. ولو لم يكن فى للصائب ـ بعد الرضى بقضاء الله والفوز بثوابه ـ إلا التعريف بشأن الدنيا ، المقتضى للزهد فيها ، وإيثار الآخرة عليها لكان ينبغى للعاقل أن يفرح بها .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ـ : اعلم أن الورع مهم ، لا طريق إلى الله بدونه ولا يستطيق إلا من وطن نفسه على الصبر على القلة ، وراضها حتى تقنع بالميسور من غير التفات إلى الشهوات ، ولا تفريج على اللذات ولا ميل إلى الراحات . هذا حكم من أراد الوصول إلى رفيع الدرجات ، ومجاورة الحبيب على السلام فى فسيح الجنات . ومن لعبت به الأهواء ، ومالت به زينة الحياة الدنيا ، فلا كلام لنا معه ، إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : شيخ الفتح : هو الذى يربى المريد ، بحسن عنايته وسديد نظره ، وشيخ الرياضة والتهذيب ، وشيخ التعليم والإفادة. ولا بد فى هذين من المعرفة فى الجانبين من اعتقاد التعظيم ، والأهلية فى الشخص المعين .

وقد تجتمع المراتب الثلاث ، من مراتب المشيخة ، لبعض الشيوخ على الندور وذلك هو الشيخ المطلق ، بل هو الإكسير العزيز ، والكبريت الأحمر الذى يتحدث به . وقلّ ما يوجد ، ولكن فضل الله واسع ، وجوده شامل . وإن اندرست الطريق ، وغابت نجومها ، فالقدوة صالحة ، والإمكان واسع ، وغير مستحيل أن يوجد فى هذا الزمان المبارك ، من يجمع الله له هذه المراتب، ويرشد إليه من يريد إيصاله إلى مراتب الولاية من خلقه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : اعلموا أن الفضل كله فى عمارة الأوقات ، بفعل ما يقرب من الله ، ومجانبة الغفلة ، ومؤاخذة النفس بالجد ، وإكراهها على ما يعود عليها نفعه ، ولا تغفلوا عن قيام شىء من الليل ، مع ملازمة الذكر لله ، فى كل حين . وجانبوا صحبة ومعاشرة الغافلين . وفقنا الله وإياكم والمسلمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الصبر سلم إلى كل خير ، والصدق عصمة من كل شر . وكل من تلقى بوادر الزمان ، الدالة على خبث الضمائر ، وإظلام السرائر بالاستنكار والاستبعاد ؛ دل ذلك منه على قلة المعرفة بأحوالهم وأحوال زمانهم ؛ والمعرفة بذلك أمر مهم ، متعين على أرباب المراتب الدينية والدنيوية خصوصا . وذلك أن العرى والروابط التى كانت فى قلوب أهل الإيمان قد انفصمت وانحلت أو كادت ؛ يعرف بذلك من مارس أخلاقهم ، وشاهد تقلباتهم ، فى معاملتهم الحقيقية والخلقية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . تمسكوا بكتاب الله ، واعتصموا بحبل الله . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : التودد والتعاطف الذى جعله الله بين المؤمنين برحمته ، كالشجرة. والمزاورات والمراسلات وما فى معناها، كالسقى لتلك الشجرة وبه ترسخ أصولها ، وترتفع فروعها .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من كل شىء بدل إلا الله ، والعمل بطاعته الذى لم يجعل سبيلا لعباده إلى النجاة من عذابه ، والفوز بثوابه إلا به ، وأى أمر تعذر عليكم ، فارجعوا إلى الله فيه ، وانزلوا ببابه ، وتوجهوا إلى الله ـ سبحانه ـ على سمت الفقر . وقفوا بين يدى الله على أقدام الذلة ، ويكون ذلك شعاركم على الدوام .

فاقصدوا الاجتماع على ذلك ـ أعنى إنزال الحاجة ، وطلب قضائها من الله ، في جوف الليل ، وقت غفلة الغافلين عن الله ؛ فإن له فى ذلك الوقت دنوًا خاصا إلى عباده المستيقظين له .

وقال ـ نفع الله به ـ : لا أبلغ فى تنوير القلب وإزاحة الهموم والغموم عنه ، من قراءة القرآن بالتدبير ، وملازمة قول : لا إله إلا الله ، على الدوام . وفى الفكر ، فى انصرام الدنيا ، وتنغيص لذاتها . وبقاء الآخرة ، وصفاء نعيمها من الأكدار والمنغصات .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفعنا به ـ : الزمان وأهله فى الجهة وغيرها ، مستيقظون للدنيا ، غافلون عن الآخرة ، مجتهدون فى جمع الحطام ، واكتساب الآثام ؛ قد نبذوا الحق وراء ظهورهم ورفعوا الباطل على رءوسهم ، وماج بعضهم فى بعض ؛ هذا يظلم هذا ، وهذا يداهن هذا ، وهذا يوالى هذا على ما لا يحبه الله ولا يرضاه . هذه صفتهم إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ؛ فتحققوا بالتقوى ، وتمسكوا بالعروة الوثقى ، واحذروا من أهل الزمان . وخذوا حذركم منهم ، واحرصوا على ماينفعكم عند ربكم . وهذه وصيتنا لأنفسنا ، وأنتم كالنفس . قدس الله روحه ، ونوّر ضريحه . الحمد لله الذى بطن فى ظهوره ، فلم تتصوره الأفكار ولم تدركه الأبصار ، وظهر فى بطونه ، فعلمته العقول ، وآمنت به القلوب وشاهدته الأسرار ، بأعين الأبصار . وذلك للإبصار ببصائر الأنوار ، فى غيب الغيوب ، المنعوت بالاستتار ، صيانة له عن الأغيار .

وذلك للمقربين الأخيار ، ففرق بين المنازل والأطوار . ولا تقف مع من حار ، ولا تدر مع من دار . ولكن شمّر ، وسر مع من سار ، إلى أن تبلغ الدار ، وتشاهد الجار . نعم الجار ، ونعم الدار .

وقال ـ نفع الله به ـ عند قول الشيخ السودى ـ رحمه الله ونفع به ـ :

وامح العلوم وما قد كنت تكتبه فمحوه واجب من كل مكتتب

محو العلوم الجارى على ألسنة القوم ، يقع على معنيين : أحدهما محو كل ما يشعر به القلب ويتصوره ويخطر فيه ؛ مما يشغل عن التجرد للسير إلى الله. وذلك فى حال البداية ، ولا يتم سلوك السالك به . والثانى يكون عند مقاربة الوصول إلى حال الفناء ، وهو محو جميع الأذكار والتصورات والأفكار ، وكل شىء يتصور أن يكون للقلب به تعلق أو إليه التفات ؛ ذلك وجمع الهمم على الله ، ويتقرر فى القلب ذكر الله وقصده ، والتوجه إليه .

والمحو ـ ها هنا ـ : عبارة عن عدم السكون إلى الأشياء والاعتماد عليها ، مع الاجتهاد فى محو علائقها المتعلقة بالقلب ، تكلفاً فى أول الأمر إلى أن يصير ذلك حالا . وهو حال الفناء ، ومن شأن محو ما لا يدخل تحت الاختيار ، من الصوارف عن الله . وفى هذه الحالة يغيب الإنسان ، ويذهل عن كل شىء سوى الله حتى عن نفسه ، وعن فنائه ؛ وذلك بطريق الذوق ، لا بطريق العلم . ومن وراء ذلك حال البقاء لمن شاء الله به الإمامة ، وأهّله للخلافة . وفيه يقع الإثبات بعد المحو ، على وجه لا يشغل عن الله ، ولا يمنع من إفراد القلب له .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ إلى بعض الأصحاب : وليس المانع لك من الزيادة كثرة الذنوب ـ كما زعمت ـ وإنما المانع لك ما وطنت عليه نفسك ، من الفشل والكسل ، وتأخير الأمور من وقت إلى وقت ، من غير عذر ظاهر ؛ وهذا داء عظيم إذا استولى على النفس ، فوّت عليها خيرات كثيرة . وبئس العبد عبد لا يحمل نفسه فى قهرها على ما يعود عليها نفعه . وكل شىء مقدر .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ : وقد وصل إلينا كتابك المبارك ، وحصل به الإيناس ، وحاصله طلب الدعاء ، وإظهار الرغبة فى سلوك الطريق ، والتلهف والتعطش لذلك ، والتضجر والتبرم بسبب عوائق وعوارض وذنوب وغيرها . فاعلم ـ هُديت وكفيت ـ أنا باذلون لك الدعاء ولغيرك ، من المنتسبين إلى أهل الله خصوصاً ، والمسلمين عموماً . ثم إن الرغبة فى سلوك الطريق ، بدون الجد والتشمير ، والمجاهدة للنفس ، والمخالفة لهواها ؛ لا تغنى شيئا . وحصول هذا كله لا يتم خصوصا فى هذا الزمان ، إلا بنظر رجل كامل من أهل الله ، يندرج فيه الطالب ، ويقف نفسه عليه . والصدق مرقاة إلى كل محبوب ، ووسيلة إلى كل مطلوب . فعليك بتصحيحه وتحقيقه .

وأما العلائق والعوائق ؛ من أى حيثية كانت ، فيكفيك فى قطعها أن تتوب منها ، إن كانت ذنوبا ، أو تعرض عنها ، إن كانت وساوس وخواطر ، أو التفاتا إلى الخلق ، واهتماما بالرزق ، إلى غير ذلك .

وأصل التصوف: الهمة العالية التى لا يرى السالك معها شيئا سوى الله تعالى ، ولا يستعظم شيئا يصده عن مطلوبه ، وإن بلغ ما بلغ إلا وتركه . ولا شىء يعينه على مطلوبه ويقربه منـــه إلا ويركبه . قال إبراهيم الخواص : ما هالنى شىء إلا ركبته .

فإذا صحت للسالك هذه الهمة ، مع نظر شيخ متمكن ، أو عناية إلهية ، مع ذكاء تام ، وفطرة سليمة ؛ صار مطلوبه كأنه طوع يده ، ولم يبعد عليه شىء ، لـكن هذه الأمور ، يعز وجود البعض منها ، فضلا عن سائرها ، فى هذا الزمان المبتور المنقوص .

فعليك بتجديد التوبة فى كل وقت ، وملازمة الاستغفار ، والصـــلاة على رسول الله ﷺ فى كل حين ، وحسن المحافظة على الصلوات الخمس ، وإضمار

الخير لجميع المسلمين، وكف اللسان عن الوقيعة فيهم، والمداومة على ذكر الله تعالى مع تكلف الحضور، والإكثار من النظر في كتب القوم؛ خصوصاً منها كتاب الإمام الغزالي.

وحافظ على قيام شيء من الليل، وأكثر من التضرع والدعاء فيه، وتحقق بشهود التقصير، والإفلاس من العلوم والأعمال؛ فإن من تحقق بهذه الأشياء، ولازمها – كما ينبغي – أدرك مافاته، وحصل على ما أمّله – إن شاء الله – والسلام.

وقال – نفع الله به – : لا يصح وجود المحبة إلا بموافقة المحبوب فيما يأتي ويذر؛ حسب الاستطاعة. والمحبة دعوى لا تثبت حتى تقوم لها بينة الموافقة. فالذي يدعي محبة شخص، وهو مع ذلك يخالفه في أغراضه ومراداته التي يقدر عليها، ولا يوالي من يواليه، ولا يعادي من يعاديه، يقضي العقل بتكذيبه. نعم لا يشترط لحصول هذه المعية المساواة للمحبوب، في جميع أعماله؛ فإن ذلك يقتضي المماثلة فيما تستطاع مماثلته. فقد علمت أن المحبة لا تصح بدون الموافقة أبداً.

وقال – رضي الله عنه – : العابد يكون له في ابتداء أمره حدة في العبادة، يتجاوز حد الاقتصاد والوسط، المشروع لعامة المسلمين. وذلك كمال في حقه، إن ثبت عليه، ولم يخرج به إلى ما يضر به عقله، أو جسمه، ضرراً ينكره الشرع؛ فقد رجع إلى السنة. وإن رجع منها إلى التفريط الذي هو التضييع والإهمال، والإعراض عن العبادة، فقد رجع إلى البدعة.

وإذا جدّ بالإنسان باعث العبادة، والتبتل إلى الله، فقد يقوم الليل كله، ثم إنه ولا بد أن يفر من حيث البشرية التي خلق عليها فإن رجع من قيام الليل إلى قيام نصف الليل أو الثلث؛ فقد أصاب السنة. وإن ترك القيام، فقد وقع في البدعة؛ هنا مخالفة هدى السلف الصالح – رضي الله عنهم.

وكتب ـ رضى الله عنه ـ : ذكرتم أن لكم تعلقا ومودة ، وميلا إلى من يدلكم على الله ، ويعرفكم بطريقه . فالحمد لله الذى أنعم عليكم بهذه النعمة ، التى لا يشكرها إلا من عرفها . ولا يعرفها إلا من نوّر الله قلبه بنور اليقين ، وأيقظ عين فؤاده من سنة الغافلين .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن لم تكن أهلا للكلام على طريق الله ، وبيان أحكامها وأحوالها . فإنا ـ والحمد لله ـ ننتسب إليهم ، ونعبر عن لسانهم ومواجيدهم ؛ بما وصل إلينا من علوم ، غير مدعين لأحوالهم ، ولا مكابرين فى الاعتراف بالخلو عن أذواقهم اللطيفة .

وقال ـ نفع الله به ـ : الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، من أجلاء المحققين ، المطلعين من أسرار الله على أشياء خفيت عن المتقدمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن المكاشفات بالجلال والجمال ، لا تدوم أبداً . وإن دامت على العبد أخرجته عن التمييز ، وغيبته عن شعوره بنفسه وبشريته ، كما قد وقع ذلك لبعضهم مدة ، ثم يذهب .

وإذا فات بسبب هذا الاستغراق شىء من الفرائض اللازمة ، كالصلاة والصيام ، فقد كانوا يقضونه .

ومن شأن السالك أن تبدو له الحقائق ، وتستتر عنه ، ولا يزال حاله كذلك ، حتى يصير من المتمكنين ؛ فإذا صار منهم ، بقى على حال لم يشغله الخلق عن الحق ، ولا تخرجه الحقيقة عن الشريعة ، ولا تحجبه الشريعة عن الحقيقة ، وتكون بعض الحقائق مكشوفة على الدوام ، ويحتجب عنه بعضها ؛ فى بعض الأوقات ، وتكشف له فى وقت آخر ، وقد يباشر من هذا وصفه حال معيشته ، من سبب ، أو صناعة ، ولا يضره ذلك ، ولا يحجبه عن ربه .

وقال ـ قدس الله روحه ـ : لا ينبغى لأحد أن يقدر صدور الأمور القبيحة عن أهل الطريق ، المنسوبين إلى الله ، الذين ظهروا واشتهروا بتوليته تعالى لهم ، وموالاته ، وتقريبه واصطفائه إياهم ؛ فإن الله يحفظهم عن مثل ذلك ، ويحول بينه وبينهم ، فضلا وكرما . بل ينبغى للمعتقد فيهم : أن يعتقد أن فى قلوبهم وسرائرهم ، من الخير والنور ، والكشف والعلوم والحكمة ، ما لا يقدر قدره ، ولا يتنـاول حصره ، وأن الذى ظهر على ظواهرهم من ذلك ، ذرة من رمل ، أو قطرة من بحر . فبذلك يعظم نفعه ، ويتسع له المدد منهم . وفقنا الله وإياكم لإصابة الصواب ، فى النيات والأعمال . وعصمنا وإياكم من الشك والارتياب ، فى جميـع الأحوال . ورزقنا كمال المتابعة لرسوله ﷺ ، وعلى آله وأصحابه ، بالغدوّ والآصال .

وقال ـ نفع الله به ـ : هلمّ يا أخى وولى ـ حفظك الله ـ إلى طىّ المفاوز النفسانية ، وقطع الفلوات الظلمانية ، بملازمة الأوراد ، ومصاحبة الجد والاجتهاد ، إلى أن يفتح الله رب البرية ، وتجىء المواهب اللدنية ، والمنوحات الإلهية ، مما لا يخطر على بال ، ولا يتصور فى خيال .

وقال : فى الأوراد رياضة للمريد ، وفيها يجد العارف البركة والمزيد . ومرتبتها من الواردات ، مرتبة الأجساد من الأرواح .

والسر كل السّر ، فى ملازمـة التوجه ، وإدمان قرع الباب ، فى التحلى بالافتقار ، والانكسار بين يدى الملك القهـار ، على دوام الأحوال ، لاسيما فى جوف الليل ، وعند الأسحار .

قال سيدى الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيـدروس : من أراد الصفاء الربانى ، فعليه بالانكسار فى جوف الليل .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الذى أوصيكم به حسن المعاملة فيما بينكم وبين الله ، وفيما بينكم وبين الدنيا . وعاملوه ـ سبحانه ـ على المحبة والتعظيم . وإن عاملتم عباد الله ، بتوفية ما لهم من الحقوق وترك مطالبتهم بما عليهم لكم منها ، فأنتم من السابقين . وإن أنصفتم وانتصفتم ، فإنكم من المقتصدين . ومن استوفى ولم يوف ، فهو من الظالمين .

وعليكم بلزوم الخشوع والحضور مع الله ، خصوصا فى الصلاة ، ولزوم الانكسار ، والإكثار من الاستغفار ، ولا سيما فى الأسحار . لا يأتى عليكم هذا الوقت المبارك ، إلا وأنتم مستيقظون .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن الخواطر القهرية ، من أنواع البلاء الذى يثاب عليه المؤمن ، إذا قام بالأدب الواجب للحق فيه ، فلا سلطها الله على العبد ، إلا ليرجع إليه ، فاراً بانكساره واضطراره ، فيجيبه الله إذ ذاك ، من يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء .

وقال : أسرار النبوة ، ولطائف معانيها ، وخواص مداركها ، يعسر إدراكها من كل وجه إلا على من أقيم فيها . وقد أغلق بابها ، بموت رسول الله ﷺ والبحر واسع ، وكل يسبح فيه ، على قدر نصيبه ، وما قسم له من ربه .

وقال : أهل هذا الزمان مطبوعون على الضجر والسآمة ، وقلة الصبر . وقد درج أهل الحق ، والواحد منهم يبقى طول الليل ، فى تأمل الكلمة والكلمتين ، ولا يمل ذلك ، ولا يخرجه . فالصبر الصبر ، والمرابطة المرابطة ، فإن الأمر كما قال الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ الجود يفقر والإقدام قتـــال

وقال : إنا نسمح عند المذاكرة والمشافهة ، بالشيء من هذا العلم ، وإن كان دقيقا يحتاج إلى كلام ، ولا نسمح بمثله ، فى الكتب والمكاتبات ؛ لأن هذه المذاكرة يعقلها ويعيها من هو من أهلها ، ومن ليس منهم . فعارض يعرض له ، وشيء يمر به ، لا يبقى فى يده منه شيء . وهذا من بعض التأييد الذى أيده الله هذه الطائفة ، ولا هكذا ما يرسم فى الدفاتر ؛ فإنه عرضة للبر والفاجر ، فافقه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ، قد صار من فوائد الآخرة ، فى هذا الزمان المبارك ، الكثير الحال ، والكثير المحال ، الذى علا فيه الباطل واستطال ، فصار الحق وأهله تحت النعال ، كترؤس الجهال ، وتصدر الأنذال . هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

فالعاقل من عرف زمانه ، وجد فى إصلاح شانه ، وسد أذنيه ، وأغمض عينيه ، وكف لسانه عن كل ما لا حاصل له ، ولا طائل تحته . وأعرض عن هذه الدار المرة المذاق الوشيكة الانمحاق ؛ عزفت عنها نفوس الأكياس ، وتعلقت بها همم الأوباش .

وقال ـ نفع الله به ـ : للخشية علامتان : ترك ما يشغل عن الله ، كائنا ما كان ، والعكوف على محاب الله ، والتشمير فيها بحسب الإمكان . وتمام هذا الأمر ، بالاعتماد على الله دون كل شيء ، والاستعانة به فى كل شيء ، وإيثاره على كل شيء .

ثم قال : والذى نوصيكم به : ملازمة الخشية لله ، ومصاحبة التشمير فى طاعته ، ومجانبة الكسل والتقصير ، ومباعدة أهل الغفلة ، والاحتراز منهم إلا عند الابتلاء بمخالطتهم ، وإقامة حق الله فيهم ، بالأمر والنهى فى محله ، بلطف وإظهار ، وشفقة وتأنّ بهم . إن لم يقبل منك اليوم ، فعسى غدا وبعد غد . فإن

ظهر لك إصرارهم ، وعدم ميلهم إلى إقامة الحق الذى عليهم ، فارفضهم إلى النار — أعنى من هذا وصفه — وهو الإصرار على مخالفة أمر الله ، وإضاعة حقوقه ، من غير مبالاة . واحفظ نفسك من ركوب التأويلات ، وإيثار الرخص ، والدخول فيما تعلم أنه ليس من شأن أهل الطريق ، وتعتمد على التوبة والاعتراف بالتقصير ؛ فإن ذلك لا يغنى شيئا ، وليس من شأن أهل الحزم . وكلامنا هذا يتوجه عليك أن يجب أن تلحق بأهل الله . وإن اخترت أن تكون فى عامة المسلمين وأوساطهم، فالحق واسع . فاحتفظ بهذه الوصية ، وتمسك بها ، وطال ما التمستها منا ، فلم يسمح بها الوقت إلا الآن وهى وصيتنا لأنفسنا وجميع إخواننا .

قال — رضى الله عنه ، وأرضاه ، ورحمنا به — هو سبحانه وتعالى — أعلم بحاجة عباده وضروراتهم، وقد أمر بالدعاء والتضرع، وإظهار الحوائج والفاقات باللسان ، فى مناجاته ولذلك يذكر ويلتمس من أهل التوجه وأهل الوجاهة عنده . ولولا ذاك الإذن الإلهى ، لوجب السكوت ؛ لأنه أقرب إلى الأدب ، والاكتفاء بالعلم القديم ، والتدبير المحكم ، والقضاء السابق ، والربط التوفيقى . فالحمد لله على السعة والإذن فى الدعاء ؛ فإن فيه للمؤمن راحة عظيمة ، لما فيه من مناجاة الحبيب ، والتملق بين يديه .

وقال — رضى الله عنه — : الله الله فى حفظ قلبك ، ومراقبة سرك ، وعمارة وقتك ، وحفظ أنفاسك ، ومجاهدة نفسك ، وإكراهها على القيام بما يجب لله منها ، وترك ما يسخط عليها . واعزم واصبر ، فلابد من التعب فى تحصيل شرف الآخرة . والله معين من صدق فى توجهه ورغبته وإقباله .

ومما كتب : التزموا ما أشار عليكم به الفقيه ، من تسليم ما تعلمون ، وقول :

الله أعلم فيما لا تعلمون ؛ واستشعروا التواضع ، والخشوع له فى الباطن ، مع الاعتراف بمعرفته ، والاشتغال بشكره ، على ما علم وألهم ، مع طلب المزيد ، ومطالبة النفس بالعمل ، والتخوف من سلب النعمة .

واعلم أن للعلم معنى وصورة . وقد سلب أكثر المتوسمين بالعلم معناه ، مع بقاء صورته ؛ لسوء أدبهم ، وعدم قيامهم بحق الله تعالى ، فى إخوانهم من المسلمين . ولو بيّنا ذلك لافتضحوا ، وما استقروا . ومولانا ـ تعالت قدرته ـ أمر بالستر ويحبه ، فاعلم وافهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : المريد : من تمحضت فيه إرادة وجه الله والدار الآخرة ، بجميع حركات سرائره وظواهره لمعاده . وهذا أمر عظيم ، إذا صح واستقام فتأمله . والصوفى ـ كما قال بعض العارفين ـ : من صفا من الكدر ، وامتلأ من العبر ، واستغنى بالله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر . والتصوف ـ كما قال بعضهم ـ : هو الخروج من كل خلق دنىء ، والدخول فى كل خلق سنىّ . فمن صفى أعماله وأقواله ونياته وأخلاقه من شوائب الرياء وأخلصها عن كل شىء يسخط المولى ، وأقبل بباطنه وظاهره ، على الله وعلى طاعته ، مع الإعراض عمن سواه ، وقطع العلائق الشاغلة ، عن التجرد لهذا الأمر ، من أهل ومال وشهوة وحظ وهوى نفس ، وكان جميع ذلك مقرونا بالعلم ، واتباع الكتاب والسنة ، وهدى السلف الصالح ، فهو الصوفى الكامل ، والله أعلم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ السلوك : عبارة عن سير القلب فى تحقيق أخلاق الإيمان ، وتصحيحها ، وتحقيق مقامات اليقين وإحكامها ، والسير فى ذلك ، من منزل إلى منزل ، والترقى من مقام إلى مقام ، من البداية إلى النهاية . وهو سير

باطن ، فى طريق باطن . والمنازل يعبرون بها عن الواردات الربانية التى يفتح الله بها على الأسرار والقلوب . والاصطلام ، يعبرون به عن وارد ربانى قوى ، يستولى على العبد ، فيأخذه عن إحساسه وشعوره بالكلية . وهذا إنما يكون وروده على الندور . وإذا ورد فلا يبقى طويلا ، وإن بقى التحق صاحبه بأهل الوله والتوله من المجاذيب ، وهم من أقسام هذه الطائفة .

وكتب — نفع الله به — إلى بعض أمراء حضرموت ، بسبب أشياء حدثت من الظالم ، فى رعيته : اعلم أن هذه الأمور التى حدثت ، والسيئات التى تجددت ، لم يقبلها منا قلب ، ولا عقل ، ولا حسّنها لنا مقتضى دين ، ولا ميل هوى ، وإنا لنرى فى طيها — إن استمرت — البلايا القطيعة ، والرزايا الشنيعة . ومن لم يصدق بالخبر ، فسوف يشاهد بالعيان . ورب صغير يلد كبيراً . والنظر فى أوائل الأمور لأواخرها ، وصف كل حازم ، وتلافى الصوادر بعد صدورها ، من غير قرب عسير ، وأنتم العين والأذن واللسان ، فى سد ما انفتح فى هذا الأمر ، وأنتم أعلم بالجهة وأهلها ، وبما تدور أحوال معاشهم ، وما هم فيه من الضنك ، وركاكة الحال . وعليكم بالنصيحة البالغة ، والتعريف الكافى ، مقرونا بغاية الرحمة والشفقة ، والتوجع والتألم ، كذلك . وهذا من أفضل ما تتقربون به إلى الله ، وتعدونه لآخرتكم التى إليها رجوعكم هكذا يكون حالكم وشأنكم ، فى هذا الأمر ، إن كنتم براء عن التسبب فيه ، كما شاع ذلك عنكم ، وكما هو الظن بكم . وإن كنتم على خلاف ذلك ، فالله حسبكم ، وقد جلبتم إلى أنفسكم وإلى رعيتكم ما لا يطيب العيش بعده . ومع ذلك فالتلافى ممكن ؛ فإن العاقل يهمه الخلاص من الورطات ، ولا يشوده الانتعاش من السقطات . والجواد قد يعثر ، والمستقيم والراجع أخو المستقيم قد يميل . ولا يثقلن عليكم هذا الكلام ،

ولا يوحشنكم ؛ فإنه ـ إن شاء الله ـ كلام ناصح مشفق ، متخوف عليكم ، وعلى المسلمين ، ما يؤول من هذه الأمور ، وما يتفرع عنها ، من الأضرار الدينية والدنيوية . وأما نحن فمنتظرون إشارة باطنة . وعند حصولها ، نشمر فى كشف هذه الأمور ، بكل ما نقدر عليه ، ونراجع فيه من تجدى مراجعته . وقد عرف بالرجوع إلى الحق ، وحسن النظر ، والرحمة والشفقة على من ولاه الله أمرهم ، واسترعاه حقهم . وذلك هو الإمام .

ثم قال : إياك والعجلة والاستشاطة عند النظر فى هذا الكتاب . وتأمله وانظر فيه بتأن وإنصاف ، تصب الحق ـ إن شاء الله ـ .

قال ـ قدس الله سره ـ : لما رأى بعض الفضلاء والأخيار ، الذامين الزمان وأهله ، وما هم عليه من الكسل عن العبادة ، وقلة الرغبة فى الخير ، يرى أن جمعهم على الذكر لله ؛ مع إدخال شىء فيه ، من الأشعار الصحيحة المعانى والمبانى ، مما لا يأس به ؛ لأن للنفس ميلا إليها ، فيقودهم بواسطته إلى الاجتماع على ذكر الله ولكل امرئ ما نوى ، والمطلع على السرائر هو الله . ومن ساء ظنه ، وخبثت طويته رأى الحسن قبيحا . ومن لم يعرف الحق ، وجب عليه طلب معرفته من أهله ، وكل ما خالف الكتاب والسنة ، فهو رد ، وكل ما فارق هدى السلف ، فهو شر إن كانت المفارقة على سبيل المضادة ، وإلا فالحق واسع ، والجواز غير الفضيلة . وليس الجائز كالمندوب ، ولا المندوب كالواجب .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن فلان بن فلان ، فتح الله من ثلمة شعاب الحكمة والعلوم الإلهية ، وفجر من أراضى سره ينابيع الفهوم الإنسانية ، وألف بين المفتحين المذكورين تأليفا بديعا ، لا يقدر عليه غيره ، يتفرع عنه من العوارف والمعارف ، والعجائب والطرائف ، ما يكل الواصف عن وصفه ، ويسكر الصاحى من ممزوج شرابه ، فضلا عن صرفه . اللهم آمين .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : وصف المؤمن العاقل اللبيب الفاضل : كلما ازداد علماً ازداد طلبا وتعطشا ؛ والعارف كذلك فيما هو فيه . قال : وقول الإمام الغزالى : ليس كل واحد له قلب ؛ يريد ـ رحمه الله ، ونفع به ـ القلب الحقيقى ، الذى يفقه ويعقل عن الله . وهـــو معنى شريف ، قائم بهذا القلب الصنوبرى اللحمى ، الموجود لكل أحد . وعلى ما ذكر يتنزل قوله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » يفقه عن الله . وفى آية أخرى ، أثبت لهم القلوب الصورية ، ونفى عنهم الفقه الذى هو المراد ، والقلب المقصود ، فقال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها » وهذا ما تيسر إيراده ، فى هذا الوقت الحاضر ، من غير تفكر سابق ، ولا روية ؛ بل هو وارد الوقت ، وفيض الفضل ، ومن أثر نفس مدد تنزل ، ترجمه طلسم معنى : « وعلمناه من لدنا علمـــا » وكل ما معنا ولدينا ، فمن هذه الحضرة جاء . ولو أردنا أن نقول لقلنا شيئا كثيرا ؛ ولكننا صادفنا وقتا وزمنا ، تعرفه وتراه . وإن وجد مخصوص ، فينبغى أن يعطى على قدر خصوصه ، ولا تجرى لأجله الأمور العامة الكلية .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : مايقطع الإنسان مسافة الباطن والظاهر إلا بالهمة العالية الجدية .

قال الشيخ الإمام القطب : عبد الله بن أبى بكر العيدروس ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : إذا كانت الهمم ناقصة ، والبصائر مظلمة ، والنفوس جامحة ، والأفكار راكدة ، لم ينل المطلوب ، ولم يصل إلى المحبوب .

وقال أيضاً : من أراد الصفاء الربانى ، فعليه بالانكسار والافتقار ، فى جوف الليل . انتهى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من توطن الكسل، وركب العجز وتدرع بالتسويف

فقلّ أن ينفذ فى أمره ، وقلّ أن يحصل على مطلوب إلا ما شاء الله ، وقد أطبق على ذلك حكماء الدين والدنيا . ولكن إذا لم يرد القوى العزيز وصول العبد إلى شىء ، أىّ شىء يكون يصرفه عنه بما شاء من الأسباب . فكان ذلك من قدره ، ثم يترتب على الأسباب دون الأقدار ما رتبه عليها ـ عز وعلا ـ من حمد وذم ووعيد .

والأمر كله يرجع إلى هذه الثلاثة: القدر، وهو الأصل، وأسباب متكونة عنه مدح وذم ، وثواب وعقاب مرتب على الأسباب . ومن فهم هذه الأصول وذاقها ، سقط عنه أكثر الإشكالات والاختلافات الواقعة بين الناس ، وأصبح على بحر تيار إما على ظاهر اللجة ، أو على الساحل . فقل لأقوام يتشدقون فى المنطق ، ثم يعرضون بالاعتراض علينا، يخبرون بمواد هذه الأشياء ، وبما يئول إليه ، وبما يترتب على ذلك ، وليسوا على شىء ، وقد عفونا عنهم لله ولرسوله . وقد علم كل أناس مشربهم .

ومن لم يعرف الله ، ويعرف الدين ـ كما ينبغى ـ فلا يمكنه أن يعرفنا أصلا ولست المراد بذلك، وإنما المراد غيرك ولعله لا يخفاك. وما تكلم به اللسان الوارد من غير قصد فى ذلك . فاعلم وتأمل ، وطر إن كنت من الطيارين ، وإلا فسر تكن من السائرين. ولكل مقام رجال ، ولكل رجال مقال . ونحن داعون لك كثيراً . فادع لنا ، ولا تطالب نفسك بالوصول إلينا ، حتى فطلبك بالباطن والظاهر ؛ والسلام .

وكتب ـ رضى الله عنه ـ إلى بعض أصحابه : إلى فلان بن فلان ، جعله الله ممن تعرّف إليه فعرفه ، وما أنكره بباطن ولا بظاهر ، ثم عرف به ودعا إليه ؛ فكان من الدالين به عليه ، وله كذلك منه وإليه ، إذ ليس ثمّ غيره ؛ من حيث

الحقيقة . وإن كان للأغيار وجود وشهود من حيث الظاهر والصورة، فالكل حق فى بابه ، وباعتبار ومن وجهه . والجامع : من جمع ووضع الأشياء مواضعها ، فلم يشغله حق عن خلق ، ولا خلق عن حق . نخرج من تفصيل هذه الجملة أربع مراتب بعضها حق، وبعضها باطل ، وبعضها فيه حق وفيه باطل؛ فانظره وتفكره لعله ينفتح لك علم ذلك ، فتهتد إلى تلك للسالك ، ولا تظنن أنا لو أردنا أن نجرى خيل السباق فى هذه الميادين ، بعبارات لا تفهم ، لا يجدونها فى الكتب المؤلفة في هذا الشأن لنا ، لا نستطيع ذلك . وإنما انصرفنا منه اشتغالا بما هو أهم ، ولأن أهل الزمان يحتاجون إلى غيره ، من علوم الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

وقد كان من علماء الظاهر من يقوم بهذه الوظائف؛ فخرسوا فى هذه الأزمنة لغلبة الهوى ، والاشتغال بزخارف الدنيا . وأعرضوا بذلك عن الحق ونصح الخلق وكأن الموجود الآن على حواشى ألسنتهم نبذة من هذه العلوم الظاهرة الرسمية ، يتميزون بها عن العامة ، ويصطادون بها ما هم بصدده من طلب الجاه والمال لا غير فاضطرنا ذلك إلى السكوت عن علوم الحقيقة ، والاشتغال بعلوم عزائم الشريعة حفظا للنظام، وقياما بأمر الله العام . والله حسبنا وحسبهم وإليه مصيرنا ومصيرهم، وحينئذ تبلى السرائر ، ويُسأل كل مؤمن عن أمانته .

وقال — قدس الله روحه — مجيباً لمن سأله عن حكم من يعمل على رجاء الثواب فقال : إن ذلك رجاء محمود ، وسعى مشكور مبارك . وعليه يعمل السلف والخلف ، من صالحى المؤمنين ، فإن العبد خلق ضعيفاً فقيراً ، لا غنى به عن فضل ربه . الغنى الكبير .

والعاملون لله على ثلاثة أقسام : فمنهم من يعمل خشية العقاب وهم الخائفون

ومنهم من يعمل على رجاء الثواب وهم الراجون ، ومنهم من يعمل امتثالا للأمر وهم العارفون ؛ مقامات بعضها فوق بعض . وليس للعبد أن يقيم نفســه فى الذى يختار منها ، بل الأمر لله يقيم من يشاء من عباده حيث يشاء . ولا بد أن يقيم الحق فى كل من المقامات الثلاث ، طائفة من المؤمنين لا تصلح أحوالهم ولا تستقيم قلوبهم ، إلا بالعمل على وفق ما أقيموا فيه .

ثم أقول : العمل على امتثال الأمر ، وابتغاء الرضى والقرب ، حسن جميل . والعمل على رجاء الثواب والرهبة من العقاب ، حسن جميل .

والجامع من أهل الله : هو الذى يعمل على المقامات الثلاث بالتمام والكمال ، ولكنه عزيز ، فليعرف الإنسان ما أقيم فيه وليعمل عليه ، ولا يكون كالأجير السوء ، إن لم يعط الأجرة لم يعمل ، ولا كالعبد السوء ، لولا خشية الضرب لم يتأدب ، ولكن يعمل لله ؛ لأنه سيــده ومولاه ، ولأنه أمره ونهاه ، ويرجو الثواب من باب الفضل والمنة ويخاف العقاب ، لسوء أدبه ، وتقصــيره فى عبادة ربه . وهذه هى الطريقة السمحاء ، والمحجة البيضاء . وعليها مضى الصالحون والعلماء ومن تأمل كلامهم وسيرهم ـ وكان ذا بصيرة ـ علم ما ذكرناه وعرفه تحقيقاً ، ونستغفر الله ونحمده كثيراً .

وقال ـ نفع الله به ـ عليك بعمار أوقاتك بطاعة ربك ، والإقبال على ما يقرب منه . وعليك بالزهد فى الدنيا الدنية ، ورفض ملذوذاتها ، والإعراض عن شهواتها وفطم النفس عن طيباتها . وإن وجدتها من حلال ، وأنى لك بذلك ، فى مثل هذا الزمان الفاسد . وإياك أن تصغى بأذن رأسك ، فضلا عن قلبك ، إلى ترهات البطالين ، الذين هم عما يراد بهم غافلون ، القائلين : أن ليس المراد من الزهد فى الدنيا : الزهد فى فضول لذاتها والتباعد عن طيباتها . وإنما المراد : خروج حبها

من القلب. هيهات هيهات !! هل يكون ما على الظاهر إلا فرع الباطن ، وربما احتجوا بحكايات حكيت عن آحاد ، من متأخرى هـــذه الطائفة ، وأنى لهم أن يبلغوا شأوهم ، ويطلعوا على حسن مقاصدهم ؛ فإنهم لم يدخلوا فى شىء منها إلا بعد النهاية ، والتجرد عنها فى البداية .

وقال ـ قدس الله سره ـ : ليستحى العاقل أن يسكن قلبه الذى هو موضع نظر الله ، أو ينفق ساعاته من عمره النفيس الذى هو وسيلة فى نيل المراتب العلية ، فيما لا يساوى عند الله جناح بعوضة .

فعليك يا أخى بإنفاق صحتك وفراغك ، فيما يقربك إلى ربك ، ويدنيك من حضرته . واصبر على ذلك صبر المريض الطالب للشفاء على مرارة الدواء .

واعلم أنه كلما شرف المطلب ، زاد التعب فى بلوغه والنصب ، والعلياء لا تدرك بالهوينا . ولله در من قال :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبِرا

وقول الآخر :

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ ... الجود يُفقر والإقدام قتَّال

واعلم يا أخى أن الخير كل الخير، فى عدم الرضى عن النفس ، وإقامة الحجة عليها فى كل حال والتضييق عليها ، والتشمير فى مخالفتها ؛ لقوله ـ عليه السلام ـ : أعدى الأعادى عليك نفسك التى بين جنبيك .

السّباق السّباقَ قولا وفعلا ... حذر النفس حسرة المسبوق

حمد المدلجون غِبَّ سُراهم نيرة ... وكفى عن تخلف البسطاء

وكتب ـ رضى الله عنهم ـ الله الله يا أخى لا تنسنا من صالح دعائك ، فإن فوائد الأخوة قد قلّت فى هـــذا الزمان حتى لا يبقى منها إلا هذه . وهى فائدة

جليلة ، ورد الشرع بالترغيب فيها . وذلك قوله ﷺ : أسرع الدعاء إجابة دعاء الغائب للغائب .

واعلم أنى لست أهلا للإيصاء والتذكير لقلة علمى وعظم جرمى . ولكن لم يكن الباعث لى على ما كان إلا رجاء أن ينفعنى الله وإياك فى سلك الذين آمنوا ، وتواصوا بالصبر ، وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة . وأنا أحب أن تهدى إلىّ مثل ما أهديت إليك ؛ فليس المراد من الأخوة والتحابب فى الله إلا مثل هذا .

وقال – جزاه الله أحسن الجزاء – : من حفظ الله بامتثال ما به أمر ، واجتناب ما عنه زجر ، حفظه الله بأن يسوق إليه الخيرات ويدفع عنه الآفات ، ويكفيه ما أهمه فى الحياة وفى الممات .

فاحفظ الله يحفظك ، وعلق قلبك بربك ، وإياك والطمع ، والاستشراف إلى ما فى أيدى المخلوقين ؛ فإن ذلك هو الذل العاجز ، والفقر الحاضر . ولست أنهاك عن الطلب السائغ شرعا وعقلا . ولكن أنهاك عن طلب الدنيا بالدين أو تطلبها طلباً يدل من صاحبه على قلة الحياء وذهاب أو قلة المروءة . فالله الله فى الإجمال فى الطلب ؛ فإن الرزق مقسوم .

وعليك بالاقتصاد فى جميع أمورك ، وهو التوسط . ولا تسرف فى المأكل والملبس ، ولا تتبذل تبذل العبيد ، ولا تدع التطييب ، واستوص بتوقير المسلمين . والحذر من الوقيعة فيهم ، بالنميمة والغيبة ونحوهما . ثم إن الأمر يدور على حفظ اللسان وحفظ الفرج .

قال – عليه السلام – : أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان : الفم والفرج .

والمعاصى كلها تسوّد القلب، وتسخط الرب. فالحذر الحذر منها؛ فإنها سبيل النار والإخلاص الإخلاص؛ فإنه القطب الذى عليه المدار، والطريق الذى يسلكه الأخيار، ويضل عنه الأشرار.

وقال — نفع الله به —: أهل الزمان أهل فتنة وشقاق، وإضاعة للحقوق، وتعدى الحدود. فإذا وليهم من لا يشبههم ولا يناسبهم، وقع فى البلاء، وتحرجت عليه الأمور وعليهم. والرجل الصالح كالجوهرة الثمينة. وأهل الزمان كحاملى الأحجار والأقذار، قصداً منهم لكسرها، أو تلويثها.

وقال — رضى الله عنه —: استعن بالصبر والتغافل، لا تكلف نفسك هم غيرك، من قريب ولا بعيد، بعد ما تقوم بما يجب عليك من الحق فيهم، حسب التفاصيل فى الشريعة.

ولتهمك نجاة نفسك؛ فإن أهل الزمان صاروا بمنزلة أناس، هجم عليهم سيل مغرق أو نار محرقة؛ فيصير العاقل منهم هو الذى لا يلوى على غيره ويعتنى بنجاة نفسه؛ إذ هى الأوجب والأهم. ولا بد من الأخذ بما ذكرناه أولا، من إقامة الحق فيهم حسب الاستطاعة، من غير اهتمام، ولا تكلف ولا تعب يزيد عن الدعاء لهم، وسؤال الصلاح واللطف من الله لهم. فافهم هذا الكلام؛ فإنه دقيق وفيه جمل وتحتها أسرار، يعرفها أهل البصائر الفقهاء فى دين الله، العالمون بالشريعة والحقيقة.

وكتب — قدس الله روحه، ونور ضريحه، ونفعنا به — إلى تلميذه الشيخ عبد الله بن سعيد العمودى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الواحد المشاهد، للموجود المشهود، خصوصا وعموما بالذوق

لأهله، وبالإيمان لأهله ، وفى مرتبة الخصوصية ينقلب العلم والإيمان كشفا وذوقا . والأمر واحد ذلك ظاهره وهــذا باطنه . وفى الجسم قلب ، وفى القلب سر ، وفى السر عين ترى الله على الدوام ، وفى القلب عين ترى الآخرة ، وفى الجسم عين ترى الدنيا .

والجامع جامع ، والأول بالسر فقط زاهد منيب ، والثانى بالجسم فقط راغب غافل مريب . إن كنت رجلا فى قلبك ما فى لسانك ، فاشرح لى هذه الخطبة . واكتب إلىّ بذلك أراه . وأنت منى على الجبر والأنس والصلة ، أحسنت ، أو لم تحسن لذلك .

ومن أثناء مكاتبة : وما عرضتم به ، من ذكر أحوال هذا الزمان المبارك؛ فهو على مثل ماذكرتم ، وأشد وأنكد ؛ لأنهم قــد أعرضوا عن الآخرة ، وأقبلوا على الدنيا ، من غــير مبالاة ، ولا مراقبة ، وتواطأوا على ذلك ، واصطلحوا عليه ، وتنافسوا فى ذلك ، وافتخروا به على بعضهم بعضا . وصارت المثالب والقبائح والمفاسد ، فيما بينهم ، مناقب ومحاسن ومصالح ، فلا حول ولاقوة إلا بالله ، ولا ملجأ من الله إلا إليه . هذا ما وعدَ الرحمن وصدق المرسلون . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم . ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم .

اللهم فارحمنا حتى تعصمنا ، واجعلنا من عبادك الذين أنجيتهم مع أنبيائك والمرسلين ، كما أخبرت بذلك ، فى كتابك المبين ، بقولك تعاليت من قائل : « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين » .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : قال الله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » إلى قوله : « السميع العليم » فى هذه الآيات حكم وأسرار وتنبيهات ، وإشارة إلى ما يأخذ به الحكيم العاقل الفاضل مع القريب ، والعدوّ والصديق . والصبر أمير جنود المؤمن . وما أعطى عطاء أوسع من الصبر ، كما قال عليه السلام .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن التحفظ وأخذ الحـــذر فى مظانه ، وعند ظهور أسبابه هو الأحزم والأحرى . وقد أمر ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين بالحذر ، فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » وغيرها من الآيات الشريفة . ولا ينافى ذلك التوكل ، واعتقاد أن لا فاعــل إلا الله ؛ لأن التقدير الإلهى قد يأتى العبد من حيث إضاعته للأسباب التى أمر بحفظهــــا ، وترك الأمور التى أرشد إلى الأخذ بها .

فتحفّظوا ما أمكنكم ؛ فإن التحفظ والحزم ؛ خصوصا فى هذا الزمان ، الذى كثر فيه الظلم والعدوان ، والجور والبهتان ، هو الذى يحسن وينبغى . والله هو الحافظ والواقى ، والحسيب والـكافى ، والدافع للشرور والأذيات ، والآخذ على أيدى أهل المـكر والبليات . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقال ـ قدس الله سره ـ : الله الله . أكثروا على الإطلاق من تلاوة قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالــغ أمره قد جعل الله لـكل شىء قدرا » فإن فيها أسرارا وأنوارا ، جاءت بها الأخبار والآثار ، وترجع إلى مزيد الحفظ والتيسير ، وكفاية الشرور والأشرار ، وتفريج الـكربات ، وكشف الأمور المهمات .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : نبدأ بالحضرة النبوية محمد رسول الله ﷺ ، زاده الله شرفا وكرامة لديه ، ونفعنا به وبارك لنا فيه ، ورزقنا الاتباع له حتى نلقاه غير

مفتونين ، ولا فاتنين ، ولا ضالين ، لا مضلين ، مع اللطف والعافية ؛ فإنما نحن ضعفاء ومساكين لا نستطيع حمل ذرة من البلاء ، ولا نقوى على عليه ، عافيته سبحانه أوسع لنا وأستر لضعفنا والتي بعبوديتنا وفقرنا .

وقال: الله الله فى الإكباب على مطالعة كتب القوم النافعة ، فى الوحدة مع أهلها ؛ سيما منها كتب التفسير والحديث ، وكتاب الإحياء. وبادروا قبل فوات الوقت بحفظه وعمارته ، وإنفاقه فيما تحمد عواقبه ، وترجى ثمراته ، فى الدار الباقية التى وعد الله عباده المتقين فيها، بالنعيم المقيم. ذلك هو الفوز العظيم . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين .

وقال : القليل من الخير فى هذا الزمان المبارك كثير ، والقليل من الله لا يسمى قليلا ، كما يقول القائل فى ذلك :

قليـــل منك يكفينى ولـكن قليلك لا يقـــال له قليــــل

وقال لبعض من كان يحصل معـــه القبض ، فى بعض الأحيان : لا تحفلوا ولا يصعب عليكم وجوده ، فلعله من المكفرات والمذكرات . ثم إنه إن كان قبضا مجردا ، لا سبب له ظاهر فلا أنفع عند وروده ، من السكون والأخذ فى ذكر الله ، سيما بنحو : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . وإن كان له سبب يتقدم ، من خواطر فى الأمور الإلهية والأخروية ، أو المعاشية ، فادفعوه بالسبب المضاد له . والمخلص عنه ، يندفع بقدرة الله .

ومن أنفع الأسباب فى دفع العوارض التى تكون من هذا القبيل ؛ أن لا يحفل بها ، ولا يهتم بسببها ؛ فإن الشيطان ـ لعنه الله ـ إنما يوردها على المؤمن ليغمه ويحزنه بها .

وقال : إنا قد وضعنا كتبا ومؤلفات ، ووصايا كثيرة ، وكلاما كثيرا ،

منظوما ومنثورا . وأهـل تريم ، أو الكثير منهم لايعلمون بذلك ، فضلا عن ألا يعملوا به . فما ظنك بغيرهم ! والحـال كما قال الإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ بعد ما ألف كتبه ، النافعة لكافة المسلمين لو أنهم أخذوا بها : غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : العمل كله بعد سبق العناية من الله ، على صدق التوجه ، وعلو الهمة ، فى سلوك طريق الله ، وقطع ما يمنع من التفرغ للإقبال على الله ، وللموانع الباطنة والظاهرة ، على موافقـة عزائم الشريعة ، دون ترخص ولا تأويل ، ولا ميل إلى الهوى ، ولا إلى لذة نفس وميـل طبيعة ؛ فإن العبد مهما أحكم هذين الأصلين اللذين ذكرناهما: علو الهمة والتضرع إلى الله ، خرقت أنفاسه جميع الحجب ، وطردت عنه الشياطين المتوجهة إليه ، بقصد إفساد ما هو عليه ، ولكن قد غلبت على أهل الزمان أهوية النفس وحب الدنيا ، وإيثار الشهوات ، والأخذ بالرخص فصار الواحد منا ، لا هو سماوى فيرتفع ، ولا هو أرضى فيتضع ؛ فإن فى كلا الأمرين راحة ، وإن كانا غير متساويين فى الشرف والمقدار . وصار التعب بينهما ، وهـو الذى فيه ومنه حصلت الحيرة ، وهى بلا شك حيرة . والحيرة لها معان ، وهذه من معانيها : حيرة الإنسان فى نفسه ، وحيرة الإنسان فى أمره . وفى معناها شد بعضهم :

قد بقينا مذبذبين حيارى　　نطلب الوصل ما إليه سبيل
فدواعى الهوى تخف علينـا　　وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقال : إن فى مطالعة بعض الكتب مضرة على كثير من الناس ، فلا يستقيم النظر فى الكتب إلا على شيخ عالم ، متفنن فى العلوم .وقال : الذى ينبغى أن يشتغل به العبد : الذكر لله ، والفكر فى أمور الآخرة ، ممـا يوجب الرجاء

والخوف ، ويبعث على العمل بالصالحات ، واجتناب السيئات ، واغتنام بقية العمر ، فى اكتساب الحسنات .

وقال : إنما الواجب من الاعتقاد الذى لا يسع أحدا إلا أن يعتقده ، ويقطع به ، وجود الحق سبحانه، وقدمه ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وأنه الخالق لكل شىء ، والرازق له ، وأن جميع الكائنات هو الموجد لها بقدرته ؛ بعد أن كانت معدومة . والثانى : الإيمان بالله بأنه بعث محمدا — ﷺ — رسولا إلى كافة عباده . الثالث : الإيمان باليوم الآخر ، من الموت وما بعده ، من عذاب القبر ونعيمه ، والمسألة فيه ، والبعث والحشر إلى الله والحساب والميزان والصراط والشفاعة والحوض والجنة والنار والرؤية لله — سبحانه تعالى — وما كان من فروع الاعتقادات ، فهو مندرج فى ذلك ، وداخل فيه؛ بحكم الإجمال . فهناك تفاصيل، ليس ينبغى للإنسان كثرة الخوض فيها ، والتفكر فيها ؛ فإن فيها ضررا إلا على من قامت عنده شبهة ، فعليه أن يسأل عنها أهل الحق ، وينظر فى كتبهم ، إن أعوزه وجودهم .

وقال — نفع الله به — اشتغل بعبادة ربك وشكره ، وبالنظر فى معاشك الذى تستعين به على معادك . وحسبك بهذه الأشياء شغلا واستغراقا لبقية العمر القصير .

وكتب إلى بعض أصحابه فى شهر رمضان سنة ١١٢٣ ثلاثة وعشرين ومائة وألف: ومما يخصكم فيه أنا فى رمضان فى هذا العام، أحسسنا فيه شيئا من الألطاف الزائدة . ولعل ذلك من آثار النظرات الإلهية الخاصة ، فإنها قد تختص ببعض الأوقات ، وهى وإن كانت عامة ، فقد تحصل منها زيادات واختصاصات ، فإنا نرجو ذلك . وفى الخبر : « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها » ...

وقال - نفع الله به - نعم المعاش من الحلال عونا على الدين . وفيه القدوة بكثير من السلف الصالحين .

وقال - رضى الله عنه - الله الله فى الجد والتشمير ، والحرص البالغ ، والسعى التام ، فى تحصيل العلوم النافعة ، وادخار الأعمـــال الصالحة ، المقربة إلى الله ، والعائدة بالنفع على أهلها، فى حين الرجوع إلى الله: « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير » وانصرفوا بالقالب والقلب عن شهوات الدنيا الفانية ، حبا وطلبا وتمتعا وتلذذا فإنها أدناس وأقذار . وهى الصادة عن التجرد لسلوك سبيل الله تعالى ، وعن التشمير فى طاعته ، ومرارة الدنيا وحلاوة الآخرة أو بالعكس ، كما فى الخبر . وكل لقسمه بداع قد دعاه ، ومحرك قـــد حركه ، من حضرة الأقدار الإلهية . ولا عذر لمن لا يعذره الله من عذره ، فهو سبحانه أولى بالعذر ، وإنه تعالى لم يترك الناس سدى ولا هملا فى المراحل . فخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وتعرف مـــا لا تعرف ، إن أردت تعريفه فرضا أو نفلا ، والذى عليه المعول كمال نظر البصيرة واستقامته ، فإنه الذى ينظر به العبد إلى طريق الدين ، وحقائق الإيمان واليقين . ومع ذلك فالعافية والصحة المطلقة مطلوبة ومحبوبة ، دينا ومعايشا . فاسألوا ربكم ذلك مع التفويض إليه ، وإيثار خيرته فيما يختاره ، مما هو خير عنده ، وصلاح فى دينه .

ونوصيك بحسن الإقبال على العلوم النافعة ، والصالحات من الأعمال ، ومخالطة أهل الخير واليقظة ، ومجانبة أهل التخليط والغفلة ، والاقتصاد فى جميع أمورك ، وهو الوسط من جميع الأشياء . وفى الحديث : ما عال من اقتصد . وثق بالله ، وتوكل على الله ، فى دوام أحوالك . وكن حسن الظن فيه - عز وجل - من غير اغترار ولا تقصير ، فى القيام بحقه - سبحانه وتعالى - .

وقال ـ قدس الله سره ـ : المهدى إنما هو رجل كامل يشترط أن يكون عالماً بالكتاب والسنة ، واختلاف الأئمة ، وله قدرة تامة على الحروب ، وقتل الأعداء ، وقهر المخالفين من الباغين ، وإقامة العدل بين المسلمين ، ونصرة المظلومين من الظالمين ، وإيصال جميع الحقوق إلى مستحقيها ، من الزكوات والفىء والغنيمة ، وقسمته ذلك بالسوية بين المجاهدين ، وإغاثة الضعفاء والمساكين ، وغير ذلك من الشرائط التى يقول بها أهل الحق والدين ، من العلماء والصالحين ، ووجوه أهل الدين .

وقال : لعل الفقر فى هذا الزمان أسلم للإنسان ، وأصلح له من الغنى الذى لا يتم لأهله إلا بالتفريط والتخليط ، واقتحام الشبهات بل والمحرمات ، كما هو مشاهد ومعروف من أحوالهم .

وقال ـ نفع الله به ـ : نود لو رأينا الخضر عليه السلام فنسأله أن يدعو لنا بدعوة يصلح بها ديننا وآخرتنا ويوصينا بوصية نجد بركتها ونفعها فى أنفسنا وفى أهلنا . وأما الدنيا فلو جاءنا بعض أهلها ، وبذل لنا الألوف المتعددة منها ، والخزائن المملوءة بها، لكنا لا نلتفت إلى ذلك ، ولا نرغب فيه ، ولا نأخذ منه إلا أن يكون شيئاً قليلا، تدعو إليه الضرورة، فى الحالة الحاضرة . وما الدنيا وما قدرها ، وهى التى يقول فيها ـ عليه السلام ـ : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء . ويقول : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

فاعلم وافهم ، ولا تتبع خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، واستعن بالله واصبر ، فإنه نعم المولى والمعين ، والعاقبة للمتقين .

وقال ـ قدس الله روحه ـ : إن تريم مدينة السادة والأخيار ، والإقامة بها غنيمة الصالحين والأبرار . وليس شىء من هذه الأوقات يعوض عنها ، ويحل

محلها إلا أن يكون الحرمين المكرمين : مكة والمدينة : طيبة . وذلك لأهل الأدب ، المشغولين بالطاعة والعبادات ، وتعظيم الحرمات . فاعرف ما ذكرناه ، واعتمده . فليس فى الفلتات والإصاعات خير ولا بركة ، ولو جاء الإنسان يسحب الأرداز بالذهب والفضة . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب .

وقال ـ نفع الله به ـ : لا ينبغى أن تصرف الأوقات العزيزة إلا فى الأمور المهمة جداً ، من الأمور الدينية والمعاشية التى تكاد أن تكون من الضروريات .

وكتب ـ نفع الله به ـ إلى بعض أصحابه : لاتعلق خاطرك بالشيخ ابن عربى وأضرابه ، فإن ذلك معجزة . وربما دعا بعض الناس إلى الدعوة بما لا يليق به . وعليك بالعلوم الغزالية ، وما جرى مجراها ، من الصوفية ، والفقهية ، التى هى علوم الشرع ، وصريح الكتاب والسنة . فثم السلامة والغنيمة .

واحترز من سوى ذلك ، فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه .

وقال استكثروا من مطالعة الكتب النافعة فى الخلا والملا . وذلك مثل صحيح البخارى ، وتفسير البغوى وإحياء علوم الدين .

وقال : أين الناس اليوم لانقول : إنهم غفلوا وناموا ، بل هم سكروا وحادوا . وقال : التوسط بين الناس فى هذه الأزمنة بالخصوص من الأمور الخطرة ، فالبعد منها خير من الملابسة لها .

وقال : عليكم بتقوى الله فى السر والعلن ، وبذكر الله سراً وجهراً ، مخلصين له الدين . ألا لله الدين الخالص ، وبالزهد فى الدنيا الدنية ، وفى جاهاتها وأمتعتها الفانية ، التى لم تزن بجمعها عند الله جناح بعوضة .

وقال الزمان الآن كالبحر العجاج ، وقد جاءت الأمواج فيه من كل مكان ، واشتبهت فيه الأماكن ، وتماثلت الألوان . فلا عاصم من أمر الله إلا من رحم تمسكا بالعروة الوثقى لا انفصام لها . وهو قول : لا إله إلا الله علماً واعتقادا ، ونطقا على دوام الأوقات وأكثرها .

وامتدحه بعضهم بأبيات . فقال له — رضى الله عنه — : لكل امرئ مانوى . والراجى لايخيب ، والمتمسك بأهل هذا البيت — إن لم يكن له مدد من الفرع — فاض عليه المدد من الأصل . وصدق قوله كذلك ؛ فإن القائل في الغصن ينسحب قوله فيه على القائل في الشجرة ، على مثل ما قال الله تعالى : شجرة طيبة .

وقال : إن لله نفحات وتنفسات وتنسمات لاينبغى للإنسان أن ييأس منها ، وأن يتعرض لهـــا ، بالأعمال الصالحات ، والدعوات المسموعات ، سيما أدبار الصلوات ، والساعات السحريات .

وكتب — رضى الله عنه — لبعضهم : وقـــد وصل إلينا الوصل منكم ، وتذكرون فيه أنكم كنتم على قصد الوصول للاجتماع ، فسمعتم عنا أنكم إذا وصلتم تختصرون الكلام ولا تطولون . فذلك كذلك ، لضعف القوى ، وعزم الوقت ، وكثرة من يطالب بالخلوة من القاصدين ، على اختلافهم ، وكثرة كلامهم فيما لا طائل تحته . ثم قد يكون لنا مجالس عامة ، نقرأ فيها الكتب ، من العلوم النافعة فلعلها : يكون فيهـــا الكفاية ، لكثرة الناس الذين يسمعون ويعقلون ، ونسلم بذلك من مجالستهم ، والخلوات بهم .

وكتب — رضى الله عنـــه — إلى السيد على بن عبد الله العيدروس : وإن تسألوا عن الفقير فالضعف والكبر قد استوليا عليه ، والاغتراب والاضطراب ، مع قلة المشاكل والمناسب . وهذا كالذى لابد منه ، لمن طالت به الحياة ، سيما فى هذه الأزمنة المبتورة والمنكورة ، التى قد ذهب فيها الاختيار والخير ، وعم

الأشرار والضير ، ولم يبق فيهـــا داع ولا مجيب ، ولا نسيب ، ولا صحيب ، ولا صورة ولا حقيقة ، كما تعلمون وتشاهدون الحال كالحال ، والبال كالبال وإلى الله المنقلب والمآل ، على خير ، وإلى خير - إن شاء الله - ببركات رسول الله ، والسلف الصالح .

وكتب - نفع الله به - لبعض أصحابه: نوصيك - بارك الله فيك - بالمحافظة على الفرائض ، والإكثار من تلاوة القرآن ، ومن الذكر لله وحده ، وجدّ فى طلب العلم النافع ، من الفقه وغيره . ولا تجالس إلا الأخيار أهل العلم والطاعة ، وجانب مجالسة ومخالطة أهل اللهو والغفـــلة . ولتكن لك أوراد من الذكر والدعاء ، وتواظب عليها بعد الصلاة ، ووقت الصباح والمساء . واستشار المشار إليه فى الأخذ عن بعض الأشياخ فقال له : لا بأس إن كانت طريقته لا تخالف الطريق التى نحن عليها والتى نأخذها على أصحابنا بالحال والمقال،فإن الطرق إلى الله كثيرة . وبعضها موافق البعض ، وبعضها قد يخالف من حيث الصورة ، لا من حيث الحقيقة .

ولـكن السالك فى أول سلوكه ، إنما يسلك على الصور أولا حتى يقطعها ، ويصير منها على الحقائق . وذلك بعد أشياء كثيرة . يجاز منها وينازلها .

وكتب - نفع الله به - إلى سيـدى المسكين شيخنا الإمام : أحمد بن زين الحبشى : إنا لا نحاذركم ولا نكتم عنكم شيئاً يكون لكم فيه صلاح أوسلامة ، مما تخشى عواقبه ، إنما اطلعنا على ذلك من حيث الأفعال الصادرة والأقوال .

واعلم أن الخاطر من جهتك طيب ، والقلب مغتبط بوجودكم ، فى مثل هذا الزمان والمكان على ذلك الحال ، والإقبال على الله وعلى طاعته ، وعلى تدريس العلوم النافعة ، وما يجرى ذلك المجرى ، من القربات المرغب فيها ، التى هى طرق

السماء وزاد العقبى ومتاع الآخرة ـ قدس الله سره ، ونوّر ضريحه ، كلما كانت روح العبد إن أخف وألطف كان الذى ينبغى له أن يكون جانب الرجاء فى حقه أغلب وأرجح . وعلى ذلك درج كثير من أولياء الله ، وفيهم الشيخ أبو بكر ابن عبد الله العيدروس ـ رضى الله عنه .

وكتب لأخيه فى الله على بن عبد الله العيدروس : وإن تسألوا عن الأخ الضعيف الفقير ، فإنه يحمد الله إليكم ، ويشكره كثيراً على لطفه الشامل وستره الجميل ونعمه السابغة ، ومنته السابقة . جعلكم الله كذلك وعلى أتم مما هنالك . وقد وصل إلينا كتابكم وحصل به الأنس التام ، والسرور العام لأخباره عن عافيتكم وبقائكم إلى ذلك الحين ، فى هذه الأيام المكدرة المنكرة من أكثر الوجوه . واحترازعن كالها لعموم ألطاف الله وشمول عنايته للخصوص من عباده الذين يحييهم فى عافية ويتوفاهم كذلك . وعسى حسن الخاتمة على كمال الإيمان والإسلام ، وحسن المصير إلى دار السـلام . ولا نسأل إلا عنكم بالخصوص والمجالسات والاجتماعات اللطيفة الشريفة . والمطلوب صالح الدعاء لنا وللأولاد ، والمتعلمين كافة ، كما هو مبذول كذلك . والله قريب مجيب .

وكتب ـ نفع الله به ـ إلى سيدنا وشيخنا أحمد بن زين الحبشى : ادعوا لأهل الجهة ، لعل الله أن يفرج عنهم ما هم فيه . ولعلهم قد غيروا ما عليهم ، من نعمة الله . فمروهم بالاستغفار والتوبة إلى الله ، واستغفروا لهم . وتوبوا عنهم، إن كان ذلك قد يجدى ويجرى من أهله وفى محله . واقرأوا يس بعد العصر ، أو بعد المغرب مع من يجتمع عندكم على نية أن يكشف الله هذه البلية ، ويدفع هذه الملمة بحوله وقوته ، وتوسلوا وتشفعوا إلى الله بأوجه الشفعاء إليه : سيدنا محمد ، وبكل من له جاه ومكانة لديه من عباده الصالحين .

وكتب ـ نفع الله به ـ إليه أيضاً : الهمة الهمة ، والنيمة الغنيمة ، بالسير بالفعل ، وللقال والحال ، والدعاء إلى ذلك من أجاب واستجاب من قريب وبعيد مع الصدق والإخلاص ، والحذر من النفس والشيطان في كل حركة وسكون ، وحال . وكان من العلويات والسفليات ، من الأمور الخاصة والعامة وأنتم محفوظون ـ إن شاء الله ـ وملحوظون بعين الله . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ويسلم عليكم الأولاد ، وادعوا لهم بالانتفاع والاجتماع ، وادعوا لأهل الجهة ، فإنه حل بهم من البلاء ما يكاد أن لا يطاق ، وأكثر ذلك من ولاة السوء ووسائطهم وأعوانهم . أصلح الله الجميع . ولا نقول كما قال الناطق المسموع الفقيه عمر بامخرمة ، في قصيدته العينية ، حل قدها على الخاطر منكم ، وإلا فعادتنا نذكرها لكم . والتخابط واقع في أهل هـذا الزمان ، والثقة بهم غير حاصلة . وحسن الظن أحسن ما أمكن والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وكتب إليه أيضاً ـ اجعل الدنيا وما يرجع إليها تحت قدمك ، تخدم وتطاع وتسبقك الأمور ، من غير أن تشغلك عن الله العزيز الغفور . فهكذا كانوا يكونون لأنهم كانوا لله وكان الله لهم فكان كل شيء . وما ظنك بمن كان لله ! وما كان الله له . والدعاء الدعاء خصوصاً وعموماً .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ونحن ـ إن شاء الله ـ على قدم مما نشير به ونراه وقد مارسنا الأيام ، وجربنا الأمور ، وعرفنا ما يصلح لكل أهل مرتبة في مرتبتهم ، وما يحسن منهم الأخذ به فيما يفعلون ، وفيما يذرون ، والتجربة عقل ، بل هي القسم الوافر منه ، بعد صحة الغريزة الأصلية فكن عاقلا ، أو كن مما يصدر عن رأى ذى عقل تسلم من الندامة وتسرع في سبيل السلامة المفضية بمن سار عليها إلى الكرامة .

وكتب إلى سيدنا أحمد : وقد وصل إلينا كتابكم ، وحصل به الأنس وقد استبطأنا وروده ، حتى إنا قد هممنا بابتداء كتاب إليكم ؛ لقصد السؤال عن الحال واستمداد صالح الدعوات ، فى هذه الساعات والأوقات المشرقة بأنوار القيام والصيام لله ، فاطر السموات، فلا تغفلوا عن ذلك ، وخذوا فى حفظ الأوقات وعمارتها بوظائف العبادات التى هى قوالب التوجهات إلى الله ، عالم الخفيات . وخذوا شيئاً مما لا شىء فإنه ليس للإنسان من هذه الحياة العاجلة إلا ما قدمه من الصالحات للحياة الآجلة ، التى لا تعادلها ، ولا انقضاء .

وكتب إليه — رضى الله عنهما — : وما أشرتم إليه من صلاح الأمور واستقامة الأحوال ، فذلك من الله ، وفضل من لدنه . فاذكروه واشكروه يذكركم ويشكركم ؛ فهو تعالى يذكر الذاكرين ، ويشكر الشاكرين، يزيدهم من فضله .

والفضل له — سبحانه — ابتداء وانتهاء ، ولكن لا على معنى واحد ، فإن الإرادى الاختصاصى غير الإعطاء الجزائى . « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » . وقال عز وجل من قائل : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم » الآية . فافهموا السر وأنتم تفهمون أن الأمر غير الإرادة وأن الأمر أعم والإرادة أخص من حيث الشرع ، ومن حيث الحقيقة . فعلى العكس من ذلك . وهو باب واسع ومهيع عظيم قد غلط فيه خلق كثير ، وأصاب الصواب منه الأقارب المخصوصون . وما يتذكر إلا من ينيب .

وقال — رضى الله عنه — السر فى الحضور مع الله ، وتوجه القلب على الدوام واستشعار قربه منكم واطلاعه عليكم . وذلك هو المراقبة ، والذى يسر . والعامل لله رابح على كل حال .

وقال ـ رضي الله عنه ـ أما الأخذ في العلم الظاهر؛ فليشتغل بكتب الإمام النووي. فخذوا في كتاب المنهاج له فإنه جامع مبارك. ومن النحو فالملحة للحريري: والله يفتح لنا ولكم وللمسلمين بالخير.

وقال ـ نفع الله به ـ أصلحوا النية مع الله، وأظاهروا ـ سبحانه ـ من باطنكم على محبة ذلك؛ والسعي فيه بكل ما يمكنكم وتستطيعون. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. واستعينوا بالصبر والصلاة واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

وقال ـ نفع الله به ـ: التجارة فيها خطر، سيما في هذه الأزمنة. والحرث والغرس أقل خطراً وأكثر نفعاً لصاحبه، وفيه أخبار وآثار كثيرة، تدل على البركة، ودوام المثوبة. فخذوا في ذلك بالمتيسر والأقل شغلا؛ لئلا يتفرق القلب، ويكثر الاشتغال بالأمور الدنيوية. والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، والسلامة إحدى الغنيمتين. ومن كان لله كان الله له، وهو الموفق ـ سبحانه ـ أدام الله توفيقكم وأخذ بنواصينا ونواصيكم لما يرضيه ويزلف لديه.

وقال ـ رضي الله عنه ـ: إذا بذل العبد استطاعته، واجتهد جهده، وصدق في ذلك، وتضرع إلى الله، في أن يوفقه ويرشده ويخلصه؛ فهو على خير كثير من الله. ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها. الآية.

وقال ـ نفع الله به ـ: لا يتم الفهم مع قلة الفراغ، ولو من الأمور التي لا بد من ظهورها وتمامه. وإن انتهى ذلك إلى الحضرات القدسية التي لا تدخل تحت القياس بين الناس. ويكاد يشير إلى ذلك قوله تعالى: « سنفرغ لكم أيها الثقلان » والدعاء مبذول ومسئول.

وكتب — رضى الله عنه — : وبعد فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نعلمكم بأنا فى خير وعافية . نحمد الله إليكم ونشكره ، ونسأله أن يجعلكم كذلك ، ومن الحافظين للحرمة ، الشاكرين للنعمة ، الملازمين للخدمة ، مع كمال الإخلاص ، والصدق معه ، والرضى منه بالقسمة ؛ من دون احتجاج ولا ترخيص ولا تعلل بفضلات النفس وحظوظها التى تنزل بأربابها إلى الحضيض الذى هو من شأن كل كسلان ومريض ؛ ليس بمسامح ومعذور ، وإلا فالميسور لا يسقط بالمعسور .

ومن كان لله كان الله له . ومن كان لنفسه لم يكن الله له ، ولا معه . فالربوبية والعبودية عبودية ، والروح روح ، والجسم جسم كذلك . كله عالم وما فيه . والأمر كله لله . ألا له الخلق والأمر . تبارك الله رب العالمين .

وقال — نفع الله به — : كتاب الأربعين الأصل ، للإمام حجة الإسلام الغزالى من الكتب النافعة فى الدين ، لأهل البدايات ، وأهل النهايات ، وكتاب رسالة القدس ، فى مناصحة النفس ، للشيخ محمد بن عربى كذلك . وكان ألفها بمكة المشرفة . وذكر أنه طاف بها البيت العتيق أسبوعا . وليس بها شىء من الأمور المشكلة . فينبغى لسالك الطريق إلى التحقيق ، أن يكثر من النظر فى هذين الكتابين ، لطالب النفع والانتفاع ، فى سلوك طريق أهل الحق والاتباع . والله الموفق للصواب ، وهو يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وقال — قدس الله سره — : أكثر أهل الزمان همج ورعاع . وقد يستفزون بعض المتحفظين والمتوقين ، بشىء من أقوالهم وأفعالهم ، فيرفعونه فيما لا يحسن . وربما إنهم إذا خالطوا بعض المتحفظين ، ولم يظفروا منهم بشىء ، كذبوا عليهم .

وقال : الزمان زمان فتن ومحن ، حتى إن بعض الأمور أو كثيراً مما يجيء إلا من غير مظانه ، ويظهر من غير مواضعه . وما ثم إلا التسليم ، والرجوع إلى العزيز الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون . ثم قال : اقبل ما جاءك ، من زمان الانعكاس والانتكاس ، وقل : لا بأس وإن كنت فى إلباس ، ووسع صدرك لنوائب الزمان ، الذى العامة من أهله ، كلهم قد شان وخان . والله عليهم المستعان .

وقال ـ نفع الله به ـ : المقادير الهابطة من العالم العلوى . قد تكون منزلة بأمر حسى ، وقد تكون على خلاف ذلك . ومن الأول يأخذ المنجم وغيره ، من المتجسسين على غيب الله الذى لا يعلمه غيره ، بالإجمال والتفصيل قال الله تعالى : « وعنده مفاتح الغيب » فهذه الجملة . ثم قال سبحانه : « لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر » الآية . وهذا التفصيل فيها وفى أمثالها ، من كتاب الله ، البحور الزاهرة الزاخرة ، والتعريفات الإلهية ، والتعليمات القدسية . والدعاء وصيتكم ؛ واجعلوا من ذلك كثيراً فى نزول الرحمة للمسلمين ، وصلاح أمورهم ، واستقامتها لمن يتولاها ، ممن يؤهله الله لذلك ، ويجعل فيه حسن النظر لنفسه ، وسعيا عليها ، ويعينه على ذلك بشيء من التقوى ، ومن الأعوان الذين تكون لهم فى ذلك نية ورغبة ورهبة يصلح الله بها أمور المسلمين . وما ذلك على الله بعزيز .

وقال ـ نفع الله به ـ : الحركة بركة ، والسر فى التقوى .

وقال : أهل البيت النبوى أمورهم ميسره ، مهما اتقوا وأحسنوا . والسعيد من سعد بقربهم وصحبتهم ، وأحسن فى خدمتهم ، وصدق مودتهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن النظر فى حقائق علوم أهل هذه الطريقة

ودقائقها لا يصح إلا لمن مهر فى العلوم الظاهرة ، واغترف منهـا أولا ، ثم راض نفسه وهذبها التهذيب الكامل ، ثم حصلت له جـذبة إلهية محقت منه البقايا البشرية التى لا يبلغها بالرياضة . وإلا فمن لازم من نظر فى دقائق علومهم ، وهو على غير ما وصفناه من الكمال أن لا يخرج من إشكال إلا ويقع فى إشكال . وقد يحير ، فلا يدرى ما يصنع ، وقد يكون أمر آخر ؛ وهو أشد من ذلك .

فانظروا فى عـلومهم الواضحة . وإذا ظهر لكم إشكال فى شىء منها ، فكرروا النظر فيه ، واعرضوه على القواعد والأصول ، تعرفوا منها ذلك ، مقيداً كان أو مطلقا ، عاما أم خاصا ، كلى هو أم جزئى واقع على الدوام ، وفى بعض الأحوال .

فاستمسكوا بما ذكرناه وتأملوا حق التأمل . والله يفتح منا ومنكم البصائر ، ويهدينا لما هو الحق ، مما اختلف فيه ومن غيره ، فإنه على ما يشاء قدير ، وبكل شىء عليم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إذا اجتمع جماعة لقصد التلقين ، فينبغى أن يبدأ بقراءة الفاتحة المعظمة للتبرك ؛ ولأنها لما قرئت له . ثم يقول الملقن للحاضرين من الراغبين : قولو : نشهد أن لا إله إلا الله ، ونشهد أن محمداً رسول الله . قولوا : لا إله إلا الله . لا إله إلا الله . ثم يقول الملقن المتقدم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبى الصادق الأمى الأمين .

اللهم اسلك بنـا طرائقها ، وحققنا بحقائقها ، واجعلنا من صالحى أهلها ، وأحينا وأمتنا وابعثنا على ذلك من الآمنين المطمئنين ، الذين لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إنا سألك اليقين والعافية ، والوفاة على الإسلام . اللهـم ثبتنا بالقول

الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا فى الدين ، والمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ؛ إنك سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين .
قال ذلك يوم الخميس سنة ١١٣١ إحدي وثلاثين ومائة وألف .

وكتب إلى ولده الجليل : بدر الدين السيد الحسين بن عبد الله الحداد ، حين سافر إلى الحج سنة ١١١٩ : احتفظ يا ولدى بما أوصيك به ، واجتنب الإسراف فى المطعم والملبس ؛ فإنها من شأن البهائم ، وحمقى الناس .

وكذلك إذا قرأت القرآن العظيم ، فى المصحف الكريم ، أو بالغيب ، فتأن ولا تعجل ، واقبل الرد ممن يرد عليك . ولا تستشعر العجب حين تقرأ فتملأ لسانك بفيك . أخرج صوتك مع الخشوع ، والتعظيم لله العلى العظيم .

وإذا ذاكرت أحداً فى شىء من العلوم ، فلا تعجل ، واستفد منه أكثر مما يستفيد منك ، واحرص على الاستعادة ؛ فإن فيها الزيادة . والحذر الحذر من خواطر النساء ، والأفكار فيهن ، فضلا عن الذكر والخوض ، فاشتغل عن ذلك بتلاوة القرآن ، والذكر لله ، ومطالعة العلوم النافعة والمذاكرة فيها . فقد بلغنى عن بعض السادة ، آل أبى علوى ، أنه سافر أكثر من ثلاثين سنة ، فما حصل له جنابة إلا مرتين ، عن فكر لا غير .

والحذر من الاختلاط بالظلمة ، والتعلق بهم . فإن دعت إلى ذلك حاجة ، من شفاعة ونحوها ، فالورقة كفاية . واغتنم هذا السفر إلى الحرمين ؛ فإنما هو غنيمة دينية أخروية . وما نسب إلى ذلك ، أو دخل فيه ، من الأمور الدنيوية ، فما هو إلا تبع ، كالظل للشاخص ، والوقود للطعام والاستصباح .

وكتب إلى سيدى أحمد ـ قبل وفاته بسنة ـ : وعدتم بالوصول للزيارة ولو تخفيفا ، بعد الطلوع من الخلاء ، فذلك يحسن ويناسب ، فى أمثال هذه الأيام

التى ليس يحسن فيها إلا المبادرة والاغتنام ، مخافة الذهاب والانصرام ، والمسير إلى الملك السلام ، على رجائه ، وجميل حسن الظن به ، الذى رغب فيه عموما وخصوصا ، كل فى محله ، وحيثيته مع أهله . والمطلوب منهم كذلك ، والله تعالى يبارك لنا ولكم ، فيما قضى وقدر ، وسخر لنا منها ودبر ، وتلك للأجسام مينها ، من الموجودات إلا أن تكون من المندرجة فى العلانيات الظاهرة ، وفى العلانيةعلانية ، وفى السرائر سرائر . وسبحان الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم .

وكتب لبعضهم : أبرز الله له من عالم الأمر ، ما يحمله على الإقبال على الله ، بظاهره وباطنه ، إقبال من غلب عليه قوة الحب والشوق ، والانقطاع لحبيبه ، ولزوم طاعته ، فى غاية الخفة ، ونهاية النشاط والرغبة . هذا وصف المجذوب والمحبوب الذى طوى عنه البين ، فى أسرع من طرفة عين . فتعرضوا لنفحات الله ، وأدمنوا لقرع باب الله ، وامشوا فى مناكب أوطن العبودية ، فقد ذللها لكم . وكلوا من رزقه الذى بسطه لكم ، فى الآيات الكتابية ، والدلالات الملكية ، وإليه النشور ، إشارة إلى الحياة الأخروية ، حين ينظر الإنسان ما قدمت يداه ، فيحق عليه الندم إن فرط وتجب له النعم ، إن وجد مستقيما على الصراط المستقيم .

وقال أيضاً : باسمك اللهم يا أقرب من كل قريب ، وأحب من كل حبيب شريعه ، ويامن لا قريب غيره ، ولا حبيب سواه حقيقة . مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان .

وقال ـ نفع الله به ـ : الذكر لله نور ، بكل حال ومقام ، والقرآن سرها ، واتباع الرسول الطريق إليهما ، والفناء بالله مقصودها ، فاعلم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الحق أحق أن يتبـــع ، وانهض وسارع تنتفع . واسلك وشمر ترتفع . واجتهد فى تقويم الروح ، والهيكل المستقيم له ، فيقيم فيه صالحا غـــير مسجون ولا محزون ، مثل أرواح الغافلين ، فى هيا كلهم المظلمة ، بالإقبال على المخالفات والشهوات .

وطولب بعض المنتسبين إلى سيدنا الحبيب عبد الله بن علوى الحـــداد ـ بشىء من المال ، من جهة الدولة، وحبس بسبب ذلك فشكا إليه ـ رضى الله عنه ـ فقال له : إذا كلموك فى شىء تستطيعه وتقـدر عليه ، فاشتر نفسك وحالك ، والله هو الخلف ، وعنده العوض من كل فائت ، والخـيرة فى الواقع . وإن كان شىء لا تقـــدر عليه ، ولا تستطيعه ، فابق فى الحبس من حال إلى حال . ولا تخلو إما أن تـكون مظلوما ، وقد تـكفل الله بنصرة المظلومين ، وبإجابة دعائهم . وإما أن تـكون ظالمـا ، وفى ذلك تمحيص لك ، وتطهير من دنس الخطايا ، وكفارة للسيئات . فعلى كل حال فأنت خير من خاسر . فاصبر واحتسب ، وأكثر من الاستغفار ، ومن التوبة الصحيحة إلى الله ، من جميـــع السيئات والأوزار . فربما أنك أسخطت ربك ، بارتـكاب شىء ، مما نهاك عنه ، وحرمه عليك . فاطلب رضاه بالتوبة الصادقة ، مع الندم على ما فرط منك ، والعزم على أن لا تعود إلى شىء يسخطه عليك ـ سبحانه وتعالى ـ فإن الأمور كلها بيده ، ومنه وإليه ، وقلوب الخلق ونواصيهم فى قبضة قهره وتحت سلطـــانه وأمره . وأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ومن حسبى الله ونعم الوكيل . لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إذا رضى ـ سبحانه ـ أصلح ، وبصلاحه لعبده ، يحصل منه وله وبه جميع المطالب الدنيوية والأخروية ، ويصير مخدوما منهـــا ومطاعا فيهما . ولله الحمد والفضل منه ـ سبحانه وتعالى .

وقال : من عوفى من معاصى الله ، والمخالفة لأمر الله ، ووفق للجد فى طاعة الله ؛ لوجه الله ، فقد فاز بالعافية من الله . جعلنا الله وإياكم كذلك . وتفضل علينا بما هنالك حتى نلقاه ، وهو عنا راض .

وكتب ـ نفع الله به ـ وذكرتم أن النـــاس حصل عليهم بعض شىء فى المعاش ، حيث تأخر عنهم الغيث . وذلك بما قدمت أيديهم ، وتقصيرهم فى الشكر ، وقلة عطفهم وتفقدهم لضعفائهم ومساكينهم ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . والفرج يحصل غير بعيد ، على حسب العادات المعتادة لهم من ربهم ؛ فإن الله سبحانه يمنع بحكمة ، ويعطى برحمة . ورحمته سبقت غضبه ، وتغلب غضبه ، وإذا جاء الإبان تجىء ، والناس مستغيثون ، ومنتظرون الفرج .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : نوصيكم بالخشوع لله ، وبالتواضع لعباد الله ، والتحفظ لعباد الله ، من الرياء ، والإعجاب بالنفس ، وبالزهد فى الدنيـا ، فإن هذا هو الذى عليه المدار ، وخصوصا فى هذا الزمان الذى أكب فيه الناس على الأمر الدنيوى ، من غير مبالاة ولا احتشام ، ولا مراقبة .

وكتب لسيدنا وشيخنا أحمد : ذكرتم أنكم متشوقون ـ قدر الله ذلك ـ فى خير ، وعلى خير . والقلوب والأرواح مجتمعة ، والظواهر إنما هى تابعة لها ، وليس لها وجود حقيقى ، لتخلفها عنها ، ولها مرتبة فى الوجود ، فلا تغفلوا عنها ، فإن الـكامل من أقام الـكل بالـكل .

وقال ـ قدس الله روحه ـ : أهل دائرة الولاية ، والخواص من المؤمنين وغيرهم ، يصلون الصلاة الـكاملة ، غير أنهم يتفاوتون فى الـكمال فيها ، وفى غيرها من العبادات ، والتوجهات الإلهية ، ولـكن يكون الإنسان الـكامل أكملهم وأتمهم فى ذلك ؛ لأنه أقبـــل بوجهه إلى الحضرة القدسية الخاصة به

التى هى حضرة الأحدية . فافهموا المقصود من ذلك ، فإنه من كمل إيمانه كملت لله صلاته وعبادته . والحمد لله والفضل لله يؤتيه من يشاء ، ويختص به من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وقال ـ نفع الله به ـ إذا لزم الإنسان خاصة نفسه ، واشتغل بها وبإصلاحها ، اشتغل عن الناس وعما هم فيه بحكم الضرورة واللزوم ولذلك قيل : ما صدق الله عبد أحب أن يعرف . فاتقوا الله واعملوا ، وسيروا على سنن الهدى ، وطريق السلف ، من غير إفراط ، ولا تفريط ، ولا تكلف ولا توان ؛ فإن الله أمر باليسير ، وذم أهل الإعراض والغفلة .

وسئل ـ رضى الله عنه ـ عن قول الشيخ يحيى بن معاذ الرازى : اترك الدنيا كلها تجدها كلها .

فقال : معناه أن من ترك الدنيا زاهدا فيها ، عوضه الله راحة فى قلبه ، بترك الحرص والاهتمام ، وفى جسمه بترك السعى والطلب . وقصد الإنسان العاقل من الدنيا فى الدنيا أن يكون كذلك ، وطلبه وسعيه وقصده. يسعى الناس ويحرصون فى ظواهرهم وبواطنهم ، ولكنهم يخطئون الطريق إلى ذلك . قال ﷺ : الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبة تكثر الهم والحزن ، ودواعها وجلاها من كدورات الذنوب ، وبالاجتناب لمعاصى الله والغفلة عن ذكر الله ، والميل إلى الشهوات ، وحب الدنيا دار الزور والغرور . فمن سلم من ذلك تيسرت له الخيرات والطاعات ، واستأنس بالله العظيم ، فى جميع الحالات . والتوفيق بيد الله ، والأمر كله لله . ومن جد وجد ، ومن قرع الباب فتح له . والله جواد رحيم رءوف رحيم .

وقال: الصوم فيه يبس للطبيعة ، والقليل منه كثير، إذا حفظ الإنسان لسانه ، وأكثر من ذكر الله ، ومن الصلاة على رسول الله ﷺ .

وسئل ـ رضى الله عنه ـ : ما بال المشتغلين بالعلم الظاهر لا يحصل لهم من الذوق والكرامات كما يحصل للمتجردين لسلوك طريق الله ؟

فقال : لذلك أسباب ، وقد يحصل للبعض منهم ، إذا كانوا مع الاشتغال بالعلم الظاهر غير غافلين عن مراقبة القلوب ، والاشتغال بإصلاحها ، مع عمارة الأوقات بالعبادات .

وقال : العمدة فى إقامة الأوراد الإحسان والإتقان، والدوام دون الإكثار .

وقال ـ جزاه الله خيراً ـ : هذا الزمان وأهله قد صاروا إلى فساد عظيم وفتن هائلة ، وإعراض عن الله ، وعن الدار الآخرة ، لا يمكن مع ذلك إلا الاحتراز منهم ، والبعد عن مخالطتهم إلا ما صفا منها ، ولم يكن فيها شىء من الشوائب التى يخشى منها فتنة فى دينه ، أو يتوجه عليه أمر أو نهى لا يستطيع القيام به ، ولا وجد من يعينه عليه .

فهذا هو الذى يظهر لنا فى أمثال هذه الأمور . والذى نأخذ به ونعمل عليه فخذوا بذلك ، واحتاطوا لأنفسكم وخذوا ما صفا ، ودعوا ما تكدر ، وكونوا كما قال الله : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » الآية .

وقال ـ نفع الله به ـ : من دأب أدرك ، ومن أقبل قبل ، ومن خدم خدم . والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

وسئل ـ رضى الله عنه ـ : ما دواء من تثاقل عن الخيرات ويميل إلى الشهوات مع حبه للخير وأهله ، وبغضه الشر وأهله ؟

فأجاب : اعلم أن لهذا الأمر أسباباً أربعة : الأول : الجهل ، وإزالته بالعلم النافع . والثانى : ضعف الإيمان ، وتقويته بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وملازمة الأعمال الصالحة . والثالث : طول الأمل ، ومعالجته بذكر الموت ، واستشعار هجومه فى كل حال وحين . والرابع : أكل الشبهات ، والخلاص منها بالورع ، مع التقلل من الحلال .

فمن عالج نفسه حتى أماط عنها هذه الأسباب ، بأضدادها المذكورة ، صار لا يمل الطاعات ، ولا يسأم من تعاطى الخيرات فى جميع الأوقات ، ولا يميل ولا يأنس بالشهوات ، واللذات الفانيات . ولا ينبغى أن يطلب ذلك فى البدايات فإنه لا يحصل إلا بعد المجاهدات . بذلك خرجت وجرت سنة الله . ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الذكر أصل كبير فى إصلاح القلب ، واستقامته ، وإثارة النيات الطيبات ، والأعمال الصالحات .

وقال : السماع المطلق ، وهو أن يلوح له من كل مايسمعه ، أى شىء كان ، معنى يفهمه . فما هو بصدده ، من سلوك الطريق ، وموافقة الرفيق الأعلى ، كل على حسب حاله ومقامه ، ولكن شرط ذلك عندهم ، وقوع ذلك فجأة وبديهة ، من غير تفكر ولا تأمل .

وقال : لاشىء أفضل من تلاوة القرآن ، مع الحضور والتدبر والترتيل ، ولكن فى طبع الإنسان السآمة والملالة . فينبغى أن يتنقل فى الأوراد . فتارة يقرأ قرآنا ، وتارة يصلى ، وتارة يذكر ، وتارة يتفكر فى الموت وما بعده ، إلى غير ذلك ، من وظائف العبادات .

وقال — نفعنا الله به — : إن الباطن إذا كان مع الظاهر في تصرفاته ، والظاهر إذا كان مع الباطن في تطوراته ، كان الباطن والظاهر على الغاية ، من الاجتماع على المطالب .

وقال : الفقه في الدين : هو الفهم في علومه ، وحكمه وأسراره ، حتى يكون العمل منه على الفهم والبصيرة .

وقال — نفع الله به — : إن الدعاء من الأذكار ، وفيه من الافتقار إلى الله ، والخضوع له ، والتذلل بين يديه ، ما ليس في غيره من العبادات . ولذلك ورد : الدعاء مخ العبادة .

وقال — قدس الله سره — : الكرامات الحقيقية : الإيمان واليقين ، والتحقق بالزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، وأمثال ذلك .

وقال — نفع الله به — : الحياء هو انقباض ، يجده صاحب الطبع السليم ، عند موجبه ، ينبعث به لفعل الخيرات ، وترك الأمور المستقبحات . وكثيراً ما يحصل عند مجالسة الصالحين . وفي الحديث : استح من الله كما تستحي من رجل صالح .

وسئل عمن حصل له مرض في قلبه ، ولم يدر سببه . فقال — نفع الله به — : يداوي قلبه بالأدوية العامة ، النافعة من جميع أمراض القلوب ، مثل قراءة القرآن بالتدبر ، وملازمة الذكر لله بالحضور ، والإكثار من ذكر الموت ، ومجالسة الصالحين ، ومطالعة كتب العلوم النافعة ، مثل الكتب الغزالية ، ونحو ذلك ، من الأدوية النافعة .

وقال ـ قدس الله سره ـ : ما ورد فى الشريعة يعم ، يخص ، ويخص ويعم ، فهى مورد عام لخلق عام كثير ، كل يأخذ منها على قـدره ، وعلى حسب حاله ، ولهم فيها مقامات شتى . وكل مراد بشىء ، والتفصيل يطول . وقد علم كل أناس مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ، واشكروا الله الذى أنتم إياه تعبدون .

وسئل عن معنى الأدب الذى تشير إليه الصوفية ـ رضى الله عنهم ـ فأجاب ـ نفع الله به ـ : يرجع حاصله إلى وقوف الإنسان على حده من العبودية، والقيام بحق الربوبية ، قياما مقرونا بنهاية التعظيم ، وغاية الاحترام ، مـع الخروج والانسلاخ عن دعوى القيام وشهوده من أنفسهم ، لاستغراقهم فى معانيها التى لايبقى معها نظر إليها ، ولا احتفال بها . فهذا التقدير يكشف ماقالوه فى الأدب .

وقال ـ قدس الله سره ـ : إن الميل إلى العلم الظاهر أكثر ، يعنى من الميل إلى العلم الباطن ، من تسويلات النفس ، ووسوسة العدو ! والاحتجاج لذلك بالحاجة إلى العلم الظاهر غلط ، فإنهم محتاجون إلى العـلم الباطن كذلك وأشد . وإن خلو الباطن من معرفة العلم الباطن ، يقدح فى الإيمان ، وقـلة المعرفة بالعلم الظاهر تقدح فى الإسلام ، وهما مثلا زمان ، والأول أشرف . فارغبوا فى العلمين ، وشمروا لكى تحصلوهما ، واجتهدوا فى الجمع بينهما ، وكونوا بالأهم منهما ، والأنفع أشد اهتماما ، وعليه حرصا .

وقال ـ جزاه الله خيرا ـ : قد أسكت العلماء بالله وبدينه وألزمهم الصمت ، الإعراض عن الله ، وعن سلوك طريقه ، وقلة الرغبة فى العـلم ، وقلة الصبر على طلب الحق وأهله ، وعدم الانقياد لهم ، والأخذ بما لديهم ، عند العثور عليه ، وهذا قد غلب واستولى على أهل الزمان إلا من عصم الله . وقليل ما هم .

وقال أيضاً — في التحصن بالله ورسوله ، وآيات القرآن ، وإقامة الصلوات — ما يكفى شر جميع الشيطان والإنس والجن أجمعين . ولو أنهم توكلوا على الله ، وتطهروا من النجاسات ، وأقاموا الصلوات لما آذتهم الشياطين ، ولا ضيرتهم الجن . بل كانوا يفرون منهم ؛ لأن كيد الشيطان كان ضعيفا . وأما الأمراض والعاهات فقد يسوقها الله إلى عباده المؤمنين ليثيبهم ، وقد يُساق من البليات والآفات ، إلى الذين يتمسكون بهذه الأوهام ، ويتعلقون بالجن ، أضعاف ذلك ، وهم مأثومون مأزورون ، لا مثابون ، ولا مأجورون .

وقال — رضى الله عنه — : تمسكوا بالله ، وتحصنوا به ، واحذروا من التجربة على الله . وهو أن يقول : أقرأ هـذه الآية ، أكتب هذا الحرز ، أسمع بشور فلان الصالح ، وأنظر كيف يكون الحال . فإن مثل هذا شك ، وبسببه يحرم أكثر الناس بركة الصالحين ، وبركات إشاراتهم ، حتى صاروا يقولون : ما بقى فى الزمان أحد من أهل الأسرار والكرامات ، وقد قطعت بهم هممهم الضعيفة ، وقلة صدقهم ويقينهم . إنما ينتفع من كان له همة ، وقوة يقين ، حتى لا يتصور أن يخطر فى نفسه خلافها ، بقول الرجل الذى يعتمد عليـــه ، وعلى إشارته ، من أهل الله .

وقال — رضى الله عنه — : طالـع كتب القوم ما استطعت بفهم ، وبدون فهم ؛ فإن فيها البركة والخير .

وقال أيضاً : تنزيه الحق وتقديسه ، وتعاليه عن صفات المخلوقين ، هو الأمر المجمع عليه شريعة وحقيقة . وكذلك هو فى الدنيا والآخرة ؛ لأن لأهل الطرائق إطلاقات وتوسعات . ومنهم من قد يطلب فيشطح ، وكل معذور ، وله فيما يأتيه

مستند ، ووجه يعرفه أهله . لا أوسع من الأمور الإلهية ، ولا أتم منها وضوحاً لأهلها ، ولا أكثر منها خطراً لمن ليس من أهلها ، سيما إن أخذ منها بغير شيخ محقق يهديه تلك المسالك ، ويجول به في تلك المهالك . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وسأله سيدنا وشيخنا الإمام القدوة العارف بالله : أحمد بن زين الحبشي — نفع الله بهما — بما لفظه : هل يكون للمتعلق بشيخ من مشايخ الطريق ترق بواسطة شيخه من حيث لا يعلم المتعلق فإن كان كذلك ، فما السبب في ذلك ؟ هل هو المحبة للشيخ ولطريقته ، والميل إلى ما هو عليه من السيرة وشهود الكمال فيه ؟ فإن كان كذلك ، فهل لها السبب من مقر ومضعف ؟

فأجابه : نعم ترقى بنظره وتعظيمه وحسن الظن فيه ، من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ، وترقيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهدته وأعماله . فإذا اجتمعا للمريد ، كان أجدر بالترقي ، وأحرى للانتفاع . وأما الذي يقويه فهو أن ينظر المريد فيما يؤكد اعتقاده وتعظيمه لشيخه ، من أعماله الصالحة ، وسيره المرضية .

وبالجملة : فلا أنفع للمريد ، من انطوائه في الشيخ ، وكمال حسن الظن والاعتقاد فيه ، والقليل من التوجه والمجاهدة مع ذلك أكثر ، وبالعكس حكمه العكس .

وقال — رضي الله عنه — : في الكتب الغزالية نور وبركة ونفع وسر ، ولها من التأثير ما ليس لغيرها .

وسئل ـ نفع الله به ـ عن حد الصدق والصادق والصديقية والصديق.

فأجابه : اعلم أن الصدق حال شريف ، ويقصدون اجتماع الباطن والظاهر ، على تحصيل الأمر المطلوب من طريقه ، على أكمل وجه من وجوهه. والصادق : من قامت به هذه الحالة . ولا بد أن يكون بين الصادقين تفاوت ، من كامل وأكمل إلى أن ينتهى الصادق إلى أوائل مراتب الصديقية . وذلك نهايته . والصدّيق : هو المستجمع لجميع مراتب الصدق وأحوال الصديقين ، على الوجه الأتم الأمكن من غير تزلزل ولا تلوين .

والصدّيق : من قامت به هذه الصفة ، ورسخت قدمه فى هذه المرتبة ،وهو عبارة عن المؤمن الكامل فى عبادته وإيمانه ، ويقينه ، وإقباله على الله وعمله لله ، ودعوته إلى الله بلسان حاله ومقاله .

وأهل هذه المرتبة يتفاوتون فيها، من كامل وأكمل إلى الله، إلى أن ينتهى الصديق إلى أوائل النبوة . فتلك نهاية الصديقية . والنبوة مرتبة على انفرادها . وهذه القربة التى أشار إليها ابن عربى ، هى أعلى مقام فى الصديقية وهى من خصوصيات بعض أهل هذه المرتبة الشريفة كالخليل. وقد جمع الله ذلك لنبينا ﷺ فساد به جميع الأنبياء والمرسلين .

وقال ـ نفع الله به ـ : التمكين عبارة عن كمال الثبات والرسوخ فى المقام ، حتى لا يتزلزل صاحبه ولا يتلون . ولا تحكم عليه الأحوال ، ولا تتصرف فيه عموماً وخصوصاً .

وسئل : هل فى الصديقية روح للنفس فى كل المقامات ، أو فى شىء منها ؟

وأجاب : نعم لها روح وأنس ، ولكنه لا يسمى حظا ، لأن النفس بإزاء

ذلك الوصف الشريف والرتبة المنيفة التي هي الصديقية لا تكون إلا لنفس مطمئنة، قد فنيت حظوظها البشرية وانمحقت أغراضها الجسمانية. فنعيمها إلى ذلك ومنه وبه، ويشبه نعيم أهل الجنة فيها بوجه لا يشغل عن الله، ولا يحجب عنه إن كان صاحبه بوصف أهل الفناء أو بوصف أهل البقاء.

وقال: إن لله في خلقه أسراراً خفية وخصوصيات وتصاريف لا يحيط بها غيره، وإن من أعطاه شيئاً من سره، أو أطلعه على أمر من غيبه، أو صرفه في شيء من ملكه فهو على ما أعطاه. وقد تضيق مرآته، فيحسب أنه لا شيء وراءه. وقد يتسع فيعرف ويعلم، أن الذي لديه قليل من كثير، وصغير من كبير. ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

وقال: القطب الغوث: هو إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم.

وقال ـ رضي الله عنه ـ: هؤلاء الناس أشد تمسكا بالحق، وأعظمهم اتباعا للكتاب والسنة. والذي ينسبهم إلى الغلو والإفراط أصدق من الذي ينسبهم إلى التفريط والإضاعة.

وقال ـ قدس الله سره ـ: من علم وفهم واتقى وأحسن، لم يخف عليه سبيل التفرقة بين المهمات والفضائل، والأولى والأحسن. والله يشرح صدورنا وصدوركم للإيمان والإسلام، ويجعلنا من المتحققين بالتقوى والإحسان، لنفوز بمعيته ومحبته. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

وقال ـ رضى الله عنه ـ استرشد الله ، واستعن به ، على القيام بأداء حق ربوبيته ، ترشد وتُعن . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقال : إذا لم يكن الأساس فى غاية الإحكام كان البناء عليه إلى الانهدام أقربَ منه إلى التمام . والأساس هو تقوى الله ـ عز وجل ـ والتقىّ لله : من يتقى ما يتقى طلبا لمرضاته ، ورغبة فى ثوابه ، ورهبة من عقابه .

ومن أحكم مقام التقوى ، صلح وتأهل لعلم الوارثة . وهو العلم اللدنى الذى يقذفه الله فى قلوب أوليائه ، وهو ثمرة العمل المستفاد من الكتاب والسنة ؛ الخالص من شوائب النفس والهوى وملاحظة الإحسان المصحوب بالتقوى ، مع مجانبة الدعوى . ولن يستعد العبد لهذا الفيض الإلهى ، بدون الرياضة القاطعة لأصول الشهوات ، مع التوجه الدائم إلى الله فى قوالب العبادات .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أوصيك بالحرص على طلب العلم النافع ، قراءة ومطالعة ومذاكرة . ولا يحملنك على تركه الكسل والملالة . ولا مخافة أن لا تعمل به ؛ فإن ذلك ضرب من الجهالة . وعليك بإصلاح النية فى طلبه وبمناقشة النفس فى ذلك ، ولا تقنع منها بالدعاوى ، حتى تمتحنها وتختبرها . وكلفها العمل بما علمت وتعليمه لمن لا يعلمه ، سأل أو لم يسأل .

هذا فى العلم الواجب . وكل ما زاد عليه فتعلمه وتعليمه من القربة العظيمة إذا صحت النية . وصحتها أن تكون مقصورة على إرادة وجه الله والدار الآخرة ، دون شىء آخر من جاه أو مال .

وقال ـ نفع الله به ـ : عليك بالمواظبة على مطالعة كتب القوم والنظر فيها فإن فيها الهداية إلى معرفة الله الخالصة ، والإرشاد إلى إصلاح النيات وإخلاص

الأعمال وتهذيب النفوس إلى غير ذلك ، من العلوم النافعة التى تسوق وتقود إلى الفوز والنجاة ، فلا يمسك عن مطالعتها والنظر فيها إلا من عميت بصيرته ، وأظلمت سريرته . وإن ضاق وقتك ولم يتسع للنظر فيها عموما ، فخص الكتب الغزالية منها ؛ فإنها من أنفعها وأجمعها وأبدعها .

وقال — رضى الله عنه — : أوصيك بحضور القلب ، وخشوع الجوارح ، فى جميع عباداتك. فبذلك تحصل لك ثمارها، وتفيض عليك أنوارها، ومراقبة الله فى كل حال ، وأشعر قلبك بأن الله عليك رقيب ، ومنك قريب .

وقال — نفع الله به — : إن النفس لجهلها لا تكاد تفعل شيئاً ولا تتركه ، إلا لشيء ترجوه ، أو شيء تخافه ، سيما وهى مجبولة على الكسل عن الطاعات ، والميل إلى المخالفات .

وقال — رضى الله عنه — : عليك أن لا تقطع ساعة من ساعاتك ، ولا نفسا من أنفاسك ؛ إلا فيما يعود عليك نفعه ، فى معادك ومعاشك ، الذى تستعين به على المعاد .

وقال — رضى الله عنه — : يستدل على عمارة القلب واستنارته بثلاثة أشياء : الأول : خشية الله بالغيب . الثانى : أن لا تبالى كيف تكون عند الخلق ، إذا كنت عند الله مرضيا . الثالث : أن لا تبالى بما ذهب من الدنيا ، إذا كان الدين سالماً . وأضداد هذه الأشياء تدل على خراب القلب وظلمته .

وقال — رضى الله عنه —: اصرف اللسان عما لا يعنيك وهو كل ما لا ترجوه على النطق به ثوابا ، ولا تخشى فى الإمساك عنه عقابا .

وقال ـ جزاه الله خيراً ـ : كل حركة وكلمة تجرى على الظاهر ، لا بد أن يكون لها أثر فى القلب . فالطاعة أثرها نور، والمباحة أكثرها قسوة ، والمحظورة أثرها ظلمة .

وقال : السعيد من اعتزل أهل العصر واشتغل بربه عنهم وما هم فيه ، واصبر على ذلك حتى يأتيك اليقين .

وقال ـ نفع الله به ـ : نوصيك بترك مجالسة أهل الزمان ومخالطتهم ومعاملتهم والتعرف إلى من تنكره منهم إلا عند الحاجة ، مع غاية الاحتراز والحذر ؛ ليسلموا من شرك ، وتسلم من شرهم ، وتكون هذه نيتك فى مجانبتهم ؛ فلا تجالس إلا من ينفعك مجالسته فى دينك ؛ فإن تعذر عليك ففر من مجالسة من تضرك مجالسته فى الدين ، فرارك من الأسد الضارى وأشد .

وقال ـ نفع الله به ـ : أوصيك بالتواضع ؛ فإنه محمود فى كل حال ، إلا لأبناء الدنيا ، رجاء أن تصيب من دنياهم . والتكبر مذموم فى كل حال ، إلا على الظلمة زجراً لهم . وأوصيك بإضمار الخير لكل مسلم ، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك فى الدنيا والآخرة ،ويكون الكلام معهم فى غير معصية ، وبإفشاء السلام وخفض الجناح ولين الجانب ، والتخلق بالشفقة والرحمة على سائرهم ، مع الإجلال والتعظيم لمحسنهم ، والستر على مسيئهم .

وقال ـ نفع الله به ـ : أوصيك بإيثار الدون والأقل من جميع أمتعة الدنيا ، مطعما وملبسا ومسكنا ، وغير ذلك تواضعا لربك ، وإيثارا لآخرتك ، واقتداء بنبيك .

وقال : التقلل من الدنيا رأس كل خير ، وما يخص الله أحداً من عباده به إلا وهو يريد به الكرامة فى الدنيا والآخرة ، بشرط أن يكون قانعاً بما قسم الله له ، أو راضيا، وأن لا يمد عينيه إلى زهرة الدنيا اشتياقا إليها، ولا يتمنى أن يعطى ما أعطى أهل الدنيا من متاعها ، ليتمتع كما يتمتعون .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : ولا يدخل قلبك خوف الفقر . فبئس القرين هو . واحذر الاهتمام بأمر الرزق ، فليس له مستند إلا الشك فى المقدور ، وما قدر لك أو عليك فلا بد أن يصل إليك ، بسعى وبدون سعى ؛ حسبما جرى به القلم فى أم الكتاب ، فاصرف همك إلى القيام بما فرض الله عليك من حقه ؛ فإنما ابتلى أهل الزمان ببلية الاهتمام بالرزق عقوبة لهم على تضييع الأوامر ، وارتكاب المحارم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أوصيك بالرفق فى جميع الأحوال ، وبالإخلاص فى جميع الأفعال . وبترك ما يشغلك عن الله من أهل ومال ، وبحسن الإقبال على ما ينفع فى المآل وبالرجوع إلى الله ، والتوكل على الله فى جميع الأحوال وبمتابعة الرسول ﷺ فى الأخلاق والأقوال والأفعال .

وقال ـ رضى الله عنه ، وأرضاه ـ : عليكم بصحبة الأخيار ، والتأدب بآدابهم ، والاستفادة من أفعالهم وأقوالهم ، وبزيارة الأحياء منهم والأموات ، مع التعظيم البالغ ، وحسن الظن الصادق فيهم ؛ فبذلك يحصل الانتفاع للزائرين ، ويفيض المدد من جهتهم . وإنما قلّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين ، من حيث قلة التعظيم لهم ، وضعف حسن الظن فيهم ، فحرموا بسبب ذلك بركاتهم ، ولم يشاهدوا كراماتهم ، حتى توهموا أن الزمان خال من الأولياء . وهم ـ بحمد الله ـ كثيرون ، ظاهرون ومخفيون . ولا يعرفهم إلا من نور قلبه ، بأنوار التعظيم ، وحسن الظن فيهم . وقد قيل : المدد فى المشهد .

وقال ـ نفع الله به ـ : عليكم بمجانبة الأشرار ، وترك مصاحبتهم والاختلاط بهم ؛ فإن فيهم الخسارة ، والعار فى الدنيا والآخرة . وهو الذى يعوج المستقيم . وفيه من الإضرار بالقلب والدين أمر عظيم .

وقال ـ جزاه الله أحسن الجزاء ـ آمين : ما أحسن حال من أقبل على الله وعلى طاعته ، إقبالا لا يشعر معه بشىء ؛ مما يدل عليه أهل الزمان ، مما يخالف هدى السلف الصالح والمجانبة لسيرهم المحمودة .

وقال ـ نفع الله به ـ : رأس الأمر عند الطائفة ، ومدار الشأن عندهم : اجتماع القلب على محبة الله ، والإقبال عليه ، واجتماع الظاهر على ابتغاء الزلفى لديه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أوصيك بحفظ الأصول الأربعة وأحكامها وملازمتها وتصحيحها : فإنها التى بُنى عليها الأمر كله . وهى البداية التى إذا صحت ، أثمرت صحة النهاية : حفظ الفرائض الباطنة ، والظاهرة ، وملازمة الافتقار ، والاضطرار إلى الله ، والتحقق بالذلة ، والانكسار بين يدى الله ، والتوكل والاعتماد على الله ، فى كل أمر ، والاكتفاء والاستغناء والاستعانة بالله وحده ، فى السر والجهر ، وتقوية هذه الأربعة وتأكيدها ، بالجد . وهو بذل الاستطاعة والإمكان ، فى الوصول إلى المحبوب . والصدق ، وهو اجتماع جميع قوى الباطن والظاهر ، على تحصيل المطلوب . والصبر ، وهو الثبات على ملازمة الجد والصدق ، وعلوّ الهمة . وهى أن لا تقنع بدون الاستهلاك فى الله ، والذهاب به بالكلية ، والفناء به . وتتم تلك الأصول وأكملها بأربعة : قراءة القرآن بتدبر وافر ، وملازمة الذكر لله بقلب حاضر ، والقيام بين يدى الله تحت أستار الدياجر ، وصحبة من يدلك على الله أو يعينك على طاعته ويؤازر .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : عليكم بالبراءة من الحول والقوة إلا من الله على الدوام . وإن وجدت فى قلبك حرجا ، أو فى نفسك ضيقا ، أو فى قلبك استيحاشا ؛ فأكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ فإنها الدواء الشافى ، النافع لكل دواء . وأكثر من كلمة ذى النون : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : إياك والاهتمام بأمر الرزق ، فإنه يسوّد وجه القلب ، ويعرض به عن الحق . وهـــو من شأن العوام المملوكين للأوهام ، المقصورين على خدمة الأجسام . وكثيرا مايدفع به اللعين ، فى وجوه المتوجهين إلى الله ، ليردهم على أعقابهم ناكصين . فاحذر منه ، واحترز من مكائده ، واستعن بالله من شر تزويره وتلبيسه . وتحصن منه بحصن الإيمان بالله ، والتوكل على الله ؛ فإنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : إياك أن ترى لنفسك فضلا على أحد من المسلمين . وليس الحرج فى ذلك منوطا . بخاطر يخطر ؛ فإن العبد قد يبتلى به ، ولكنه منوط بالجزم والقطع ؛ لأن العبد يصير بذلك جريئا ومتهجما على الغيب الذى تفرد سبحانه بعلمه .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : عليك بالذكر ؛ فإنه المفتاح ، وسبيل النجاح ، ومصباح الأرواح ، وسوق الأرباح .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : كن مع الخير وأهله ، وأطلع الله من قلبك على محبة الحق ، ومحبة القيام ، وأصلح نيتك به فيما بينك وبينه ــ سبحانه ــ يكفك فيما بينك وبين خلقه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لاتختر غير الله ، ولا تؤثر عليه شيئاً سوى ربك ، وارفع همتك عن الأكوان ، ولا تعجب بنفسك .

وقال ـ نفع الله به ـ: السر فى الحضور والتدبر، لا فى الإكثار من القراءة. ودم على ذكر الله ، واستمر بالقلب واللسان ، ولا تزل قائلا : لا إله إلا الله ، ومستحضراً لمعناها بقلبك . عليك بدوام الذكر ، عليك بملازمته لا تفتر عنه . إياك والغفلة عن ذكر مولاك ؛ فإن الغافل عن ذكر ربه ميت القلب . وعليك بسعة الصدر ، ودوام البشر ، وطلاقة الوجه ، وطيب الكلام ، وخفض الجناح ، ولين الجانب مع إخوانك المؤمنين ، وأحسن التودد إليهم ، والتآلف بهم . ودار من يحتاج إلى المداراة منهم ، بما تقدر عليه بنية إصلاحه ، واستقامة دينه ، واشكر محسنهم، واثن عليه بالخير ، من غير إفراط ، وتجاوز عن مسيئهم ، ولا تعاتب أحداً على تقصيره فى حقك إلا إن كان خاصا صادق المودة مختبرا . وأما تقصيرهم فى حق الله ، أو حق عباده ، فلا تتساهل فيه . ويكون على حسب أحوالهم ورغبتهم ودخولهم فى الدين . فترفق للمبتدئ وضعيف الرغبة ، أكثر من غيره . وفى الرفق الخير كله . فعليك به . وعليك بحسن المعاشرة مع الإخوان ، وكثرة التغافل عما يجرى منهم من الهفوات التى لا يسلم منها إلا الخواص من عباد الله المخصوصين ، ويكون كلامك معهم ، فيما ينفعهم ، وتدعو حاجتهم إليه فى معاشهم ومعادهم . ولا تخض معهم فى غير ذلك إلا على نية الأنس والاستئناس ، عند الحاجة إلى ذلك . ومن آذاك بفعل أو قول أو شتم أو ذكرك بين الناس بسوء فلا تكافئه ، ولا تقابله بمثل ماجرى منه . فإما أن تعفو عنه ، وتجعله فى حل من غير حقد عليه ، ولا بغض له ؛ وذلك من أخلاق الصديقين ، وإما أن تكل أمره إلى الله ، وتكتفى بنصره لك .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ازهد فى الدنيا بقلبك ، وتقلل منهـــا جهدك ، ولا تجعلها من همك ، ولا من طلبك ، ولا تشته من شهواتها شيئاً لأجل التمتع والتلذذ ؛ فإن ذلك حجاب عند الله عظيم . وجاهد نفسك حتى تقطع عنها كل سبيل إلى شهواتها . وليكن الخمول أحب إليك من الشهوة ، والفقد أحب إليك من الوُجد ، والفقر أحب إليك من الغنى . هذا فى قلبك ، ويتحقق به سرك ، ويفعل الله فى حقك من هذه الأشياء ما قسم لك . والحذر من حب الجاه والشهرة والصيت بين الناس ، والتعظيم والثناء منهم ؛ فإن تلك سموم قاتلة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : عليك بحب أهل البيت ، وتعظيمهم جداً . فقلّ ما تظاهر بذلك أحد عن صدق باطن إلا رفعه الله وأجلّه ، حتى يصير بين الناس كأنه من أهل البيت . والمرء مع من أحب . وحبهم وتعظيمهم ليس لهم ، بل هو لله ولرسوله .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الله الله فى إدامة العمل لله تعالى ، والسير بالظاهر والباطن والدأب والدعوة إلى الخير ، والتعريف بالحق والحقوق الإلٰهية ، مع اللطف والرفق ، وإيثار التواضع ، وخفض الجناح للإخوان ، مع مجانبة الغلظة ، والفظاظة ، والرعونات النفسية ، ويبس الطبيعة . وكن عبداً محضاً تفيض عليك الإمدادات الرحموتية حتى تستغرقك ، ثم تفض منك على من يواليك ويليك ، ومن عكس جاءه العكس ، من الإمدادات القهرية الجبارية ، ثم يفيض على من يليه كذلك .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : ما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن ، إلا والتقوى سبيل موصل إليه ، ووسيلة مبلغة له . وما من شر عاجل ولا آجل ، ظاهر ولا باطن ، إلا والتقوى حرز حريز منه ، وحصن حصين

للسلامة والنجاة من ضرره . وكم علق الله العظيم ، فى كتابه العزيز ، على التقوى ، من خيرات عظيمة ، وسعادات جسيمة . وكم وعد الله ورسوله على التقوى ، من خيرات وسعادات ، ودرجات وحسنات ، وصلاح وفلاح وأرباح ، يطول ذكرها ، ويتعذر حصرها . وهى عبارة عن امتثال أوامر الله — عز وجل — واجتناب محارمه ، ظاهرا وباطنا ، مع استشعار التعظيم لله تعالى ، والهيبة والخشية والرهبة ؛ من الله سبحانه . ولن يستطيع العبد ولو كان له ألف ألف نفس إلى نفسه ، وألف ألف عمر إلى عمره ، أن يتقى الله حق تقاته ، ولو أنفق جميع ذلك فى طاعة الله ومحابه إلا بهدايته لك . وذلك لعظم حق الله على عباده ، وجلال عظمة الله ، وعلو كبريائه ، وارتفاع مجده .

وقال — رضى الله عنه — : أكثر الحمد والشكر على نعمة الإسلام ؛ فإنها أعظم النعم وأكبرها ؛ فإن الله لو أعطى عبداً الدنيا بحذافيرها ، ومنعه الإسلام ، لكان ذلك وبالا عليه . ولو أعطاه الإسلام ، ومنعه الدنيا ، لم يضره ذلك .

اللهم يا أرحم الراحمين ، نسألك بنور وجهك الكريم : أن تتوفانا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين ، فى عافية يارب العالمين .

وقال — رضى الله عنه — : من جعل الدعاء إلى الخير دأبه وشغله ، فقد أخذ بحظ وافر ، من ميراث رسول الله ﷺ وسار على سبيله . ولم يكن شغله — عليه السلام — فى جميع أوقاته ، غير الدعوة إلى الله ، بقوله وفعله . ولذلك بعثه الله ، وبه أمره . فأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وأولاهم به فى الدنيا والآخرة ، أحرصهم على هذا الأمر ، وأكثرهم شغلا به ، وأتمهم دخولا فيه — أعنى به — الدعوة إلى الخير ، المفسر بالإيمان ، والطاعة والنهى عن الكفر والمعصية ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . والفلاح : هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

واعلم أن الرفق واللطف ، ومجانبة الغلظة والعنف ، أصل كبير فى قبول الحق والانقياد له . فعليك به ، مع من أمرته ، أو نهيته ونصحته من المسلمين . وأحسن السياسة فى ذلك ، وكلمه خاليا ، ولن له جانبك ، واخفض له جناحك ، فإن الرفق ما كان فى شىء إلا زانه ولا رُفع من شىء إلا شانه .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : وبعد فإنا قد رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ، والقرآن إماما ، والكعبة قبلة ، والمؤمنين إخوانا ، وتبرأنا من كل دين يخالف دين الإسلام . وآمنا بكل كتاب أنزله الله ، وبكل رسول أرسله الله ، وبملائكة الله ، وبالقدر خيره وشره ، وباليوم الآخر ، وبكل ما جاء به محمد ﷺ عن الله ، على ذلك نحيى ، وعليه نموت ، وعليه نبعث ـ إن شاء الله ـ من الآمنين ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بفضلك اللهم ، يارب العالمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : احرص كل الحرص على أن يكون قلبك سليما ، من الشرك والنفاق والبدعة ورذائل الأخلاق ، مثل الكبر والرياء والحسد ؛ والغش لأحد من المسلمين ، وأشباه ذلك . واستعن بالله واصبر ؛ واجتهد وشمر . وقل كثيرا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . فبذلك وصف الله الراسخين فى العلم ، من عباده المؤمنين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن خير القلوب وأحبها إلى الله ما كان نظيفا ، نقيا من الباطل والشكوى ، ومعانى الشر كلها ؛ واعيا للحق والهدى ؛ ومعانى الخير والصواب .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : اعلم أنها لا توزن أعمال القلوب بأعمال الجوارح فى الخير والشر إلا وترجح أعمال القلوب ، رجحانا بينا ، على أعمال الجوارح ؛

وتزيد عليها زيادة كثيرة . ومن هذه الحيثية ، فضل أهل التصوف المعتنين بتزكية القلوب ، والمهتمين بما يخصها من الأوصاف ، والأعمال الصالحة ، على غيرهم ، من طوائف المسلمين ، من العلماء والعباد الذين ليس لهم من العناية بأمر الباطن ، مثل ما لأهل التصوف . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : اثبت أيها المؤمن المطيع على طاعة ربك ، واستكثر منها واصبر عليها ، وأخلص له فيها ، ودم على ذلك حتى تلقاه ـ جل وعلا ـ فيها يرضيك ويرضى منك ، ويحلك دار كرامته ؛ مثل الجنة التى وعد المتقين تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار . وانزع أيها المؤمن العاصى عن معصيتك ، وتب إلى ربك منها من قبل أن ينزل بك الموت ، فتلقى ربك دنسا خبيثا .

وقال ـ نفع الله به ـ : طول الأمل يحمل على الحرص على الدنيا والتشمير لعمارتها ، حتى يقطع الإنسان ليله ونهاره فى التفكر فى إصلاحها ، وكيفية السعى لها تارة ، وتارة بالعمل فى ذلك ، والأخذ فيه بظاهره وباطنه ، فيصير قلبه وجسمه مستغرقين فى ذلك .

وحينئذ ينسى الآخرة ، ويشتغل عنها ويسوف فى العمل لها فى أمر دنياه ، مبادراً ومشمراً ، وفى أمر آخرته مسوفا ومقصراً . وكان الذى ينبغى له أن يعكس الأمر ، فيشمر للآخرة التى هى دار البقاء وموطن الإقامة ، وما يدرى الإنسان ، لعله لم يبق من أجله إلا الشىء اليسير وهو مقبل على دنياه ، ومعرض عن آخرته فإن من نزل به الموت وهو على تلك الحالة ، رجع إلى الله وهو غير مستعد للقائه وربما تمنى الإمهال عندما ينزل به الموت ، فلا يجاب إليه ، ولا يمكن منه .

فلا يطيل الأمل ، ويسوف العمل ، ويغفل عن الاستعداد للموت إلا أحمق مغرور ؛ فطول الأمل من اتباع هوى النفس ، والانخداع بأمانيها الكاذبة .

وقال — رضى الله عنه ، وجزاه عنا خيراً — : استعن بالله واصبر ، واجتهد وشمر ، وبادر بالأعمال الصالحة ، من قبل أن لا تجد إليها سبيلا . واغتنم فسحة الأمل من قبل أن يفجأك الأجل ؛ فإن غرض الآفات هدف منصوب لسهام المنيات . وإنما رأس مالك الذى يمكنك أن تشترى به من الله سعادة الأبد ، هو هذا العمر . فإياك أن تنفق أوقاته ، وأيامه وساعاته وأنفاسه ، فيما لا خير فيه ولا منفعة ، فيطول تحسرك ، ويعظم أسفك بعد الموت . إذا عرفت قدر الغائب وتحققت ، فاختر لنفسك — رحمك الله ما دمت فى دار الاختيار — ما ينفعها ويرفعها ؛ فإنك لو مت خرج الأمر عن اختيارك . وبادر ولا تسوف ؛ فإن التسوف شر ، والإنسان معرض للآفات ، وشواغله كثيرة .

وقال — رضى الله عنه — : المؤمن البصير فى الدين ، الراسخ فى العلم واليقين ، هو الذى يحسن العمل لله تعالى ، ويجتهد فى ذلك بكليته ، ثم يعتمد على الله وعلى فضله ، ولا يعتمد على عمله وإحسانه . وعلى هذا الوصف مضى الأنبياء ، والعلماء ، وصالحو السلف والخلق — عليهم السلام ، والرحمة والرضوان .

وقال — رضى الله عنه — : العبد المبتلى المصاب ، إذا علم أن المبتلى له هو ربه الرحيم ، وأنه بذلك البلاء سبق الكتاب من الله — عز وجل — تحقق وأيقن أن فى ضمن ذلك له صلاحا ، وخيرا كثيرا ؛ فيحمله العلم بذلك ، على الرضى والتسليم ، لله الحكيم العليم .

وقال — رضى الله عنه — : العجب أنك ترى الجاهل المغرور ، لا يفتر عن طلب الدنيا ، ليلا ونهارا ، ولا يزال متكالبا عليها ، شديد العناية بجمعها ومنعها ،

والتمتع، ويقيم لنفسه فى ذلك الأعذار الكثيرة، ثم تجده جاهلا بأمر دينه؛ لم يطلب علماً، ولم يجالس عالما، ليتعلم منه قط. فإن قيل له فى ذلك احتج بعدم الفراغ، وكثرة الاشتغال، مع أن الله — وله الحمد — قد يسر له طلب العلم بوجود العلماء، وخفة المؤونة، فى تعلم القدر الواجب من العلم. وأمر الدنيا على الضد من ذلك، فلا يكاد ينال منها شيئاً يسيرا إلا بعسر ومشقة، وتعب كثير. فليس ذلك إلا من موت القلب، وهوان أمر الدين على الإنسان، وقلة الاحتفال بأمر الآخرة؛ فإنه يرى حاجته إلى متاع الدنيا ظاهرة حاضرة، ويرى حاجته إلى العلم بعيدة غائبة؛ لأنه لايحتاج إليه، ولا يعرف منفعته إلا بعد الموت، ونسى ما بعده لغلبة الجهل عليه، وفقد العلم عنده.

وقال — رضى الله عنه، ونفع به —: أما الاتساع فى العلوم الدينية النافعة، والإكثار منها، والزيادة على قدر الحاجة، فذلك من أعظم الوسائل إلى الله، وأفضل الفضائل عند الله، ولكن مع الإخلاص لوجه الله، فى طلب العلم، ومع مطالبة النفس بالعمل بما تعلم، وتعليمه لعباد الله، مريدا بذلك كله وجه الله، والدار الآخرة. وتلك المرتبة تلى مرتبة النبوة. وجميع مراتب المؤمنين أنزل منها.

وقال — رضى الله عنه —: وعلامات العالم المعدود من علماء الآخرة: أن يكون خاشعا متواضعا، خائفا وجلا، مشفقا من خشية الله، زاهداً فى الدنيا، قانعا باليسير منها، منفقا للفاضل عن حاجته؛ مما فى يده، ناصحا لله وفى الله، شفيقا على عباد الله، رحيما بهم، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، مسارعا فى الخيرات، ملازما للعبادات، دالا على الخيرات، داعيا إلى الهدى، ذا سمت ومودة، ووقار وسكينة، حسن الأخلاق، واسع الصدر، لين الجنب، مخفوض

الجناح للمؤمنين ، ولا متكبرا ، ولا مجبرا ، ولا طامعا فى الناس ، ولا حريصا على الدنيا ، ولا مؤثرا لها على الآخرة ، ولا جامعا للمال ، ولا مانعا له عن حقه ، ولا فظا ، ولا غليظا ، ولا ممارياً ، ولا مجادلا ، ولا مخاصما ، ولا قاسيا ، ولا سيىء الأخلاق ، ولا ضيق الصدر ، ولا مداهنا ، ولا مخادعا ، ولا غاشا ، ولا مقدما للأغنياء على الفقراء ، ولا مترددا على السلاطين ، ولا ساكتا عن الإنكار عليهم ، مع القدرة ، ولا محبّا للجاه والمال والولايات ، بل يكون كارها لذلك كله ، لا يدخل فى شيء منه ، ولا يلابسه إلا من حاجة وضرورة .

وقال ـ نفع الله به ـ : قال رسول الله ﷺ : الدعاء مخ العبادة ، والدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض ، ولا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر . والدعاء : هو العبادة . ولا يهلك مع الدعاء أحد . والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل . ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ . وأمر ـ عليه السلام ـ بتعظيم المسألة . وبجزمها ، وأن لا يقول العبد : اللهم اغفر لى ـ إن شئت ـ بل يعزم المسألة ، ويعظم الرغبة ، ويلح فى المسألة ، ويوقن بالإجابة ، ويكون عند دعائه حاضر القلب مع ربه ، خائفا من الرد ، من حيث غفلته عن مولاه ، وتقصيره فى القيام بحقه ، وطامعا فى الإجابة ونيل الرغبة ، لكمال الجود ، وصدق الوعد .

وقد ورد : إن الله حيي كريم ، يستحيي من العبد ـ إذا رفع إليه يديه ـ أن يردهما خائبتين .

وورد أيضاً : إنه لا يدعو الله داع إلا استجاب له . فإما أن يدخر له فى الآخرة ، ما هو أفضل وأكمل . فينبغى للعبد أن لا يزال داعيا ومتضرعا ، فى رخائه وشدته ، ويسره وعسره ، ولا يستبطىء الإجابة ، ولا ييأس . فقد يكون لله تعالى سر وخيرة فى تأخيره بعض الأمور ، ويكون للعبد فى ذلك صلاح ونفع ،

من حيث لا يشعر . فليدع وليفوض الأمر لله . وكلما سأل ربه فليسأله اللطف والعافية ، وصلاح العاقبة ، وليسأل كل ما يشاء ، مما فيه رضاه ، من أمور الآخرة والدنيا ، ومن جليل وحقير . ولا يغفل عن أكل الحلال ، كما فى الحديث .

وبالجملة : فالدعاء من أعظم ما أنعم الله به على عباده ، حين أمرهم به ، وحرضهم عليه ، حتى إنه يغضب على من لا يسأله . وكما ينبغى للإنسان أن يدعو بمثل ذلك ، لوالديه ولأحبابه وللمسلمين ، فليحذر كل الحذر ، من الدعاء بالشر على نفسه ، أو على أولاده ، أو على ماله ، أو على أحد من عباد الله . وإن ظلمه ، فليكل أمره إلى الله تعالى ، وليرض بنصرة الله . ولا خير فى الدعاء بالشر على ظالم ولا غيره . وليجعل بدل الدعاء عليه الدعاء له ، كما هو صفة عباد الله الرحماء .

فمن الدعوات الجامعات النبويات : اللهم إنى أسألك العافية ، فى الدنيا والآخرة . اللهم أحسن عاقبتى فى الأمور كلها ، وأجرنى من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم ارزقنى طيباً ، واستعملنى صالحاً . اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى . اللهم إنى أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى . اللهم كما حسَّنت خلْقى فحسن خلُقى . اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة . اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملا متقبلا . اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقائك . اللهم أرنى الحق حقا ، وارزقنى اتباعه ، ولا ترنى الحق باطلا ، وأرنى الباطل باطلا ، وارزقنى اجتنابه . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا . اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

ويكثر العبد من سؤال العافية فى الدنيا والآخرة ، وقنا عذاب النار . فقد ورد فى الحديث : إنه ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية فى الدنيا والآخرة ، فهى من أجمع الدعوات وأفضلها . والله ولى التوفيق .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ينبغى لك أيها الأخ أن لا تحب ، ولا تصحب إلا أهل التقوى والعلم ، وأهل الزهد فى الدنيا ، من عباد الله المخلصين ، وأوليائه المؤمنين .

فإن المرء مع من أحب فى الدنيا والآخرة ، كما فى الحديث الصحيح ، وكما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : المرء على دين جليسه وخليله ، فلينظر أحدكم من يخالل . وقال : الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء . فصحبة المتقين والصالحين قربة إلى الله تعالى ، وهى الصحبة المحمودة المشكورة . وفى فضلها وردت الأخبار والآثار الكثيرة . وهى المحبة لله ، وفى الله الذى أعظم فضلها وثوابها ، وارتفع قدرها ومحلها من الدين .

وأما صحبة الأشرار ، ومن لا خير فى صحبته من الغافلين المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة ، فهى من الصحبة المذمومة الممقوتة ؛ لأن أهل الشر والفساد يتعين بغضهم فى الله ، وتجب مباعدتهم ومجانبتهم . وذلك من المهمات فى الدين . ومن لم يجد مؤمناً تقيا برا صالحا ، يصحبه ويعاشره ؛ فالعزلة والانفراد خير له وأصلح ، من مخالطة أهل الشر والفساد ؛ فإن خلطة المفسدين عظيم ضررها ، كثير شرها . وفيها آفات كثيرة وبليات هائلة ، عاجلة وآجلة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أكل الحلال ينور القلب ويرققه ، ويجلب له الخشية من الله تعالى ، والخشوع لعظمته ، وينشط الجوارح للعبادة والطاعة ، ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة . وهو سبب فى قبول الأعمال الصالحة ، واستجابة الدعاء كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : أطب مطعمك تستجب دعوتك .

وقال – رضى الله عنه – : أول الطريق باعث قوى يقذف فى القلب ، يقلقه ويحثه على الإقبال على الله والدار الآخرة ، وعلى الإعراض عن الدنيا وعما الخلق مشغولون به من عمارتها وجمعها ، والتمتع بشهواتها والاغترار بزخارفها . وهـذا الباعث من جنود الله الباطنة ، وهو من نفحات العناية ، وأعلام الهداية . وكثيراً ما يفتح به على العبد عند التخويف ، والترغيب والتشويق ، وعند النظر إلى أهل الله ، والنظر منهم ، وقد يكون من غير سبب . والتعرض للنفحات مأمور به ، ومرغب فيه . والارتقاب بدون التعرض ولزوم الباب حمق وغباوة . وقد قال ﷺ : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها .

ومن أكرمه الله بهذا الباعث الشريف فليعرف قدره ، وليعلم أنه من نعم الله التى لا يقدر قدرها ولا يبلغ شكرها . فليبالغ فى شكره تعالى على ما منحه وأولاه ، وخصه من بين أشكاله وأقرانه . فكم من مسلم بلغ عمره ثمانين سنة وأكثر لم يجد هذا الباعث ، ولم يطرقه يوما من الدهر .

وعلى المريد أن يجتهد فى تقويته وحفظه وإجابته – يعنى هذا الباعث – فيقويه بذكر الله والمنكر فيما عند الله ، والمجالسة لأهل الله ، ويحفظه بالبعد عن مجالسة المحجوبين ، والإعراض عن وسوسة الشياطين . وإجابته بأن يبادر إلى الإنابة ، ويصدق فى إقباله على الله ، ولا يتوانى ولا يسوف ولا يتباطأ ولا يؤخر ، وقد أمكنته الفرصة فليغتنمها ، وفتح له الباب فليدخل ودعاه الداعى فليسرع ، وليحذر من غد بعد غد ؛ فإن ذلك من عمل الشيطان . وليقبل ولا يتثبط ، ولا يتعلل بعدم الفراغ والصحة .

قال أبو الربيع المالقى : سيروا إلى الله عُرْجا ومكاسير ، ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة .

وقال ـ نفع الله به ـ : ليكن المريد على الدوام ، فى غاية من الاعتراف بالتقصير ، عن القيام بحق الله وما يجب عليه . ومتى حزن على تقصيره ، وانكسر قلبه من أجله ، فليعلم أن الله تعالى عنده ؛ إذ يقول : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن للقلب معاصى ، هى أقبح ، وأفحش ، وأخبث من معاصى الجوارح . ولا يصلح القلب لنزول معرفة الله ومحبته إلا بعد التخلى عنها والتخلص منها . فمن أفحشها الكبر والرياء والحسد .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : قلوب الخلق بيد الله يقلبها حيث يُقْبِل بها على كل من أقبل عليه ، ويسخرها له فيما يشاء .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا أراد العبد خلاف ما أراد مولاه ؛ فقد أساء الأدب ، واستوجب العطب .

وقال ـ نفع الله به ـ قبيح بالمريد أن يحسد من وافقه على طريقه ، وعاونه على أموره ؛ بل ينبغى أن يفرح لأنه قد صار عوناً له ، يتقوى به ؛ لأن المؤمن كثير بأخيه . بل ينبغى له أن يفرح به بباطنه ، ويجتهد على جمع الناس على طريق الله ، والاشتغال بطاعته . ولا ينبغى أن يبالى ، أفضلوه أو فضلهم ؛ فإن رزق الله يختص برحمته من يشاء .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا سلم القلب من حب الدنيا ، فقد صلح وتنور ، وطاب وتأهل ؛ لواردات الأنوار ، وصلح للمكاشفة بالأسرار .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا يتميز المريد عن غيره من النـــاس إلا بإقباله على الله ، وعلى طاعته ، والتفرغ عن كل ما يشغله عن عبادته . فليكن بأنفاسه شحيحا ، بخيلا بأوقاته . ولا يصرف منها قليلا ولا كثيراً إلا فيما يقربه من ربه ـ سبحانه ـ ويعود عليه بالنفع فى معاده .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الليل وقت خلوة العبد مع مولاه ؛ فأكثر فيه من التضرع والاستغفار . وناج ربك بإحسان الذلة والاضطرار ، عن قلب متحقق بنهاية العجز وغاية الانكسار . واحذر أن تدع قيام الليل ، ولا يأتى وقت السحر إلا وأنت مستيقظ ، ذاكر لله تعالى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من خلت عبادته عن الحضور فعبادته هباء منثور .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : فى عبادة ما بعد الصبح خاصية قوية ؛ لجلب الأرزاق الجسمانية ، وفيما بعد العصر خاصية ؛ لجلب الأرزاق القلبية . كذلك جربه أرباب البصائر ، والعارفون الأكابر .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الذكر الجامع لجميع معانى الأذكار ، وثمرتها الظاهرة والباطنة ، هو قول : لا إله إلا الله ، وهو الذكر الذى يؤمر بملازمته أهل البداية ، ويرجع إليه أهل النهاية .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : مَن سره أن يذوق شيئاً من أسرار الطبيعة ، ويكاشف بشىء من أسرار الحقيقة ؛ فليعكف على الذكر لله تعالى ، بقلب حاضر ، وأدب وافر ، وإقبال صادق ، وتوجه خارق . فما اجتمعت هذه المعالى لشخص إلا كوشف بالملكوت الأعلى ، وطالع روحه حقائق العلم الأصفى ، وشاهد جماله قدس الأسماء .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أول الطريق صبر ، وآخرها شكر . أولها عناء ، وآخرها هناء . وأولها تعب ونصب ، وآخرها فتح وكشف ، ووصول إلى نهاية الأرب .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من أسس جميع أموره على الصبر، حصل على كل خير ، ووصل إلى كل مأمول ومطلوب .

وقال ـ نفع الله به ـ : إنك لا تقدر على ملازمة الطاعة ، ومجانبة المعصية ، وترك الشهوات ، والإعراض عن الدنيا ؛ إلا بأن تشعر نفسك أن بقاءك فى الدنيا أيام قليلة ، وأنك عما قريب تموت . فتنصب أجلك بين عينيك ، وتستعد للموت ، وتقدر نزوله بك فى كل وقت . وإياك وطول الأمل ؛ فإنه يميل بك إلى محبة الدنيا ، ويثقل عليك ملازمة الطاعة ، والإقبال على العبادة ، والتجرد لطريق الآخرة . وفى تقدير قرب الموت ، وقصر المدة ، الخير كله . فعليك به ـ وفقنا الله وإياك .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : عُدّ إعراض الخلق عنك نعمة عليك من ربك ؛ لأنهم لو أقبلوا عليك ربما شغلوك عن طاعة الله ـ عز وجل ـ فإن ابتليت بإقبالهم ، وتعظيمهم وثنائهم . وترددهم عليك ؛ فاحذر من فتنتهم ، واشكر الله الذى ستر مساويك عنهم . ثم إن خشيت على نفسك من التصنع والتزين ، والاشتغال عن الله بمخالطتهم ، فاعتزلهم ، وأغلق بابك عنهم ؛ وإلا فارق الموضع الذى عرفت به إلى موضع لا تعرف فيه . وكن مؤثرا للخمول ، فاراً من الشهرة والظهور ؛ فإن فيه الفتنة والمحنة .

قال بعض السلف : والله ما صدق اللهَ عبدٌ أحبّ أن يشعر بمكانه .

وقال آخر : والله ما أعرف رجـــلا يحب أن يعرفه الناس إلا ذهب دينه وافتضح .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الصادق لا يلتبس عليه أمره ، ولا بد أن يجعل له ربه نورا فى قلبه ، ويعرف به ما يراد منه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الكرامة الجامعة لجميع الكرامات الحقيقيات والصوريات : هى الاستقامة ؛ المعبر عنها : بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، ظاهرا وباطنا . فعليك بتصحيحها وإحكامها ، تخدمك الأكوان العلوية والسفلية ، خدمة لا تحجبك عن ربك ، ولا تشغلك عن مراده منك .

لتكن أيها المريد حسن الظن بربك : أنه يمينك ويكفيك ، ويحفظك ويقيك ، ولا يكلك إليك ، ولا إلى أحد من الخلق ؛ فإنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه : أنه عند ظن عبده به .

وقال ـ رضي الله عنه ، ونفع به ـ : أخرج من قلبك خوف الفقر ، وتوقع الحاجة إلى الناس ؛ واحذر كل الحذر من الاهتمام بالرزق ، وكن واثقا بوعد ربك وتكفله ، حيث يقول : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » وأنت من جملة الدواب .

فاجتهد فيما طلب منك من العمل ، عما ضمن لك من الرزق ؛ فإن مولاك لا ينساك ، وقد أخبرك أن رزقك عنده ، وأمرك أن تطلبه منه بالعبادة . فقال تعالى : « وابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له » أما تراه ـ سبحانه ـ يرزق الكافرين الذين يعبدون غيره ! أفتراه لا يرزق المؤمنين الذين لا يعبدون سواه ، ويرزق العاصين له والمخالفين لأمره ، ولا يرزق الطائعين المكثرين من ذكره وشكره ؟!

وقال ـ جزاه الله خيراً ـ : مما يدل على خراب القلب اهتمام الإنسان بما يحتاج إليه ، فى وقت لم يخرج من العدم ، كاليوم المقبل أو الشهر المقبل ، وقوله : إذا نفد هذا من أين يجىء غيره ، وإذا لم يجىء الرزق من هذا الوجه فمن أى وجه يأتى ؟

وقال ـ نفع الله به ـ : من أقيم فى التجريد فعليه بقوة اليقين ، وسعة الصدر ، وملازمة العبادة . ومن أقيم فى الأسباب فعليه بتقوى الله فى سببه ، وباعتماده على الله دونه ، وليحذر من الاشتغال عن طاعة الله ـ عز وجل .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ليكن لك أيها المؤمن عناية تامة ، بصحبة الأخيار ، ومجالسة الصالحين الأبرار . وكن شديد الحرص على طلب شيخ صالح ، مرشد ناصح ، عارف بالشريعة ، سالك للطريقة ، كامل العقل ، واسع الصدر ، حسن السياسة ، عارف بالشريعة وبطبقات الناس ، مميز بين غرائزهم ، وفطرهم وأحوالهم . فإن ظفرت به فألق نفسك إليه ، وحكّمه فى جميع أمورك ، وارجع إلى رأيه ومشورته ، فى كل شأنك ، واقتد به فى جميع أقواله وأفعاله ؛ إلا فيما يكون منها خاصة بمرتبة الشيخ ، لمخالطة الناس ومداراتهم ، ودعوة القريب والبعيد إلى الله تعالى ، وما أشبه ذلك . ولا تعترض عليه فى شىء من أحواله ؛ لا ظاهرا ولا باطنا .

وقال ـ نفع الله به ـ : أكثر الكرامات الواقعة للأولياء ، وقعت بدون اختيارهم .

وقال ـ قدس الله سره ـ : الشيخ الكامل : هو الذى يفيد مريده ، بهمته وفعله ، ويحفظه فى حضوره وغيبته .

وقال ـ رحمة الله عليه ـ : إذا لم يجد المريد شيخا ، فعليه بملازمة الجد والاجتهاد ؛ مع كمال الصدق فى الالتجاء إلى الله ـ عز وجل ـ والافتقار إليه ، فى أن يقيض له من يرشده ، فسوف يجيبه من يجيب المضطر إليه ، ويسوق إليه من يأخذ بيده من عباده .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا رأيت المريد ممتلئا بتعظيم شيخه مجتمعا بظاهره وباطنه على اعتقاده وامتثاله ، والتأدب بآدابه ، فلا بد أن يرث سره أو شيئاً منه ، إن بقي بعده .

وقال ـ نفع الله به ـ : من ثمرات حسن اليقين : السكون إلى وعد الله ، والثقة بضمان الله ، والإقبال بكنه الهمة على الله ، وترك ما من شأنه أن يشغل عن الله ، والرجوع فى كل حال إلى الله ، واستفراغ الطاقة فى ابتغاء مرضاة الله .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : اجتهد يا أخى أن تكون نيتك فى طاعتك ، مقصودة على حب وابتغاء وجه الله ، وانو بما تتعاطاه من المباحاة ، الاستعانة على طاعة الله .

وقال ـ رضى الله عنه ، وأرضاه ـ : عليك يا أخى بمراقبة الله ، فى حركاتك وسكناتك ، ولحظاتك وطرفاتك ، وخطراتك وإراداتك ، وسائر أحوالك . واستشعر قربه منك ـ سبحانه ـ واعلم أنه مطلع عليك ، ناظر إليك ، لا تخفى عليه منك خافية .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إياك يا أخى أن تسر شيئاً لو ظهر للناس ، كنت تستحيي منه حياء ، ينشأ من خوف الاستقباح .

وقال ـ قدس الله سره ـ : عليك بعمارة الأوقات ، بوظائف العبادات ، حتى لا تمر بك ساعة ، من ليل أو نهار ، إلا وتكون لك وظيفة من الخير ، تستغرقها بك ؛ فبذلك تظهر بركات الأوقات ، وتحصل فائدة العمر ، ويدوم الإقبال على الله تعالى .

وقال ـ جزاه الله خيراً ـ : حقيقة الصلاة الحضور مع الله ، وإخلاص النية والقصد لله ، والإقبال بكنه الهمة على الله وجمع القلب ، وأن يكون فكرك

مقصوراً على صلاتك ، فلا تحدث نفسك بغيرها ، وتكون متأدباً بآدابها — يعنى — المناجاة — مع الله تعالى .

وقال — نفع الله به — : يقبح بطالب الآخرة أن لا يكون له قيام بالليل ، كيف والمريد لا يزال طالباً للمزيد ، متعرضاً للنفحات ، على دوام الأوقات .

وقال — نفع الله به — : للعارفين ، من قيام الليل منازلات شريفة ، وأذواق لطيفة ، يجدونها فى قلوبهم ، من نعيم القرب من الله ، ولذة الأنس بالله ، وطيب المناجاة والمحادثة مع الله . وهذا النعيم لا يكون إلا بعد التجرع للمرارات ، وتحمل المشقات فى القيام .

وقال — رضى الله عنه — : من فُتح له طريق الفهم فى القرآن ، من المؤمنين ، دام فتحه ، وتم نوره ، واتسع علمه ، وصار لا يمل قراءته ليلا ونهارا ؛ لأنه قد وجد فيه مقصوده ، وظفر فيه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق .

وقال — رضى الله عنه — : قد انفردت الكتب الغزالية ، من بين كتب المحققين الصوفية ، بالجمع والتحرير ، وحصول التأثير ، فى الزمن القصير .

وقال — رضى الله عنه — : تدبر الذكر ركن الطريق ، ومفتاح التحقيق ، وسلاح المريدين ، ومنشور الولاية .

وقال — رضى الله عنه — : من قعد على طهارة فى خلوة ، مستقبل القبلة ، ساكن الأطراف ، مطرق الرأس ، ثم ذكر الله بقلب حاضر ، وأدب وافر ، رأى للذكر فى قلبه أثراً عظيماً ظاهراً . فإن دام على ذلك أشرقت عليه أنوار القرب ، وانكشفت له مرآة الغيب .

وقال — رضى الله عنه — : اجعل لك ورداً من الصلاة على النبى ﷺ فإنه وصلة بينك وبين نبى الله ، وباب يفيض للمستمد بواسطته ، من حضرته — عليه

الصلاة والسلام ـ فقد أمرك الله بالصلاة عليه ، فامتثل واستكثر منها ، ولا تستقلل .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : مقصود الأوراد وروحها : إنما هو الحضور مع الله فيها . فعليك به ، ولن تصل إليه إلا إذا سلكت طريقه ، وهو فعل الأعمال الظاهرة ، مع تكلف الحضور مع الله فيها . فإذا واظبت على ذلك غشيتك أنوار القلوب ، وفاضت عليك أنوار المعرفة . فعند ذلك يُقبل قلبك على الله بكليته ، ويصير الحضور مع الله سجية له ، وخلقا راسخا فيه ، فيصير يتكلف الحضور مع الخلق عند الحاجة إليه ، وربما لم تقدر عليه . وعن هذه الحالة ينشأ الغيبة والاستغراق ، والفناء عما سوى الله ، إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله . وأصل ذلك كله المواظبة على الأعمال الظاهرة ، والمحافظة عليها ، مع تكلف الحضور مع الله فيها .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إقبال العبد على ربه وعبادتُه ، على قدر محبته له . والمحبة تابعة للمعرفة . فكلما كان العبد أعرف بالله كان أشد حبا له وأكثر عبادة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أهل الذكر : هم أهل العلم بالله وبدينه ، والعاملون بعلمهم ابتغاء وجه الله ، والزاهدون فى الدنيا والدين ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، الداعون إلى الله على بصيرة ، المكاشفون بأسرار الله ، فقد عز على بسيط الأرض وجود واحد من هؤلاء حتى لقد زعم جماعة من الأكابر أنهم مفقودون . والحق أنهم موجودون ، ولكن الله سترهم برداء الغيرة ، وضربت عليهم سرادقات الإخفاء لغفلة الخاصة ، وإعراض العامة . فمن طلبهم بصدق وجدّ

فى ذلك لم يعزه — إن شاء الله — وجود واحد منهم . فالصدق سيف لا يوضع على شىء إلا قطعه . والأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة ، أولئك نجوم الأرض وحمال الأمانة ، ونواب المصطفى ، وورثة الأنبياء — رضى الله عنهم ، ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقال — نفع الله به — سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر — رضى الله عنهم — لما رأى ظهور البدع ، وكثرة الأهواء ، واختلاف الآراء بالعراق ، هاجر منها ولم يزل يتنقل فى الأرض ، حتى أتى حضرموت ، وأقام بها حتى توفى . فبارك الله فى عقبه ، حتى اشتهر منهم الجم الغفير ، بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة .

ولم يعرض لهم ما عرض لجماعة من أهل البيت النبوى ، من أن انتحال البدع واتباع الأهواء المضلة ، ببركات هذا الإمام المؤتمن ، وفراره بدينه من مواضع الفتن . فالله يجزيه عنا أفضل ما جزى والداً عن ولده ، ويرفع درجته مع آبائه الكرام فى عليين ، ويلحقنا بهم فى عافية ، غير مضلين ولا مفتونين ؛ إنه أرحم الراحمين .

وقال — رضى الله عنه — : إذا أردت التحقيق فى المعرفة ، فعليك بسلوك طريقه ، وهى لزوم التقوى ظاهراً وباطناً ، وتدبر الآيات والأخبار ، والنظر فى الملكوت السموات والأرض على قصد الاعتبار ، وتهذيب أخلاق النفس ، وتلطيف كثافتها بحسن الرياضة ، وتصقيل مرآة القلب ، بملازمة الذكر والفكر والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر . فهذا سبيل التحصيل — إن سلكته — عثرت — إن شاء الله — على المطلوب ، وظفرت بالأمر المرغوب .

والصوفية إنما جاهدوا نفوسهم ، وبالغوا فى رياضتها ، وقطعوها من عاداتها ومألوفاتها ، لعلمهم بتوقف حصول كمال المعرفة على ذلك ، وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقيق بمقام العبودية ، الذى هو بغية العارفين وأمنية المحققين — رضى الله عنهم أجمعين .

وقال — رضى الله عنه — : عليك بأداء الفرائض ، واجتناب النواهى والمحارم والإكثار من النوافل ؛ فإنك إن فعلت ذلك مخلصاً لوجه الله الكريم ، حصلت على غاية القرب من الله ، وخلعت عليك خلعة الولاية ، بل خلعة الخلافة . وما وصل هذا العبد الموفق إلى هذه الرتبة التى صار فيهـا ما يحبه محبوباً لله ، وما يكرهه مكروها عند الله إلا بأداء ما افترض عليه ، والإكثار من النوافل ابتغاء الزلفى لديه .

فالسباق السباق ، إن كانت لك همة فى الوصول إلى مراتب الكمال ورغبة فى بلوغ درجة الرجال ، فقد وضح لك الطريق ، وبدا لك شعاع التحقيق .

وقال — نفع الله به — : لا بد لك من العلم ، ولا غنى لك عنه . وعليه وعلى العمل به ، مدار سعادتك ، فى الدنيا والآخرة .

وقال — نفع الله به — : من كملت نظافته صار بروحه وسريرته ملكا روحانيا ، وإن كان بجسمه وصورته بشراً جسمانياً . وتحصل النظافة الباطنة ؛ بتزكية النفس عن رذائل الأخلاق ؛ كالكبر ، والرياء ، والغش ، وحب الدنيا وأخراتها . والنظافة الظاهرة تحصـل بترك المخالفات ، وفعل الموافقات . فمن زين ظاهره ، بملازمة الأعمال الصالحة ، وعمّر باطنه ، بالتخلق بالأخلاق المحمودة فقد كملت نظافته .

وقال ـ نفع الله به ـ : من سره أن تكمل له الحرية والطهارة من الأدناس والحظوظ البشرية ؛ فليجعل حركاته وسكناته فى ظاهره ، تابعة لإشارة الشرع والعقل .

وقال ـ نفع الله به ـ : المؤمن الكامل لا يدع شيئاً يقربه إلى الله ـ وإن كان له فى تركه ألف عذر ـ حتى يعلم أن تركه أحب إلى الله ، من فعله . وهذا أقل ما يتفق . ولذلك تحمل الكمل من أهل الله ، فى فعل ما يقربهم إلى الله أموراً يعجز عن حملها الجبال الرواسى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : للطعمة من الحلال أثر كبير فى تنوير القلب ونشاط الجوارح للعبادة .

وقال أيضاً : عليك ـ إذا أمرت أو نهيت ـ بالإخلاص لله ، والرفق ، وحسن السياسة ، وإظهار الشفقة ؛ فما اجتمعت هذه الخصال فى عبد ، مع كونه عاملا بما به أمر ، مجتنبا لما نهى عنه ، إلا كان لكلامه قبول وهيبة فى الصدور ، وموضع فى القلوب ، وحلاوة فى الأسماع . وقل أن يرد عليه كلامه هذا . ومن تحقق بمراقبة الله ، والتوكل عليه ، والتخلق بالرحمة على عباده ؛ لم يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكر ـ حتى يزيله ، أو يحال بينه وبين ذلك بما لا قدرة له على دفعه .

وقال ـ نفع الله به ـ : عليك بصحبة الأخيار ، واعتزال الأشرار ، ومجالسة الصالحين . واعلم أن مخالطة أهل الخير ومجالستهم ، تزرع فى القلب محبة الخير ، وتعين على العمل به ؛ كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم ، تغرس فى القلب حب الشر والعمل به . وأيضاً من خالط قوما وعاشرهم أحبهم ضرورة سواء .

عليك بالرحمة لعباد الله ، والشفقة على خلق الله . وكن رحيما شفيقا ألوفا مألوفا . واحذر أن تكون فظا غليظا ، أو فاحشا جافيا .

وعليك بتعليم الجاهلين ، وإرشاد الضالين ، وتذكير الغافلين ؛ فإن الأكابر ما صاروا أكابر إلا بفضل الله ، والعمل بطاعة الله ، وإرشادهم عباد الله إلى سبيل الله . وإذا لم تكن أهلا ، فليس لك إلى حصول الأهلية طريق إلا فعل الخير ، والدعاء إليه . وإنما الشؤم فى الدعوى .

وعليك بجبر قلوب المنكسرين ، وملاطفة الضعفاء والمساكين ، ومواساة للشاكين ، والتيسير على المعسرين ، وإقراض المستقرضين ، والتفريج عن المكروبين ، وقضاء حوائج المسلمين ، وستر عورات المذنبين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ليحذر المؤمن كل الحذر من النظر إلى أحد من المسلمين بعين الاستصغار ، والاحتقار والاستحقار . ومن التطلع على عورات المسلمين وعيوبهم . وكذلك ينبغى أن لا يكثر النظر إلى الشهوات الدنيوية التى تدعو النفس إلى الرغبة فيها ؛ فإن ذلك ربما فرق القلب ، وأقبل على عمارة الدنيا به ، وجمع حطامها ، والإعراض عنها ، أى الآخرة ، وترك الاستعداد لها . فحفظ النظر من ذلك مهم ومتأكد ، سيما للمتوجهين ، المقبلين على الله والدار الآخرة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الخير كله فى التواضع والخشوع والخضوع لله تعالى وإن حب الخمول والاختفاء ، وكراهية الشهرة والظهور لمن أخلاق صالحى المؤمنين ، والرضى بالدون من المجلس ، ومن اللباس والطعام ، وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضا . فاحرص أيها المؤمن على ذلك .

وقال ـ نفع الله به ، ورضى عنه ـ : التوبة والاستغفار من كنوز الخيرات، ومن أعظم أبواب القربات والبركات ، ومن أوصل الوسائل إلى جميع خيرات الدنيا والآخرة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : يحتاج المؤمن حاجة شديدة إلى الصبر عند ورود البلايا من الشدائد والمصائب ، والفاقات والأذيات ؛ بأن لا يجزع ، إذا نزل به شيء منها ، بل يطمئن ويتوقر ، ولا يضيق ، لا يضجر ، ولا يشكو إلى الخلق، بل يرجع إلى الله بخشوعه وخضوعه ، ودعائه وتضرعه، ويحسن الظن بربه، ويعلم يقيناً أن الله لم ينزله به إلا وله فيه خير كثير ؛ من رفع الدرجات وزيادة الحسنات وتكفير السيئات .

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجة شديدة : عند فعل الطاعة ؛ بأن لا يكسل عنها ، بل يؤديها ـ كما أمره الله تعالى ـ من كمال الحضور مع الله فيها ، والإخلاص لله ـ عز وجل ـ بأن لا يكون بها مرائيا ، ولا متصنعا للخلق . ومن شأن النفس التثاقل عن الطاعة ، والتكسل عنها ؛ فيحتاج العبد إلى إكراهها على ذلك ، بحسن الصبر .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : قد فضل الله بعض العباد على بعض الأسرار ، وكل له في ذلك حكم لا يطلع عليها سواه ، ومنافع ومصالح لهم ، لا يحيط بعلمها غيره . فليرض العبد بقسمة ربه ، ويشكره على ما أعطاه من نعمه ، ويسأله المزيد من فضله ؛ فإن خزائن السموات والأرض في قبضته ، وجميع الخير في يده يفعل ما يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وقال ـ نفع الله به ـ : من تبسّط فى الدنيا ، وتوسع فى شهواتها ؛ وادعى مع ذلك أنه غير غير راغب فيها ، ولا محب لها بقلبه ، فهو مدع مغرور ، ولا تقوم له حجة بدعواه ؛ وليس له فى حالته تلك قدوة ، يقتدّى بهـــا ، من الأئمة المهتدين ، والعلماء الصالحين ؛ لا من السلف ولا من الخلف . فاعلم ذلك ، والله يتولى هداك .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : التوكل : يقين القلب بأن الأمور كلها بيد الله ، وفى قبضته ، وأنه لا ضار ، ولا نافع ، ولا معطى ، ولا مانع ؛ غير الله تعالى . ثم طمأنينة القلب وسكونه إلى وعد الله وضمانه ، حتى لا يضطرب ولا يتزلزل ، عند ورود الشدائد والفاقات ، وحتى لايفزع ولا يرجع فى المهمات والملمات إلا إلى الله . وإن رجع فى شىء من ذلك إلى الخلق ؛ كان ذلك فى الظاهر دون الباطن ، ويكون على موافقة الأمر الإلهى المشروع .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : معنى الحب لله : ميل وتعلق يجده العبد فى قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيـــع ، مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه ، وغاية التعظيم والهيبة لله ـ عز وجل ـ لا يخالطه شىء من التشبيه ، ولا يمازجه شىء من أوهام التكييف ؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ثم إن من صدق فى محبة الله ، دعاه ذلك إلى إيثـــار الله على ما سواه ، وعلى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه ، وعلى الجد فى طاعته ، وبذل الاستطاعة فى خدمته ، وترك ما يشغل عن ذكره ، وحسن معاملته فى كل شىء .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن الله حكيم عادل ، فى أفعاله وأقضيته ، وإنه لا يقضى لعبده المؤمن بشىء ـ وإن كرهته نفسه ـ إلا ويكون له فيه خير وخيرة ،

وعاقبته حسنة، فليحسن ظنه بربه، وليرض بقضائه، وليرجع إليه بذله وافتقاره، ويقف بين يديه بخضوعه وانكساره، وليكثر من حمده والثناء عليه في يسره وعسره، وشدته ورخائه. والحمد لله رب العالمين.

وقال — رضى الله عنه —: عليك — رحمك الله — بحسن النية وإخلاصها لله تعالى، ولا تعمل شيئاً من الطاعات إلا وتكون ناويا به التقرب إلى الله — عز وجل، وابتغاء وجهه، وطلب رضاه، وإرادة الثواب الأخروى الذى وعد به — سبحانه — على تلك الطاعة، من باب المنة والفضل. ولا تدخل فى شىء من المباحات حتى الأكل والشرب والنوم؛ إلا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله، وحصول التقوى به فى عبادة. فبذلك تلتحق المباحات بالطاعات. والمغبون من غبن فى حسن النية.

واجتهد فى إدخال السرور على قلوب المؤمنين بكل وجه أمكنك، ما لم يكن إثما. واحذر أن تتجهم لحظ نفسك. وعليك بإظهار الفرج والاستبشار، بكل ما يتجدد للمسلمين من المسار، كنزول الأمطار، ونزول ورخاء الأسعار، وظهورهم على الباغين والكفار. وعليك بالحزن والاغتمام بسبب ما ينزل بهم من البلايا، كالوباء والغلاء والفتن. وتوجه إلى الله فى أن يكشف ذلك عنهم، مع التسليم لقضائه وقدره.

وإياك أن تكسر قلب مسلم برد عطيته، وأنت تعلم أن الواصل إليك على يده، إنما هو من الله تعالى حقيقة. وإنما هو واسطة مسخر مقهور لله تعالى. وعليك بالتأليف بين قلوب المؤمنين، وتحبيب بعضهم إلى بعض؛ بإظهار المحاسن وستر القبائح.

وقال — رضى الله عنه ، ونفع به — : عليك بصدق الالتجاء إلى الله ، والافتقار والاضطرار ؛ فى أن يرضى عنك خصمك ، وبالإكثار لمن ظلمته بالدعاء والاستغفار .

وقال — رضى الله عنه — : لا بأس بالغبطة ، وهى أن ترى نعمة من الله على عبد ، فتطلب من الله — سبحانه — مثلها .

وقال — رضى الله عنه — : من أمارات التواضع : حب الخمول ، وكراهية الشهرة ، وقبول الحق ممن جاء به ، من شريف أو وضيع ، ومحبة الفقراء ، ومخالطتهم ومجالستهم ، وكمال القيام بحقهم حسب الإمكان ، مع شكر من قام منهم بحقه ، وعذر من قصّر . ومن أمارات التكبر : محبة التصدّر فى المجالس والمحافل ، وتزكية النفس والثناء عليها .

وقال — رضى الله عنه — : عليك بحسن الظن بجميع المسلمين . واحذر أن تسىء الظن بأحد منهم .

قال — عليه الصلاة والسلام — : خصلتان ليس فوقهما شىء من الشر : سوء الظن بالله ، وبعباد الله . وغاية حسن الظن بالمسلمين : أن لا تعتقد الشر فى شىء من أفعالهم وأقوالهم ، وأنت تجد له محملا فى الخير ؛ فإن لم تجد محملا فيه كالمعاصى فنهاية حسن الظن بمرتكبيها أن تنهاهم ، وتظن بهم أن إيمانهم يحملهم على الانتهاء عنها ، وترك الإصرار عليها ، بالتوبة منها . وغاية سوء الظن : أن تعتقد السوء فى أفعالهم وأقوالهم التى ظاهرها الخير . وهــذا الظن الفاسد لا يصدر إلا من طوية خبيثة . وهو من أخلاق المنافقين .

وقال ـ نفع الله به ـ : حقوق المسلم على المسلم نيرة فإذا أردت القيام بها على وجهها فعامل الناس فى غيبتهم وحضورهم ؛ بما تحب أن يعاملوك به . وجاهد نفسك ووطن قلبك على أن تصير تحب للمسلمين ما تحب لنفسك من الخير ، وتكره لهم ما تكره لنفسك من الشر.

وقال ـ رضى الله عنه ـ : التوبة أول قدم يضعها العبد فى طريق الله ، وهى أساس المقامات .

وقال ـ جزاه الله خيرا ـ : الواجب على كل مؤمن أن يحترز من المعاصى ، صغيرها وكبيرها ، كما يحترز من النيران المحرقة ، والمياه المغرقة ، والسموم القاتلة .

وقال ـ نفع الله به ـ : الذنوب كثيرة ، والعبد لا يخلو فى باطنه وظاهره ، من معاص عديدة ؛ وإن حسنت حالته ، واستقامت طريقته ، ودامت طاعته .

وقال ـ قدس الله سره ـ : عليك بالاستكثار من الاستغفار ، بالليل وآناء النهار ؛ لاسيما عند الأسحار . قال ﷺ : من لزم الاستغفار ، جعل الله له من كل هم مخرجا ، ومن كل ضيق فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب .

وأكثر أن تقول : رب اغفر لى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم ؛ فقد كانوا يعدون لرسول الله ﷺ من هذا الذكر المبارك ، فى المجلس الواحد قريبا من مائة مرة .

وعليك بدعوة ذى النون : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » . فقد قيل : إنها الاسم الأعظم ، وأنه لا يقولها مهموم ولا مغموم إلا فرّج الله عنه .

وقال ـ نفع الله به ـ : لايزال من فى نعمة السعادة فى حاجة إلى الصبر . ويحصل الصبر على الطاعات باطنا وظاهرا ، بملازمتها والدوام عليها ، والدخول فيها بنشاط

والإتيان بها على الوجه المشروع . ومن لزم الصبر على هذا الوجه ، وصل إلى مقام القرب . وهناك يجد فى الطاعات ، من الحلاوة واللذة ؛ ما لا يوصف . وينبغى لمن حصل له هذا الأمر أن لا يسكن إليه دون الله .

وقال — رضى الله عنه — : يحصل الصبر على المكاره ، كالأمراض والفاقات ، وذهاب لأحبة من الأقارب والأصحاب باطنا : بترك الجزع ، وهو التبرم والتضجر ، وظاهرا : بترك الشكوى إلى غير الله . ومن لزم الصبر ، على هذا الوجه ، ذوّقه الله حلاوة التسليم ، وروّحه بروح الرضى واليقين .

وقال — نفع الله به — : أصل الشكر : معرفة القلب بالنعم أنها من الله وحده ، لم يصل إليه منها شيء بحوله وقوته ، بل بفضل الله وبرحمته . وغاية الشكر : أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك ؛ فإن لم تطعه بها ، فقد تركت الشكر عليها . وإن عصيته ، فقد وقعت فى الكفران . وعنده تتبدل النعم بالنقم . ومن الشكر : كثرة الثناء على الله ، والفرح بالنعم ، من حيث إنها وسيلة إلى الله تعالى ، بنيل القرب من الله ، أو من حيث إنها دالة على عناية الله بعبده .

وقال — رضى الله عنه — : الزهد فى الدنيا بشير السعادة ، ومظهر العناية ، وعنوان الولاية ، وهو لأهله نعيم عاجل ، ولا يستطيعه إلا من شرح الله صدره ، بإشراق أنوار المعرفة واليقين .

وقال — رضى الله عنه — : التجرد عن الأسباب الدنيوية بالكلية ، لا يحمد إلا فى حق من دام له إقبال على الله ، وطهر قلبه عن الالتفات إلى غير الله .

وقال — رضى الله عنه — : لست تعرف إحسانا ، ولا تشاهد امتنانا ، ولا ترى إكراما ، ولا تبصر إنعاما عليك ، وعلى سائر الخلق ، إلا والله هو المتفضل بجميع ذلك ، بمحض الكرم . ومولاك ، الذى خلقك وهداك ، والذى له مماتك ومحياك ،

والذى أطعمك وسقاك ، وكفلاك وآواك . يرد القبيح منك فيستره ، وتستغفر منه فيغفره . ويرى الجميل منك فيكبره ويظهره ، وتطيعه بتوفيقه ومعونته ، فينوه باسمك في الغيوب ، ويقذف تعظيمك وحبك في القلوب ، وتعصيه بنعمه ، فلا يمنعه وجود العصيان ، عن إفاضة الإحسان . فكيف ينبغى لك أن تحب غير هذا الرب الكريم ؟ ! أم كيف يحسن منك أن تعصي هذا الرب الرحيم ؟ !

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الدعاء معرب عن التحقيق بالتوحيد ، وهو لسان العبودية ، وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار ، والذل والافتقار . ومن تحقق بهذه الأوصاف ، عرف ربه ووصل ، وعلى غاية القرب من الله حصل .

وقال ـ نفع الله به ـ : تفقه فى كتاب الله ، واستخرج العلوم منه ؛ فإنها بجملتها مودعة فيه ، لا يشذ منها دقيق ولا جليل ؛ ولا خفي ولا جلي .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : للشرك معاني خفية دقيقة ، لا ينجو منها إلا العارفون ، المحققون ، المكشفون بصريح الحق ؛ من طريق العيان . وقد يقع المؤمن فيها ولا يشعر .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا إله إلا الله ؛ أجمع الأذكار وأنفعها ، وأقربها إلى الفتح واستنارة القلب بنور الله ، وأولاها بكل أحد . وذلك لتضمنها معاني جميع الأذكار ، من التحميد والتسبيح وغيرهما . فينبغى لكل مؤمن أن يجعلها ورده اللازم ، وذكره الدائم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : كم فرق بين من يأخذ عن عارف ومحقق ، يسلك به إلى الله ، وبين من يأخذ طريقه من كتاب الله . والله الهادى إلى الصواب ، وإليه المرجع والإياب .

وقال ـ رضى الله عنـــه ـ : من رغب فى الوصول فليسلك السبيل ، ويلازم الصبر الجميل ، والجد والتشمير عن ساق الطلب ، باذلا جهده وإمكانه .

وقال أيضاً من أقوى ما يستعان به ، على حصول الحضور مع الله : أن يشعر قلبه وباطن قصده وتوجهه ، لا إلى جسمه ، وصورة مايجرى عليه من عمله .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : المعول عليه عندهم : هو أن يجتمع الإنسان بظاهره وباطنه ، على كل ما يدخل منه لله تعالى ؛ فإنه لا يحكمه ، ويأتى به على وجهه ، حتى يكون شاهدا ، ومع غفلة القلب ، فقد تفسد صورة العلم ، فضلا عن معناه ؛ كما هو مشاهد . والعمل مع الغفلة ، وعدم تكلف الحضور ، لا يؤدى إلى الحضور فإنما يؤدى إليه ، إذا كان مصحوباً بتكلفه ؛ ولكنه لا يخلو من بركة .

وقال ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : إذا تفضل عليك الله بغفران ذنب ، لم يفضح به صاحبه ، ولم يعاقب عليه فى الدنيا ، ولا فى الآخرة . وأشرف أنواع المغفرة أن يجعل الله بين العبد والذنوب حاجزا ؛ فلا يقع فى شىء منها .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : للمؤمن السالك طريق الحزم ، الحريص على حصول النجاة ، لا يفارقه الاتهـــام لنفسه ، وسوء الظن بها ، فليستغفر بأداء الطاعات ؛ وإن لم تكن له صورة مخالفة ؛ مخافة أن تكون نفسه قد دهته بشىء من الدواهى المهلكات .

وقال ـ نفع الله به ـ : أهل المعرفة إذا أنسوا من نفوسهم ، ركونهم إلى الصالحات من أعمالهم أو أسبابها ، أو اعتماد عليها ، يرجعون إلى الله بالتوبة والاستغفار ؛ لأن الذنوب عند أهل الله المتجردين عن علائق الأكوان الالتفات إلى غير الله ، كائناً ذلك الغير ما كان .

وقال ـ نفع الله به ـ : ليس فى ترتيب الواقعة ونحوها ، لجلب المنافع ، ودفع للضار الدنيوية ، ما يقدح فى عمل . ويبنى أن يكون الباعث على ذلك مجرداً عن المقاصد الدنيوية ، والعبد فى التحرز عن الناس ـ إذا عقل ـ أفضل منه .

وقال ـ نفع الله به ـ : اشتد حرص الأكابر على سؤال العافية من الله ، الحسية والمعنوية . وذلك أنهم رأوا أنفسهم وما هى مجبولة عليه ، من التزلزل والضعف عند ورود الأشياء للنافرة .

وقال ـ جزاه الله خيراً ـ : كفى العبد فى رضاه باختيار ربه له ، واكتفائه بعلمه ، وغنائه باختياره وتدبيره عن تدبير نفسه واختيارها .

وقال ـ قدس الله سره ـ : العمدة فى تأثير هذه الأشياء ، حصول الجدوى بها ـ يعنى الآيات والأذكار والأدعية ، الموعود عليها شىء من المنافع الحالية ، تيقن القلب بأن ما ذكر ، كما ذكر من غير تشكك ولا قصد تجربة . وصدق التوجه فى اجتماع الظاهر والباطن على الدخول فى ذلك الشىء ، وامتلاء القلب بخالص حسن الظن بالله ، وكمال الحضور معه . وقلّ أن تجتمع هذه الأشياء فى متوجه بشىء من الآيات والأذكار ، فى حصول شىء كان ، إلا ويكون مطلبه طوع يده وتحت حكمه وتصرفه . فلا يلومنّ عبد ، قعدت به همته وأخّر به جده وتشميره إلا نفسه . وما الله بظلام للعبيد .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : العارفون ـ رضى الله عنهم ـ لا يجدون لمتاعب الأجسام وآلامها قدراً ، مع منافع القلوب وفوائدها ؛ لأن حاصل طريقتهم تنقية القلب وعمارته ، ومطمح نظرهم ، فيما يجمع قلوبهم على مولاهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الإمام حجة الإسلام ، شرف الأئمة المهتدين ، وأستاذ الأكابر المحققين : محمد بن محمد بن محمد الغزالى ـ قدس الله روحه العزيزة وأعاد علينا من بركاته الشاملة ـ كلامه هو العمدة ؛ ولو خالفه مخالف فى ذلك لم يعتد .

وقال ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : قلّ أن تصدق رؤيا لأهل التخليط والتخبيط . وصدق اللسان، وتوهم الفاسدات؛ مشروط فى صدق الرؤيا واستقامتها . ومن كان الشيطان متحكماً عليه فى يقظته ؛ فهو فى نومه أشد تحكماً فيه . ولا يؤثر فى الرؤيا شيئاً ، نقص جسم الإنسان إذا كانت إدراكاته الباطنية سليمة . نعم إذا غلب على الإنسان مرض قوى ، أو شىء من الأخلاط الطبعية ، خصوصاً البلغم والسوداء منها ؛ فقد تختلط . وربما رأى الشىء على خلاف ما هو عليه . فاعلم ذلك وتحققه ؛ فإنه نفيس .

وقال ـ نفع الله به ـ : من قوى يقينه ، وتزيّن باطنه وظاهره ، بملازمة العمل الصالح ؛ نال القرب منه ، والأنس به ، واجتنى ثمرات الوصول إلى كرم حضرته ، وثمرات الوصول : هى المفاتحات والمؤانسات ، والمحادثات والمسامرات الربانية ؛ إلى غير ذلك . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

وقال ـ نفع الله به ـ : الرجل : من قهر نفسه ، واستولى عليها ، ونقاها وزكاها ؛ من خبائث الأخلاق ، وحلاها بمكارمها ، وقطع عن قلبه علائق الأكوان ، واستقبل الحضرة الإلهية بوجهه الباطن والظاهر ؛ فأقام القلب فى مواطن التوحيد والتفريد ، وأقام القالب فى مقام الخدمة لله تعالى التى هى شأن العبيد . وهذا وصف الصوفى المحقق .

والصوفية : هم الرجال الموصوفون بهذه الأوصاف ؛ الذين لم يخالط يقينهم ريب ولا شك ، ولم يمازج هديهم الذى هو علومهم وأعمالهم ضلال، ولا ميل إلى الباطل ؛ لذلك لم تقنع الصوفية من إيمانهم ويقينهم بدونه، ولأجله كلفوا نفوسهم تلك الرياضات ، وحملوها تلك المجاهـدات ؛ حتى صفت ، ولطف جوهرها . فأدركت ما غاب عنها من العلوم الغيبية التى تعبدهم الشرع بالإيمان بها ، فصارت لذلك علومهم وأعمالهم بعيدة عن الجهالة ، سالمة من الضلالة ؛ لأنهم أخذوها من مواطنها ، واقتبسوها من معدنها .

وما وصلوا إلى ذلك إلا بعد ما تأدبوا بآداب الشرع ، وعلموا من علوم الإيمان والإسلام ما لا بد منه . ثم أخذوا فى العمل بما علموا وشمروا فى ذلك ، وأقبلوا على مجاهدة النفس ، وتهذيب أخلاقها بأنواع الرياضات .

فلما أحكموا هذين الأصلين : العلم والعمل به ، وحسن الرياضـة للنفوس ، بفطمها عن مألوفها ومستلذاتها ؛ مع التوجه الصادق إلى الله تعالى، تنورت سرائرهم وتفتحت بصائرهم ، فشاهدوا عالم الملكوت ، وتحققوا بحقائق اللاهوت .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : علم اليقين يعبر به عن الإيمان الصادق ؛ المؤيد بالبراهين الصادقة الصحيحة ، والأدلة الصريحة . وعين اليقين مرتبة فوقه . وهى أن يستغنى الإنسان لظهور الحق له ؛ من طريق هو العيان أو قريب منه . وحق اليقين : هى المرتبة العليا المشار إليها ؛ بالكشف المطلق الأسنى، المخصوص به أكابر الأولياء وخواص العارفين الأصفياء . وفيهـا رسخت أقدام الأنبياء وورثتهم من الصديقين .

وقال ـ قدس الله سره ـ : لما اضمحلت حظوظهم وفنيت إرادتهم واختياراتهم ، ولم يبق لهم حظ ولا أرب فى غير الله تعالى ، وما يقرب منه ـ

سبحانه وتعالى ـ أطاعتهم الأكوان ؛ نظير طاعتهم لسيدهم . والأكوان أبداً تسكون مع مكونها . ومن كان لله كان الله له . ومن كان لله تعالى ، كانت الأكوان كلها طائعة له ومنقادة .

وفي بعض كتب الله المنزلة : ابن آدم أطعني فإني أقول للشيء كن فيكون ، فأيّ شيء يشاؤه العارف ويريده ، يكون بقدرة الله تعالى كل ما أراد لكونه ؛ قد فنيت إرادته ومشيئته وتدبيره واختياره ؛ فلا يريد ولا يختار إلا ما أراده الله واختاره . فصار بهذا الاعتبار ، مراده عين مراد الله تعالى .

وقال ـ رضي الله عنه ـ : العارف تؤثر همته وتوجهه في أي شيء توجه إليه ولكنه لا يتوجه لشيء إلا عن إذن إلهي . وطاعة الأكوان لأولياء الله ، أمر معلوم بالتواتر . وأكثر ما تتفق وتقع الانفعالات بالهم ، والتوجهات للسالكين المشرفين على مراتب الكشف ؛ الذين لم يخلصوا إليها بعد . ويكون فيما يظهر لهم من ذلك تقوية لهم . ويقع أيضاً لأهل الفناء ، وقلّ أن يشعروا بها ، لذهابهم في الله وعدم شعورهم بشيء من الكائنات .

وأما أهل البقاء ، القائمون بوظيفة الدعوة إلى الله تعالى ، وطمأنينتهم إلى ما يجرى من أحكامه وأقداره ، فقلّ أن تنبعث هممهم وتوجهاتهم لشيء من ذلك . وقد يؤذن لهم في إظهار شيء من الخوارق ، لتقوية طالب ضعيف القلب أو رد معاند يكذب بآيات الله ، ويدفع خصوصية الله في أوليائه ولو توجه العارف إلى جبل ليزول أو بحر ليغور ؛ لكان ذلك بقدرة الله . ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية من اللطافة بواسطة الرياضة . ويتحقق بكتمان الأسرار ، وبالتحرى عن الحظوظ النفسانية .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : أشرف مراتب الملك : أن يملك الإنسان نفسه وهواه ويستغنى بها عما سوى مولاه . ولا يكون له فى الدارين إرادة ، ولا رغبة فى شىء سوى قربه ورضاه . وهذا وصف أولياء الله وخاصته .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ـ : اللهم ارزقنا كمال المتابعة لرسولك ﷺ فى أخلاقه وأعماله وأقواله ، وأعنا على ذلك ، واهدنا إليه ، وارزقنا الإخلاص والصدق فيه ، حتى تجمعنا بنبيك ، فى دار كرامتك ، وأنت عنا راض ، فى خير وعافية ؛ يا أرحم الراحمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ :الرحمة الإلهية ، خصت بعض العباد بكمال اليقظة ، والتفطن بحقائق الأمور . وهم المتحققون بحقائق الإيمان والعقل ، فكانوا هم المعرضين عن الدنيا جملة ، والمقبلين على الله والدار الآخرة . وهم أفراد وآحاد ، ويعز وجودهم ، ويقل عددهم فى كل زمان ومكان .

وقال ـ نفع الله به ـ : الغالب على زماننا هـذا ، وعلى الأزمنة القريبة منه الفساد والشر والأشرار ، والخير والصـلاح فيه تارة . والأخيار والصالحون قليلون ، مستورون ومغلوبون ومقهورون . والله المستعان . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : احذروا جداً من الغفلة عن الله تعـالى ، وعن ذكره ، وعن الدار الآخرة ؛ فإن الغفلة من أعظم أسباب الهلاك . وهى جالبة لأنواع الشر والبليات ؛ دنيا وأخرى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا ينبغى للعاقل ، فى هذا الزمان ، أن يكثر من مراقبة الناس ومداراتهم ، وترك بعض الأمور التى يرى فيهـا صلاحا لقلبه ؛

أوراحة لنفسه ، أو أنساً لخاطره من أجلهم ، فقد صارت مراقبة الناس ومداراتهم ومحاذرتهم ، فى هذا الزمان ذنبا مجردا ليس تحته فائدة ولا طائل ؛ لاشتغال الناس بنفوسهم ، واستغراق ظواهرهم وبواطنهم ، بأمور دنياهم ، وعـدم التمييز بين الأمور فيهم عموما . وقد كانت مراقبة الناس ومحاذرتهم ؛ مما لا يستحسنه أرباب العزائم .

وقال ـ نفع الله به ـ : ينبغى للعاقل التقى أن لا يعول إلا على مرضاة الله تعالى ، وما فيه نجاة نفسه وفلاحها ، فى الدار الآخرة ، وعلى ما فيه راحة قلبه ، وأنس نفسه ، فى غير إثم ولا دناءة ، ولا يراقب فى ذلك أحدا من الناس البتة ، فإن الناس قد اشتغلوا بأنفسهم، فليشتغل هو بنفسه ، وبما يصلحه ويهمه ؛ فى دنياه وآخرته .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : العمل القليل تحسنه ، أفضل عند الله من العمل الكثير الذى لا تحسنه ، ولا تقيمه كما يحب الله وينبغى .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا عملت فأحسن ، وأعط كل وظيفة من عملك ما يحب الله فيهـا ، وما يستحب من الأحكام الظاهرة ، والمعانى الباطنة ، من الحضور مع الله ، والإخلاص له ، وحسن الأدب بين يديه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : ينبغى للعاقل النجيب : أن يشتغل من العلوم بالمهم النافع ؛ بل بالأهم الأنفع ، فى حق نفسه بالخصوص ، ثم فى حق غيره ـ إن تأهل لذلك ، وفرغ له ؛ لأن العمر قصير ، والوقت عزيز ، والموت قريب ، والسفر بعيد ، والوقوف للحساب بين يدى الله على النقير والفتيل خطر صعب .

وقال ــ نفع الله به ــ : يأخذ الإنسان من العلوم والأعمال ، والطرائق والأحوال ؛ بما يراه أنسب لحاله ، وأجمع لقلبه ، وأقرب إلى رضى ربه . ولا يخفى عليه ذلك مهما كان صادقا فى قصده ، ورغبته وطلبه لله ــ عز وجل .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : اختيار الله لعبده أحسن وأتم ؛ من اختيار العبد لنفسه . وتدبيره ــ سبحانه وتعالى ــ أجمل وأكمل من تدبيره لنفسه ؛ لأنه أعلم وأحكم ، وألطف وأرحم .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : ينبغى للمؤمن ، الحريص على طلب مرضاة الله ، ونيل القرب منه ، والكرامة ، والمجاورة عنده فى داره ــ سبحانه وتعالى ــ أن لا يسمع بشىء من الفضائل الدينية ، والخيرات الأخروية إلا ويشمر غاية التشمير فى نيلها ، والعمل بها ، لا يمنعه من ذلك إلا عدم التمكن والاستطاعة .

وقال ــ نفع الله به ــ : راحة الدنيا ولذاتها وشهواتها مكدرة ، منغصة مشوشة فى الأصل . والمنازعون فيها ، والمزاحمون عليها ، والحاسدون فيها كثير . وتتضاعف الأخطار والهموم والغموم ، كلما كثرت اللذات والشهوات ، وكثر الطلب لها ، والحرص عليها . ويقل التعب والخطر ، والهم والغم ، كلما ضعف الطلب لها ، وقل الحرص عليها . وكلما كثرت المطالب كثرت المتاعب ، وكثرت الهموم والغموم .

فإن أردت الراحة فى الدنيا ، فعلى ترك الراحة فيها .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : أكرم الناس وأرفعهم ، وأعزهم وأفضلهم ؛ فى الدنيا والآخرة ، أهل العلم والمعرفة بالله تعالى ، وأهل الطاعة والتقوى له . وذلك ظاهر لا خفاء به ، ولا نزاع فيه ؛ لوضوحه ومعرفة الخاص والعام به . ولو لم يعد الله

أهل المعرفة والطاعة والتقوى لله ؛ بما وعدهم ، من الكرامة فى الدار الآخرة ؛ لكان ما أعطاهم فى الدنيا من الشىء والرفعة ، والعز والجلالة عنده ـ سبحانه ـ وعند عباده ، كافيا لهم ، ونهاية فى جزائهم ومثوبتهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الدنيا حقيرة ، حقير ما فيها ، حقير من يرغب فيها ، ويحرص عليها ، ويتعلق قلبه بشهواتها ولذاتها ، ويكثر همه بجمعها وتنميتها .

وقال ـ نفع الله به ـ : ليس ينبغى لأهل الدين والآخرة ـ إذا رأوا أهل الدنيا ، المشغولين بشهواتها ـ إلا أن يرحموهم ، ويدعوا لهم بالخلاص ، والسلامة مما وقعوا فيه ؛ من الإعراض والاشتغال عن آخرتهم ، التى هى مصيرهم ومعادهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الرفق فى جميع الأمور مطلوب ومحبوب ، ومرغوب ومرغب فيه شرعا وعقلا ، ويتأتى به ومعه من المطالب والخيرات ، ما لا يتأتى مثله ، ولا قريب منه ، ولا مع العنف والخرق . والرفق صفة الكمل من عباد الله ، الذين اصطفى .

ومعنى الرفق : محاولة الأمور والأخذ فيها باللطف والبر ، والوقار والتؤدة . والرفق : هو الخير الصرف ، ولا ينبغى للإنسان العاقل أن يحاول شيئا من أموره إلا به ؛ سيما ما يتعلق بالناس منها ، من خاص كأهله وأولاده وخدمه ، ومن عام كغيرهم .

وقد كان رسول الله ﷺ يأمر بالرفق ، ويأخذ به ، فى أكثر أحواله أو عمومها ؛ كما يعرف ذلك من نظر فى سيرته ، وتطلع بأخباره وحديثه ، فى تعليمه للجاهل ، ومعاشرته للقريب والبعيد . وكذلك عن الأئمة من بعده ، والعلماء والصالحين ؛ من السلف والخلف المقتدين .

فعليك ـ رحمك الله ـ بالرفق فى جميع الأمور ؛ فإنه مبارك ، وله عواقب حسنة جميلة .

وقال ـ نفع الله به ـ : مضرة المدح وفتنته على الجاهل عظيمة . نسأل الله العافية .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل ، وخصوصا فى هذا الزمان ، وأهل الجهل والغرور كثير . فليحذر المؤمن ، التقى لربه ، الشفيق لدينه ؛ من كل ما يضر به نفسه ، أو يضر به غيره من المسلمين .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لأهل بيت رسول الله ﷺ شرف ؛ ولرسول الله ﷺ بهم مزيد عناية . وقد أكثر على أمته بالوصية بهم ، والحث على مودتهم وحبهم . وبذلك أمر الله فى كتابه العزيز ؛ بقوله : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » .

فعلى كافة المسلمين : أن يعتقدوا مودتهم ؛ وأن يوقروهم ويعظموهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الذى يؤثر الدنيا على الآخرة ، شاك مرتاب ، والذى يؤثر الآخرة على الدنيا ؛ هو المؤمن الكيّس الحازم . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والهدى هدى الله ، يهدى به من يشاء ، وهو الحكيم العليم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : أمراض القلوب أضر وأخطر ، وأبشع وأشنع ، من مرض الأجسام ؛ من جهات كثيرة ، ووجوه متعددة .

ومن أظهر علاماتها : التكاسل عن الطاعات ، والتثاقل عن فعل الخيرات ، والحرص على شهوات الدنيا ، وشدة الميل إلى لذاتها ، والرغبة فى عمارتها ،

وطول البقاء فيها ؛ وأشباه ذلك ؛ من أحوال أهل الغفلة ، وأوصاف المعرضين عن الله .

وأبلغ الطرق فى معالجتها ، وأقربها إلى حصول القصد من ذلك : أن يطلب له شيخا عالما عارفا ؛ من أهل القلوب والسرائر ، فإن لم يجده فأخ صالح ناصح ؛ يستعين برأيه وإشارته ، فى تعرف أمراض قلبه ، ومداواته ، فإن لم يظفر ـ كما هو الغالب من أحوال هذا الزمان ـ من قلة المعاونين على الخير والحق ؛ فمليه بكتب أئمة هذا الشأن التى ألفوها فى وصف أمراض القلوب ، وتعريف الطرق إلى مداواتها .

وأجمع الكتب المؤلفة فى ذلك وأنفعها : كتاب إحياء علوم الدين ، من ربع المهلكات منه ؛ فإن مؤلفه بالقصد ، فى أمراض القلوب ومعالجتها ، وعلاماتها الدالة على وجودها ، وقوتها وضعفها ؛ إلى غير ذلك . ولكن ليست الكتب تنزل فى حصول المطلوب والمقصود ، منزلة الشيخ العارف ، والأخ الصالح ؛ ولكنها حيلة من فقدهما ، وتعذرا عليه . والله يعينه على قدر همته وصدقه ، وحسن رغبته . وهو الولى المعين .

وقال ـ نفع الله به ـ : من لم يستطع أن ينشط لفعل الخير كله ؛ فلا ينبغى له أن يتركه كله ؛ بل يفعل منه ما يستطيع ، وما يتيسر عليه ؛ فإن الخير يدعو بعضه إلى بعض ، والصغير يجر إلى الكبير ، والقليل منه يدعو إلى الكثير ؛ والخير عادة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ إذا ابتلى العبد بالشر والمعصية ؛ فلا ينبغى له أن يُدْبر عن الله ، وعن فعل الخير والطاعة بالكلية ؛ فلا يبقى بينه وبين الله طريق إلى المصالحة والرجوع إليه سبحانه وتعالى .

وقال أيضاً : الذى ينبغى للمريد : أن يكون على الخير المحض ، والطاعة الصرف ، فإن لم يتيسر له ذلك ، وعوقته نفسه وشهواتها ، وأوقعته فى شىء من الشرور والمعاصي ، فليتعلق وليتمسك من الخيرات والطاعات بما أمكنه ، وتيسر عليه . والله هو الولى الحميد .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : للصحبة والمخالطة والمجالسة أثر كبير فى النفع والصلاح . وكذلك فى الفساد ، والضرر ، عند مخالطة ومصاحبة ومجالسة الصالحين والأخيار ، والفاسدين والأشرار . ولكن قد لا يظهر ذلك مرة واحدة بل بالتدريج ، وطول زمان الصحبة والخلطة فى الخير مع أهله ، وفى الشر مع أهله .

وقال أيضاً : صحبة أهل الدين وأهل الخير ، من العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ؛ ومخالطتهم ومجالستهم محبوبة ؛ ومرغب فيها ؛ وفيها منافع وفوائد عاجلة وآجلة ؛ وفيها الأخبار الكثيرة والآثار الغزيرة .

وقال ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : طلب الحلال فريضة بعد الفريضة . وفى أكله ولبسه ، والاقتصار منه على قدر الضرورة أو الحاجة ، فوائد جليلة ، ونتائج جميلة ، ومنافع كثيرة ، وثمرات عزيزة خطيرة ؛ وهو أصل كبير ، فى تزكية القلب وتطهيره ، وتلطيفه وتنويره ، وتحليته ، وتزيينه بالعقائد الشريفة المستقيمة ، والصفات المنجيات ، والأخلاق الحسنة ، والجوارح بالأعمال الصالحة ، والطاعات الخالصة ، والأقوال السديدة .

وقال ـ قدس الله سره ـ : من أضرّ الأشياء على الإنسان ، فى حال صلاته وتلاوته القرآن ، وذكره الله ـ تعالى ـ : وساوس الصدور ، وكثرة حديث النفس بالماضيات والمستقبلات . وإذا استغرق القلب بها ، وأمعن فيها أفسدت عليه حقيقة هذه العبادات ومعناها ؛ وما هو المراد منها ، وربمـا تفسد عليه صورة العبادة ،

والظاهر منها، فيصير حاله كحال من لم يقم بها أصلا ، أو أسوأ حالا منه ، كما يعرف ذلك من يهتم له ويحزنه ، ممن يهمه أمر دينه ، والقيام بحق ربه ، والسعى لآخرته . فليحذر العبد من ذلك ، أشد الحذر ، ولا يخلى نفسه وأحاديثها ووساوسها التى لاخير فيها ، وهو بين يدى الله ـ عز وجل ـ يذكره ويناجيه ، ويصلى لوجهه ، ويتلو كتابه العزيز . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ إنه هو السميع العليم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : الاستقامة هى الخصلة الجامعة للعلوم النافعة ، والأخلاق الجميلة ، والأعمال الصالحة ؛ مع الثبات والاستواء ، من غير تزلزل ولا اضطراب ولا زيغ ولا التواء .

وقال ـ نفع الله به ـ : العاقل اللبيب والحازم الأريب : هو الذى يجعل أعظم أشغاله ، وجل أوقاته فى عمارة آخرته ، والتزود لمعاده ، ولا يصرف منها شيئاً إلا بدله منه بالإعانة على ذلك ؛ مع الاحتياط والقرب من القلة . ويكتفى باليسير من أمتعة الدنيا ، ويسمع ويصغى إلى قول نبيه ﷺ : ما لى وللدنيا .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : تقرب العبد إلى الله بطاعته وخدمته ، وتقرب الرب من عبده بفضله ورحمته .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : إن أردت يا أخى أن يكون لك عز لا ينقضى ، وشرف لا يذهب ، ومجد لا يبلى ، فأطع ربك . فاجعل ذلك كله فى طاعته ، يكرم به من أطاعه من عباده . وقد أكرم الله عبادا أطاعوه ، فحررهم من رق

الشهوات ، وطهر قلوبهم من الالتفات إلى الفانيات ، وأجرى على أيديهم خوارق العادات ، وعجائب الكرامات ، والإخبار بالغيبيات ، وإدرار البركات ، وإجابة الدعوات . فأصبح الناس يقتبسون من أنوارهم ، ويقتدون بآثارهم ، ويتوجهون بهم إلى ربهم فى كشف مهماتهم ، ويسألون بحقهم فى دفع ملماتهم ، ويستسقون بمواطئ أقدامهم ، ويتبركون بتربة ضرائحهم وقد أكرمهم الله بأجل من ذلك قذف فى قلوبهم من نوره ، وحشاها من خالص محبتهم ، وآنسهم فى خلوايهم بذكره ، فاستوحشوا من خليقته ، وأعد لهم النعيم المقيم فى جنات النعيم ، ووعدهم النظار إلى وجهه الكريم ، ورضاه عنهم أكبر من ذلك . ذلك هو الفوز العظيم . ولمثل هذا فليعمل العاملون .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لاتزال معترفا بتقصيرك ، عن القيام بواجب حق ربك عليك . وإن عظم فى طاعته جدك وتشميرك ، فإن حقه عليك عظيم : أوجدك من العدم ، وأسبغ عليك النعم ، وعاملك بالكرم ، وبحوله وقوته أطعته ، وبتوفيقه ورحمته عبدته .

ومن دعائه ـ نفع الله به ـ : اللهم بك العياذ واللياذ ، والاستعانة والاعتصام . نعوذ بك اللهم من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، ومن شر كل شيطان مارد ، وجبار معاند ، وباغ وحاسد ، ومن شرّ ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها وأنت الغفور الرحيم ، تجير ولا يجار عليك ، ولا ملجأ منك إلا إليك .

اللهم اهدنا بهداك ، واجعلنا ممن يسارع فى رضاك ، ولا تولنا وليا سواك ، ولا تجعلنا ممن خالف أمرك وعصاك . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، العزيز الحكيم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : القناعة بما قسم الله ، والرضى بما قضاه لعبده ، من إختيار القلة على الكثرة ، والضيق على السعة من الدنيا ، من أعظم النعم ، وأفضل الفضائل . وأما الفقر مع السخط والجزع ، والتبرم والتضجر ، فذلك من أعظم البليات ؛ فإن السخط لقضاء الله ، وعدم الرضى بما قسمه ، هو من الذنوب المهلكات ، والمعاصى الفظيعة الهائلة . فليحذر الفقير من ذلك غاية الحذر .

وقال ـ نفع الله به ـ : ليس ينبغى للإنسان أن يسأل الله البلاء ويدعو به ؛ فإنه لا يدرى ما يكون منه عند نزول البلاء عليه . فلعله يجزع ويسخط فى الإثم والحرج ، بل ينبغى أن يسأل الله العافية ، ويكثر من سؤالها . فى الحديث : ما أوتى الإنسان بعد اليقين أفضل من العافية ، وما سئل الله شيئاً ، أحب إليه من أن يُسأل العافية . فهذا الذى ينبغى لضعفه ؛ فإن وجّه الله بلاء ، أو أراده به ، كان عليه أن يصبر ويرضى بقضاء الله ، ويسأل ربه اللطف والعافية ، والتثبيت والتأييد .

وقال ـ نفعنا الله به فى الدارين ـ : من شأن المحسن المطيع أن يزداد بطاعته خشوعا وخضوعا ، وتواضعا لعباده المؤمنين . وذلك من أفضل الطاعات . وكذلك فليحذر العجب بنفسه وبطاعته . ورضيه لخدمته مع أنه عبد حقير ، ذليل فقير ؛ فقد شرفه ـ سبحانه ـ وأجلّه ، حيث جعله ممن يعبده ويطيعه ، ويذكره ويشكره . فالفضل له تبارك وتعالى ، عليه أولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، وعاجلا وآجلا .

وليعلم أن حق الله على عباده ، ولزوم طاعته ، ووجوب عبادتهم إياه ، وخدمتهم له ، من الأمور التى لا يستطيع أحد من العباد أن يقوم بالبعض منه ، ولو بلغ فى الطاعة والعبادة ما عسى أن يبلغ ، واجتهد وشمر حتى يستوفى إمكانه ، ويستفرغ استطاعته ووسعه .

فليعترف العبد بتقصيره عما يجب عليه القيام ، من عبادة ربه ، وليعرف بمنة الله عليه ، فيما وفقــه له ، من الطاعة والخدمة ، ولا يعجب بنفسه ، ولا بعلمه ، فيهلك من حيث يرجو النجاة ، ويخسر من حيث يأمل الربح . قال الله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولـكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم » .

فليعلم العبد المتعبد أن الفضل لله عليه أولا وآخرا ، وليعترف بالمنة له ، والنعمة ، والقصور والتقصير ، عما يجب له من الحق والعبادة والخدمة ، ولو بلغ فى ذلك ما بلغ ، وانتهى فيه إلى ما عسى أن ينتهى .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : على المشغول بعبادة الله : أن يكون فى عبادة الله خاشعا لله وخاضعا ، وحاضر القلب ، لا يغفل عن الله ، ولا يكون مشغول الظاهر بعبادة الله ، ومشغول القلب بحديث النفس ، فى أمور الدنيا ، وأحوال المعاش ، وذكر الناس ، فيـكون بذلك مسيئا للأدب مع ربه ، حيث يعبده ، ويعمل له بظاهره وباطنه ، وبجسمه وقلبه .

وكذلك يحذر من العجلة فيه ، وقلة التأنى ، حيث لا يتمكن مــع ذلك من إعطاء العبادة حقها ، من واجب أو مسنون ، متأكدا مع ذلك ، من إعطاء العبادة حقها ، من الخشوع والخضوع .

فإذا عملت طاعة فتأن وتثبت وأحسن ، وأعط كل جزء منها ما تـكمل به وتتم ، من الخشوع والحضور مع الله فيه ، تـكن من المحسنين ، ويكن الله ـ سبحانه ـ معك . إذ يقول تعالى : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : عليك أن لا يمر بك وقت ولا ساعة ولا نفس ،

إلا وتكون لك وظيفة من الخير، تستغرقها به من صلاة، أو تلاوة قرآن أو ذكر لله تعالى، أو مطالعة علم نافع، أو تفكر فى أمر دين أخروى، أو مستغل بمعاش لا تستغنى عنه فى الاستعانة على معادك وآخرتك، من غير ترخص ولا تأويل ولا تأمل، بل يكون وجه الاستعانة بيناً ظاهراً. والله يتولى هداك وإعانتك ويأخذ بناصيتك إلى ما يحبه ويرضاه، ويقرب إليه، ويزلف لديه؛ فإنه الولى المعين. وحسبنا الله، ونعم الوكيل.

وقال — رضى الله عنه —: الشرور كلها والبليات بجملتها المستجلبة للعقوبات والمهلكات، العاجلة والآجلة، الدنيوية والأخروية الظاهرة والباطنة إنما سببها الوقوع فى الذنوب والمخالفات، والتجرؤ على الله الملك الجبار، ومبارزته بما يسخطه من خلاف أمره وركوب نهيه. نسأل الله تعالى أن يجملنا بستره، ويسترنا بعافيته ويعافينا من مخالفته وعصيانه، وإضاعة أمره؛ فإنه نعم المستعان، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال — رضى الله عنه، ونفع به —: العُبّاد والزهاد وأهل الجد والاجتهاد والمتبتلون إلى الله — عز وجل — والمتفرغون لطاعته وعبادته، وخدمته وحسن معاملته، هم صفوة الله من عباده، وموضع نظره من خلقه، ومعادن أنواره وخزائن أسراره.

وكثيراً ما يوجد منهم، ويعرف أولياء الله وأصفياؤه من الأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء من الرجال. وفيهم ومنهم تتصرف، وتؤخذ حقائق الإخلاص والصدق، والتوكل والتزهد وأشباهها من مقامات اليقين، وأسرار معاملات الدين. أولئك هم الصوفية الأصفياء، الأبرياء الأتقياء، أهل الحق والحقيقة،

العاملون السالكون الذائقون لأسرار الطريقة ، وأرباب الولاية والرعاية الذين بيمن بركاتهم ومستجاب دعواتهم ، تُستدفع البليات وتستكشف الأذيات ، ويرحم الحاضر والباد ، ويغاث العباد والبلاد – نفعنا الله بهم ، وأعاد من سرهم وبركاتهم علينا وعلى أحبابنا من المسلمين .

وقال – رضى الله عنه – : قد يجمع الله لبعض الخواص من المؤمنين ، بين العلوم الظاهرة والباطنة ، ويؤهله لنفع الخاصة والعامة ، وعلم الشريعة وسلوك الطريق وشهود الحقيقة وكان على هذا الوصف جماعة من السلف الصالح .

ومن أهل هذا البيت ، السادة بنى علوى جماعة يطول تعدادهم ، كانوا على هذا الوصف ، يعرف ذلك من نظر فى سيرهم ، وطالع فى أخبارهم ومناقبهم . نفعنا الله بهم وسائر الصالحين ، وأفاض علينا من بركاتهم ، وحفظنا بأسرارهم ، من الشرور والأشرار ، والفتنة والمفتونين ؛ إنه جواد كريم ، قريب مجيب .

ومن رجال هذه الطريقة ، من كان شأنه الاقتصار على العلم على ما لا بدّ منه والأخذ فى العبادة والتبتل إلى الله ، والانقطاع إليه ، والتفرغ عن كل ما يشغل عنه – سبحانه – وعن طاعته ، والانقباض عن الناس والفرار منهم ، وخروج الكثير منهم إلى الجبال والشعاب والسياحة فى الفيافى والقفار ، رياضة للنفوس ، وقطعا لعوائدها ومألوفاتها ، وتصحيحا لمقامات اليقين ، من التوكل على الله والإخلاص لله ، والزهد فى الدنيا ، وفى المال والجاه والمنزلة فى قلوب الناس .

وكان الأكثر من رجال الله على هذا الوصف . وهذا السبيل يفرغ أمثال هؤلاء الذين ذكرهم للعمل والعبادة ، والاعتزال عن الناس والإقبال بكنه الهمة على الدار الآخرة . وترك ما يشغلهم عن ربهم وعن طاعته ، والتجرد لعبادته كائنا ذلك ما كان .

والصادقون من أهل هذه الطريقة قد قلوا وعزوا حتى صاروا أعز من الكبريت الأحمر . وأهل هذه الطريقة أحرص الناس على الاستتار والخمول ، والفرار عن الناس خصوصا عند فساد الزمان .

وقال ـ نفع الله به ـ : لا يزال فى هذه الأمة من يدعو إلى الله وإلى سبيله ، وإقامة دينه وحفظ أمره ، فى كل زمان ومكان . وإن فسد الزمان وغلب الباطل وتظاهر أهل البغى والعدوان ، فإن الدين مؤيد بتأييد الله ، وظاهر بإظهاره ـ عز وجل .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا ينبغى للعالم الداعى إلى الله تعالى أن يهجر ويقصر عن وظائف العبادات بل ينبغى أن يجعل له أوقاتا يخصها ، ويحسن التفرغ للعبادات فيها ، خصوصا بالليل وأوقات النهار التى لا ينشط فيها لنشر العلم ، أو لا يحضر فيها الطالبون المستفيدون .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : قد غلب الجهل ، واستولى على أهل الزمان السيئ الحال ، وذهب بهم كل مذهب حتى صار الكثير منهم أو الأكثر ، لا يدرى ولا يعلم بالدين والحق ما هو ، ولا بالآخرة والمصير إلى الله كيف هو ؟ ! فصارت تلك بلية عظيمة ، عم ضررها العالم والجاهل والعام والخاص .

وقال ـ نفع الله به ـ : القرآن تنزيل عظيم من رب عظيم ، على رسول كريم قد جمع الله به علم الأولين والآخرين وأخبار السابقين واللاحقين ، وهو أصل العلوم ومعدنها ، ومجمعها وموطنها . من أخذ به علماً وإيماناً وعملا ، فاز وسعد فى الدنيا والآخرة ، ومن ضيعه وتعدى حدوده ، خاب وخسر ، وضل عن سواء السبيل .

وقال ـ نفع الله به ـ : أفضل العلماء وأرفعهم عند الله منزلة من يتعلم العلم ويعلمه ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة ؛ من غير أن يكون له قصد ، ولا غرض فى ذلك آخر ، من أغراض الدنيا البتة . أولئك هم المفلحون ، الفائزون برضوان الله وجواره ، فى دار كرامته ، والسائرون على سبيل أنبيائه ورسله ، والوارثون لهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » .

فالأصل الذى ينبغى لطالب العلم أن يعوّل عليه : هو إصلاح النية فى طلبه ، وهو أن يريد به وجه الله والدار الآخرة ، فإن النية هى الأساس الذى يبنى عليه . فإذا صحّ واستقام صلح البناء واستقام .

فليعتن صاحب العلم بذلك ، أشدّ الاعتناء وليحرص عليه أتم الحرص .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : التوحيد أعظم النعم وأكبرها وأنفعها لأهله ، فى الدنيا والآخرة .

فعلى من أنعم الله عليه به وأكرمه : أن يعرف قدر نعمة الله بذلك ، وأن يسعى فى حفظها ، ودوام الشكر والاغتباط بها ، وأن يجتهد فى تقوية توحيده وثباته وتأكيده بملازمة الأخلاق الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والطاعات الخالصة التى هى من فروع التوحيد وثمرات الإيمان ؛ مع الاحتراز والاجتناب لأضداد ذلك من الأخلاق السيئة ، والأعمال المنكرة التى هى من مضعفات الإيمان ، وموجبات تزلزله واضطرابه حالا ومآلا ، سيما عند الموت .

فليبذل المؤمن غاية جهده وإمكانه ، فى حفظ إيمانه ، وتأكيده ، وتقويته ، وتثبيت أركانه . وليستعن بالله ، وليصبر على ذلك ، ويداوم عليه ، حتى يأتيه اليقين

والإيمان أصل الأصول وأنفس النفائس ، وأعز الأشياء ؛ وهو مع ذلك

أشدها خطرا وأشقها ، وأحوجها إلى حسن التعهد والتفقد ، وحسن النظر والاحتياط . وكل عزيز ونفيس ، فعلى مثل ذلك يكون ويوجد .

ولا يزال المؤمن الشفيق على دينه ، المحتاط لإيمانه ويقينه ، سائلا من الله ، ومتضرعا إليه فى أن يثبته على دينه وإيمانه . وأن لا يزيغ قلبه ، بعد إذ هداه إلى توحيده ومعرفته ، وأن يكون خائفا من سلب ذلك وتزلزله .

فالأمر الذى عليه المدار والتعويل ، الذى ينبغى للعاقل من أهل الإيمان أن يكون أعظم اهتماماً به ، وأشد حرصا عليه ، وسعيا له ، من سلامة الدين ، وحفظ الإيمان ؛ حتى يموت ويخرج من الدنيا على ذلك ، بفضل الله ، وحسن تأييده وتثبيته فإنه إن خرج على ذلك سلم من الشر كله ، وفاز بالخير كله دائماً أبداً . وإن خرج على خـــلاف ذلك ، خسر خسرانا مبينا ، وهلك هلاكا مؤبداً ، والعياذ بالله .

وقال ـ نفع الله به ـ : طول العمر فى طاعة الله محبوب ، ومرغوب فيه .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : خيركم من طال عمره ، وحسن عمله . وخير العمر بركته ، والتوفيق فيه للأعمال الصالحة ، والخيرات الصالحة ، الخاصة والعامة .

وقد يبارك الله لبعض عباده المصطفين فى أعمارهم القصيرة حتى يكون أكثرهم خيراً ، وأعم نفعا من أعمار غيرهم الطويلة ؛ مثل الشافعى ، والغزالى ، والعيدروس ، والنووى ، وعمر بن عبد العزيز وغير هؤلاء الأئمة كثير ؛ لم تطل أعمارهم . وقد تيسرت لهم من الخيرات ، وجرت على أيديهم من البركات ما عم البلاد والعباد ـ نفع الله بهم الحاضر والباد . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وهذه الأمة المحمدية عظيمة البركات ولها من الله مكانة ، ليست لغيرها من الأمم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ فى الإكثار من ذكر الموت ، واستشعار قرب نزوله فوائد جليلة ومنافع كثيرة . منها الزهد فى الدنيا ، والقناعة باليسير منها ، وملازمة الأعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة ، ومجانبة السيئات والمخالفات ، والمبادرة بالتوبة إلى الله منها ؛ إن كان قد فارقها .

وقال ـ نفع الله به ـ : المؤمنون المتقون يبشرون برحمة الله ، عند خروجهم من الدنيا ، فتكاد أرواحهم أن تطير من أجسادهم ، شوقا إلى ربهم وحب لقائه حتى تسلم عليهم الملائكة ، وتبشرهم بدخول الجنة ، وأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ومن حكمه ـ نفع الله به ـ : العادة إذا رسخت نسخت . لاتدوم مع الكلفة ألفة . كيف يكون من المؤمنين من يرضى المخلوقين بسخط رب العالمين ؟! نازعَ الأقدار من يستقبح من أخيه ، ما لا يدخل تحت الاختيار . ماعُرِف قدر الشىء بمثل ضده ، ولا تسلّى المصاب بمثل من أصيب بمصيبته . من تعود نقض العزائم حيل بينه وبين الغنائم . أدلّ دليل على كال عقل الرجل ثناؤه على أقرانه ، وأدلّ دليل على إخلاصه عدم المبالاة بإسخاط الخلق ، فى جناب الحق . من نظر إلى الدنيا بعينى رأسه ، رأى غرورا وزورا ، ومن نظر إليها بعين قلبه رأى هباء منثورا . مشاهدة المؤثرين للدنيا تمحو حب الآخرة من القلب فكيف بالمجالسة والمخالطة ؟! كفى بفقدان الرغبة فى الخير مصيبة . كفى بالذل فى طلب الدنيا عقوبة . مَن ترك الحزم للوهم فهو أحمق . ومن أقام على الشك مع إمكان المصير إلى اليقين ، فهو أخرق . سخر عقلك لملك ، وسخر نفسك لعقلك . ما الشهود فى التقصير للتقصير ، إنما الشأن شهود التقصير فى التشمير . إذا صلحت المقاصد

لا يخيب القاصد . مَن أصلح نيته بلغ أمنيته . يصعب سلوك سبيل النجاة على من غلب على قلبه حب المال والجاه . الذكر لله مغناطيس القلوب ، يجذبها بخاصيته من مواطن الغفلة إلى عوالم الغيوب . لا يطمع فى بلوغ الآمال والأوطار من لم يوطن نفسه على ركوب الأهوال والأخطار . مَن لم يتهم نفسه فى كل ورد وصدَر وقع منها فى البلايا الكبر . دبر ثم افعل . فكِّر ثم قل . رأى الإنسان فرع علمه وعقله ، فلا ينبغى أن يضيِّعه عند من لم يأخذ به . والله أعلم .

خاتمة هذا الباب — أعنى السادس — فى كلمات وحكم ، وفوائد عظيمة ، نقلت عنه . كان يلقيها إلى السامعين ، فى مجالسه ومدارسه ، ولم تدون أحببت إيرادها للحفظ والنفع — إن شاء الله تعالى —

واعلم أنى لم أعزُها إلى ناقل ، كجملة ماجمعته ، فى هذا المؤلف ؛ لأن العزو يؤدى إلى التطويل ، والتطويل يؤدى إلى الملال ، وهو ضد مايقصد فى هذا الجمع ، رجاء النفع يعم . وقد تبرأت — إن شاء الله — من دعوى النسبة إلى ما أقوله فى الخطبة ، وما لى سوى التشرف بالخدمة . والله يصحح النية ، ويحسن الطوية . وما ذلك على الله بعزيز .

فمن كلامه — رضى الله عنه ، ونفع به — مما وجدته مفرقا منقولا عنه ، معلقا فى كتاب ، بخط مَن سمعه منه ، أو سمعته منه ، وهو النادر ، أحببت تقييدها هنا ؛ حيث لم يكن فى شىء من مؤلفاته ، رجاء الفائدة والحفظ إذا أثبت فى المناقب . ولعمرى إنه من أكبر المناقب ؛ لأنه يبين عن غزارة علومه ، وعزة فهمه ، وتحققه بما علم ، وتحليه بما فهم .

قال ـ رضى الله عنه ـ : إذا تكلمنا بكلام، تلقّاه منا من حضر من الآدميين والأولياء ، والملائكة والروحانيين ؛ لأنا مستنطقون لا عن شهوة نفس. فمن سمع كلامنا فليحفظه .

وقال : كل ما إلى العبد من ربه تفضّل وعدل . وكل ما من العبد إلى ربه فطاعة ومعصية . وقال : العوام يخاطبون على قدر إيمانهم ، لا على قدر أجسامهم فى صلاتهم ، وجميع حالاتهم .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا أمست الأمور على النية الصالحة ، بقيت بحالها ـ يعنى لم تتغير .

وقال ـ نفع الله به ـ : ظهرنا فى هذه الجهة ، فوجدنا الناس على فقه عامّ ، وتصوف خاص .

وقال : ما جاء فى الشافعية بعد النواوى مثله ـ يعنى فى أئمة المذهب ـ ويشير إلى تصنيفه وورعه . قال ذلك سنة ١١١٨ .

وقال ـ قدس الله سره وروحه ـ : إن أهل البلاء فى هذا الزمان ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : أهل الرضى والسكون ، لهم رفع درجات . وأهل الجزع من غير اعتراض ، لهم تكفير سيئات . وأهل الجزع والاعتراض ، لهم مقت وعقوبات .

وقال ـ نفع الله به ـ مشيراً إلى علوم القوم الخاصة ، التى تظهر على ألسنتهم ، لقلبتها، والإذن الموهوب من الوهاب. وهذا الكلام غزله الغزالى، وحاكه الشيخ عبدالقادر الجيلانى، وقصره الشيخ عبدالوهاب الشعرانى، ونحن خيطناه ونقشناه،

ونحن على بساط ، يود أقوام أنه يطوى ، ولن يطوى إلا بفقدنا من الدنيا .

قال هذا الكلام بتريم ، بمقبرة آل أبى علوى ، حول ضريح سيدنا الإمام الشيخ عبد الله بن أبى بكر العيدروس ، فى شهر ذى القعدة سنة ١١١٨ .

وقال — رضى الله عنه — : إسلام — يعنى فى اللسان — بلا إيمان فى القلب نفاق ، وإيمان فى الباطن — بلا إسلام فى الظاهر — دعوى .

وقال : تركنا الكلام فى علوم الأحكام الفقهية ؛ لأنا وجدنا أناسا مشتغلين بذلك متعرضين لذلك ، فاكتفينا بهم ، فبقينا على علوم التصوف . ولو علمنا أن أحدا يكفى فيها ، لاشتغلنا بعلوم الحقائق .

وقال — نفع الله به — نقلا عن بعض السادة : ما دام الرجل يستحيى من أحد ، من أهل الفضل ، من عالم ، أو ذى منصب ، أن يدخل فى شىء من الأمور التى يستحيى منها ؛ فرجاء الخير له باق ، والعكس بالعكس .

وقال : التابع كالمتبوع ، إذا وافق له فى الأقوال والأفعال ، والأعمال والأخلاق .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : الصوفى المتشبه بالصوفية ، الجاهل ، مغير للدين ، قائم بالبدع ، ظاهر بالدعاوى ، بعيد عن الحق ، وإن شم رائحة الحقيقة . فسأل الله السلامة .

وقال — رضى الله عنه — لبعض من أوصاه ، ولقنه ، وألبسه . وهو الدرويش عبد الفتاح المغربى : عليك بالمداومة على ذكر الله باللسان والقلب وإن عز لك الكلام لأحد من إخوانك المسلمين لمصلحة ؛ فليكن ذكرك بالقلب .

فقال له عبد الفتاح : إنى قد أكون فى البرية ، وليس معى ماء ولا زاد ؛ أريد شيئاً من الأوراد ، أستعين بها على ذلك .

فقال : صلِّ صلاة الرضى ، وهى ركعتان بين الأذان والإقامة للعشاء . تقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة ، آية الكرسى ، والإخلاص ثلاثا . روى أنه من صلاها بات وربه عنه راض .

وصلاة البتة أيضاً تصلى من آخر الليل ، قريبا من السحر ، أربع ركعات ، تقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة ، آية الكرسى ، وإحدى عشرة من سورة الإخلاص ؛ يروى أن من صلاها ، وحافظ عليها ، غفر له البتة . وأجازه أيضاً ، بأن يقرأ آيات التوكل ، وآية الحفظ .

وقال — نفع الله به — : أهل حضرموت أيديهم أيبس من الحجارة ؛ وقلوبهم أشد وأقسى ، وأعنى بذلك : يهم الرجل منهم بالفعل الجميل ، أو الحسن ، عشرين مرة ، ولا يفعله .

وقال : كنا نجد من سواد البلد أناسا ، نذاكرهم فى مناقب وسير وأنساب . واليوم ما نجد منهم إلا القليل .

وقال : كل منا آل أبى علوى مجاذيب ؛ لديهم سر للنقبض والظاهر ، وأكثره فى ذكرهم . وخص منهم السيد محمد بن شهاب ، والسيد محمد مشهور ابن شهاب ، والسيد محمد باعبود . وقد مرّ ذكرهم فى هذا المصنف .

وقال — رضى الله عنه — : معنى التكبر على الأغنياء تواضع ، كما قال ابن المبارك : هو أن يظهر للأغنياء الاستغناء ، وعدم الحاجة إليهم ؛ لا أن يرى أنه أحسن منهم باطنا أو ظاهرا ؛ لأنه لا يدرى من هو الخير عند الله .

وقال ـ نفع الله به ـ : من عادتنا أن نرتب قراءة يس عند المهمات ، فى الجمع ، بعد صلاة العصر ، أو الدرس بالعشىّ ، أربعين يوما ، أو أقل ، أو أكثر ، بحسب الحاجة .

وقال ـ نفع الله به ـ مشيرا إلى مجاذيب الصالحين ـ : لا ينبغى أن ينكر عليهم كلهم ، ولا يسلم لهم كلهم ، ولا يقتدى بهم كلهم .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : الاعتراف بالافتراق ليس بقليـــل . وقال : تفسير البغوى من أحسن التفاسير ، ولكن لا تحسن مطالعته إلا لذى علم أو بحضرة عالم ؛ لأن فيه أشياء مشكلة ويحتوى على سبعة علوم .

وقال فى قوله ﷺ : صلوا وراء كل بر وفاجر ـ يعنى من الملوك ـ لخوف الفتنة لا مطلقا ؛ فإن الناس منهم من لا يحسن الصلاة ، فكيف يصلى خلفه ؟

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا نسبت عبادة أهل هذا الزمان إلى عبادة السلف الماضين ، لم تعدّ شيئاً . وإنما نسبة عباداتهم ـ إذا قبلت ـ إلى عوابدهم ، كنسبة الملح إلى الطعام .

وقال : طريق الجنة على النار ـ يشير إلى المكاره . وطريق النار على الجنة ـ ويشير إلى التنعم .

وقال : لو وجدنا من نأتم به فى الصلاة ـ كما نطلب ـ لم نتقدم .

وقال : كل العلماء يسلمون للإمام الغزالى فى العلماء الخمسة .

وقال ـ قدس الله روحه ـ : إذا أحببت أحدا فقدر زوال الإيمان منه ، فإن بقيت محبته عندك ، فاعلم أنها محبة طبيعية لا حقيقية .

وقال : كلما ازداد الإنسان خسة ودناءة ، ازداد تكبرا وافتخارا .

وقال عند قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : الناس معادن إلخ : من كان فيه شيء من مكارم الأخلاق المحمودة شرعا من صغره ، قبل أن يعلم معدنه ، أو كونه محمودا ، ولم يصدر منه عن قصد ، دل ذلك على طيب معدنه . فإذا كبر كان من ذلك فى زيادة إلى النهاية . وبالعكس من ذلك .

وقال ـ نفع الله به ـ : إحسانك إلى من أساء إليك أكمل من إحسانك إلى من أحسن إليك ، وتقديمك الإحسان إلى من أحسن أولى .

وقال : إن مظهر المشيخة إذا عمل العبد بالكتاب والسنة .

وقال : المصائب عند من لم يعرفها مآرب .

وقال : أهل الكمال لا يتكلمون إلا عن إلهام أو فراسة .

وقال : القبع المعروف : هو خرقة التبرك ، والتشبه بحكيم . وإلباسنا للعامة لباس التبرك والتشبه .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : كل الأكابر من الصالحين ، من أهل البيت .

وقال : لا تستقيم للأولياء أحوالهم إلا بتركهم الحظوظ فى بداياتهم .

وقال : إذا باشر الإيمان القلب ، فذلك هو اليقين .

وقال : إذا لم تقدر على المشى على الطريق ، مع من يمشى عليه فكن منه قريباً ولا تبعد عنه فتضيع .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : كلما بعد ما يخبر به الولى من المغيبات فذلك لعظم كشفه .

وقال : من رأى فى منامه أنه مقيد ، فذلك ثبات فى الدين ، مثل الظاهر الطريق . فمن رأى أحداً من الأخيار سلك طريقاً ، فليسلكه .

وقال : كتاب التبيان للنووى من أمثل كتبه وأجمها وأنفعها .

وقال : ورد عن النبى ﷺ : أنه كان لا يقوم من مجلسه إلا عن ذواق .

وقال : للناس مراتب وأحوال مختلفة ، ينبغى أن ينزل كل على حسب حاله ويقام فى رتبته .

وقال ــ نفع الله به ــ : إذا أمرك أحد بأمر دينى أو دنيوى ، فاجتمع عليه ، إذا كان الآمر أهلا للأمر .

وقال : علامة المتدين : أن لا يختلف لسانه مع اختلاف الأحوال ، من صحة ومرض ، وغنى وفقر ، وغير ذلك .

وقال : لا ينبغى للطالب أن يقول لشيخه : مرنى بكذا ، أو أعطنى كذا ؛ فإنه بذلك يصير يطلب لنفسه ، بل ينبغى أن يكون كالميت بين يدى الغاسل ، فإن أقامه فى شىء فليثبت عليه ، فإنه لا يدرى ما يصلح له ، وهو أعرف بما يصلح له ، والناس مختلفون ، منهم من لا يصلح إلا لخدمة الشيخ ، ومنهم لخدمة الفقراء ومنهم لغير ذلك على حسب اختلاف غرائزهم وفطرهم .

وقال ــ نفع الله به ــ الكلام فى الطريق العامة ينتفع به الخاصة ، ولا عكس .

وقال الرجل الصالح لا يكلف أحــداً شيئاً ، بل الذى يقابل بموافقه ، ما لم يكن إثما . أما سمعت قول شعيب لموسى : « ستجدنى إن شاء الله من الصالحين » ولو قال من الصابرين لدل على أنه لم يراع فى الأمر خف أم ثقل على المأمور منه .

وقال : كبار الأولياء كالشمس وكقابس النار ، إذا أتاهم الطالب ، فإن كان متأهلا منحوه المطلوب فى لحظته ، وإلا أقاموه حتى يتأهل لذلك . وقد يحصل له ذلك ، ولا يظهر عليه منه أثر ، فى حياتهم . كما أنه لا يؤثر ضوء السراج مع إشراق الشمس .

وقال : هذا الزمان فيه حوادث لا يمكن إنكارها ؛ لأن فيه من شياطين الإنس من يرد عليه ، ويعترض ويحتج بحجج داحضة .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : وأهل هذا الزمان على قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » فتفرق أحوالهم فى دينهم ، ومن لم يبال بدينه لم يبال الله به . فاحفظوا هذه القاعدة .

وقال : من أتانا قاصداً للانتفاع ، فيسمع منا ما نقول ويفهمه ، ويصدق به . فإذا نقله مع فهم القيد فيه ، لقوله ﷺ : رحم الله امرأً سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها . وحكم الوارث حكم الموروث .

وقال : الطفل نصف ولىّ ؛ لأنه لا يعصى الله . والولى لا يعصى الله ويطيعه .

وقال : لا يخلو الزمان من أفاضل آل أبى علوى حتى يخرج المهدى إما خامل مستور ، أو ظاهر مشهور .

وقال ـ نفع الله به ـ : إذا حمد الإنسان نفسه ، وأثنى عليها بقوله : أنا أنا ، سقط من أعيننا ، ولم يكن لنا فيه نظر .

وقال : أحسن ما فى الإنسان نفسه ؛ إنها تنطبع على ما عودت من الخير . فينبغى أن تعوّد ذلك .

وقال : المريد الصادق لا اهتمام له إلا فيما يرضى ربه تعالى .

وقال : الأولياء قد يتصرفون بالعزائم الظاهرة ، ويحفظون السر عن التصرف به .

وقال ـ قدس الله سره ـ : ضعفت النيات والهمم والمروءات ؛ فى هذا الزمان، لضعف الدين .

وسئل عن رجال الغيب : أمن الأحياء هم ، أم من الأموات ؟

فقال : يحتمل أنهم من الأحياء ؛ وهو الأقرب .

وقال ـ نفع الله به ـ : نحن لا ننكر شيئا مما قد فعله السلف الصالح قبلنا ، حتى من العوائد ؛ لأنه كله حسن .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إذا لم يمكنك أن تقوم بالأمر كله ، فتوسط فيه. فقد قيل : إذا كانت الغايات لا تدرك ، فالقليل منها لا يترك . ونحن نحثكم بكلامنا على الوسط من كل شيء .

وقال : حسن الظن بالمسلم واجب ، كما قال الشاعر :

* وحسن الظن بالمسلمين فالزم *

وقال : من حصلت عليه عقوبة مع الإيمان ، حصلت له بعدها مثوبة ؛ لأن الله لا يعاقب إلا ويثيب .

وقال : إن الله لا يخرج عبده المؤمن من الدنيا ، حتى يضجره بمرض ونحوه ليخرج منها زاهدا فيها .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن أهل الكشوفات من الأولياء ، قلّ أن يظهروا منها شيئا فى هذا الزمان لفساده ، وتعلق أهله بالدنيا .

وقال : تختلف الطاعات والمعاصى ، باختلاف العاملين لها ، بحسب نياتهم ومقاصدهم .

وقال : يستدل على كمال الرجل بتأديتهم الفرائض على الكمال ؛ لأنها عمود الدين . فمن أداها على الكمال ، دل ذلك على كماله ، وحسن عناية ربه به . والعكس بالعكس .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : لا تظهر الأشياء إلا عند أواخرها ، وما تظهر عند أوائلها إلا لأرباب البصائر .

وقال : تأدبوا باطنا ؛ فإنه لا ينفع أدب الظاهر ، دون أدب الباطن . ولا تعملوا على ما يعتاده الناس ؛ فإن هذه العوائد قد أفضت بهم إلى فساد الدين ؛ فذهب الدين ، وذهب غيره بذهابه .

وقال : أمور الدنيا تابعة لأمور الدين ، اتباع الظل الشاخص .

وقال ـ نفع الله به ـ : هذا زمانٌ العالم فيه أبكم ، والجاهل أصمّ عن الحق . فلا العالم يتكلم ، ولا الجاهل يسمع ؛ لاستغراق الكل فى طلب الدنيا ، والعلم سيف يقطع الجهل ؛ ولكن أهل الزمان اتخذوا السيف لقطع الطريق لا للأمان .

وقال : إنما المحمود من الحياء ما يمنع من فعل مذموم شرعا أو طبعا .

وقال : ما نطلب اليوم من أصحابنا إلا الكفاية والصيانة . وهى التى كسر سيدنا الفقيه للقدم السيف لأجلها .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : إن الله إذا علم من عبده الصدق ، كاشفه فى المنام ببعض معاملاتها مجازاة له .

وقال : إن الحق تعالى لا يؤاخذ بغلط القلوب .

وقال : الناس أربعة : رجل يحب الناس ويحبونه ؛ فذلك مفتون . ورجل لا يحب الناس ، ولا يحبونه ؛ فذلك سالم . ورجل يحبه الناس ، ولا يحبهم ؛ فذلك ناج . ورجل يحب الناس ، ولا يحبونه ؛ فذلك هالك .

وقال : طلب أهل الزمان الراحة فى أمور الدنيا وأسبابها ، فأخطأوها بأمر التمتع بها ، حصل لهم التعب الشديد .

وقال : أهل الباطل لهم مدد من أوليائهم من الشياطين ؛ فقال تعالى : «وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم» كن أنت من شياطين الجن فى أمان ، واحذر من شياطين الإنس .

وقال : استصحب فى سفرك ثلاثة أشياء : الخاء ، والطاء ، والصاد : الخلق الحسن والطاعة ، والصدق ؛ فإنك إذا استصحبتها فى سفرك أنجحت .

ومن كلامه — نفع الله به — : لا يصلح لمتجد ، ولا لمتفقه مجالسة أرباب المواهب من العارفين ؛ فإنه قد يكون ضعيف الهمة ضيق الصدر قاصر النظر ، قد يرى ما يخالف عنده فينكره فيهلك . والعارفون قد ارتفع نظرهم ، فلا يرون أفعال الخلق . وله فى كل فعل نية ؛ وقد قصر نظرهم على الباطن فقط ، وينظرون إلى الخلق نظر الرحمة . وقال : العارفون ينبغى أن يعاملوا بالصدق ؛ لأنهم لا يقبلون التلبيس ، ويميزون الكلام الصدق من الكذب ، كما تميز أنت بين الحلو والحامض .

وقال : العارف مأمور بدعوة الخلق . وليس مطالبا بهدايتهم ؛ وهو مثل الخازن ، لا يعطى إلا من أمر بإعطائه .

وقال : العارف مع الله كالعبد القائم على سيده لا يتحرك إلا بأمره ، ولا يلتفت إلى غيره .

وقال — رضى الله عنه — : المؤمن من استوى سره وعلنه . والعارف : الذى لا يظهر من سره إلا القليل ، وقد صار كله سرا . والعارف : كنز من

كنوز الله فى أرضه، لا يعرفه إلا من وفقه الله ولا تظهر حقيقة سره إلا فى الدار الآخرة . دائم الذكر ، لا يفتر ولا يلهو .

وقال : العارف : تنطق جميع أعضائه بالجلالة ، وتنظر كذلك ؛ ولكن حجاب الشريعة يمنعه من الكلام ، ولا ترد عليه الغفلة إلا كالبرق ، كما لا ترد على أهل الغفلة اليقظة إلا كذلك . والكامل : الذى لا تطمس حقيقته شريعته ولا تصح لأحد حتى يهذب نفسه وأخلاقه ، حتى يستقيم على الكتاب والسنة .

وقال : العارف : مقامـــة الهيبة . وأحواله : الملجأ إلى الله . وصفته : الرجوع إلى الله ، والابتهال على الدوام ، والإلحاح فى الدعاء ، والتضرع ، والخشوع ، ورؤية العجز .

وقال ـ نفعنا الله به ـ : لا يصلح تولى الأوقاف إلا لذى مال ، أو صاحب ورع . والورع قد قلّ فى زماننا هذا .

وقال : طريق الجنة سهلة ، لا مشقة فيها ، إذا وفق الله .

وقال : لا يسمح بالثناء على أقرانه إلا كامل العقل والدين . وينبغى للإنسان أن يجامل الناس ، ويعاملهم بما يحترس به من شرهم .

وقال : من لا يخاف العار ولا النار ؛ فلا تعده إنسانا ـ رضى الله عن سيدى وأرضاه .

وقال ـ جزاه الله عنا خيرا ـ : من تعلقت همته بالله ، حصل على مطلوبه ، ووقع فى بحر لا ساحل له .

وقال : إنا قد بايعنا الإمام الحق فى علم الله تعالى .

وقال : ما بكى رجل مخلص إلا رحمه الله تعالى .

وقال : ينبغى أن يكون كلام الأوليـــاء العارفين فى أشعارهم وتغزلاتهم على الروح ، أو على شيء من المعانى التى تظهر لهم ، ولا تحجب عنهم ولا يجوز أن تحمل على الله وعلى رسوله ، بل ولا العلماء والأولياء .

وقال : أربعة كتب لا نظير لها فى فنها : البخارى فى الحديث ، والإحياء فى الرقائق ، والبغوى فى التفسير ، والمنهاج فى الفقه .

وقال : كان مع الناس تبر فصار تبنـــا . وقال : من الأولياء خامل ، ومنهم مشهور ، وقد يشهر بعض الناس ، وهو كالزق المنفوخ ، تظنه ملآن وهو خلىّ . ولا يعرف حقيقة أمره إلا أهل النظر والاستبصار ؛ فمن لم يكن من أهل النظر ، فليحسن الظن .

وقال : فى هذا الزمان ينبغى المواظبة على هذه الدعوات : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واكفنا كل هول دون الجنة .

وقال : علوم التصوف لها باطن وظاهر . والناس واقفون مــــع الظاهر . ولا يقف إلا من تنزه عن كدورات الهوى والشهوات ؛ فإنها المانعة من الوقوف على الأسرار . هذا فى كلام المخلوقين ؛ فما ظنك بكلام الخالق ـ جل وعلا .

وقال بعض فقرائه الفضلاء : سألني سيدى عن بعض أمورى المعيشية . ثم قال :

لا تنظرنّ لغير الله فى سبب   فالرازق الله والأسباب آلات

ثم قال : سبحان الله ! أين المواساة ؟ أين الزكوات ؟ يكون القريب أو الجار لأهل الجدة والسعة ؛ فلا يحصل له منهم شيء من المعروف ، لا من واجب الزكاة ، ولا من فعل المروءات . وإذا حصلت عليهم المطالبـات ، رأيتهم فى غاية التشكى والتزكى . ولعل هذا إنما تفرع ونتج بسبب ذلك .

وقال : العارف لا يرى كثرة الأعمال عند شهود الفضل ، ولو كانت وزن الجبال . وعلامته : أن يخلص نيها ، ويحب خفاءها تعظيما لربه .

وقال : لا يتم السلوك إلا بالزهد ، ولا الزهد إلا برفض الدنيا ، والإعراض عن الشهوات ، والإقبال على الله ـ عز وجل . وعلامة الزاهد : أن يغتم عند الوُجد ويفرح عند الفقد .

وقال ـ رضى الله عنـــه ـ : الولى يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به ، بعد موته ، أكثر من اعتنائه بهم فى حياته ؛ لأنه فى حياته مشغول بالتكليف ، وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد .

وقال : المحمود : الوسط من كل شىء ، حتى فى محبة الله ؛ فإنها لا تكمل الاستقامة لصاحبها إلا إن توسطت . وإذا غلبت قلّ أن تتم معها الاستقامة .

وقال : آل أبى عـــلوى مطهرون . من رأى أحدهم بديهة هابه . وربما لم يعجبه . وإذا اختبر باطنه وجده بعكس ظاهره .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : النسب النبوى لا مزيد عليه ، ولا يعدله شىء .

وقال : ينبغى أن يقصد فى سماع كتب القوم ، التبرك بهم وبأقوالهم ؛ فإن عمل بذلك ، وإلا عرف أنه خسيس ناقص .

وقال : إذا سهل الجمع بين الشريعة والحقيقة ، فهو المطلوب ؛ وإلا فالشريعة مقدمة على كل حال .

وقال : أهل الزمان ليس لهم رغبة فى العلم أبدا ، ولا اهتمام ، ولا تعليق للفوائد ؛ فقد وجد لبعض العلماء من التعليق ، ما يبلغ مجلدات .

وقال ـ نفع الله به ـ : إن الله يحب من العبد أن يلبس لبسة العبيد ، ويتحلى بأوصاف الرب الحميد . وإذا اتصف بمـــا لا يليق به الاتصاف من صفاته ؛ رشقه بسهام مقته وعقوبته . وإذا وقف عند حده من العبودية حباه بنعمته ، وتفضل

عليه بمنته ومثوبته. ففى القرآن المجيد ، البيان والتعريف للخلق ، لو كانوا يعقلون وقد أعرضوا ، ولا بقى من يتذكر ، ولا من يعتبر إلا من شاء الله. وقليل ما هم .

ومن كلامه : أعمال الخير كالماء ، قليله يحيي ، وكثيره يروى .

وقال : العلم إن وقع فى القلب ، فهو نور . وإن وقع فى النفس ، فهو نار .

وقال : استجهد جسمك بالطاعات ، تستخرج منه دهن الصفاء .

وقال : النفس مع الإيمان كالرياح مع السراج . فكما لا يمكن ثبات السراج مع وجود الرياح ، كذلك لا يثبت وجود الإيمان مع وجود النفس .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : من تواضع لله قلبه ، تواضع للخلق جسمه ، شاء أم أبى . ومن تكبر على الله قلبه ، تكبر على الخلق جسمه ، شاء أم أبى .

ومن كلامه — نفع الله به — :

خذ القليل من البخيل وذمه   إن القليل من البخيل نعمه

وقال: ينبغى الإتيان بالأصول أولا. فإن تيسر الإتيان بالفروع بعدها، فذلك.

وقال : لا تأمن نفسك فى الأمور التى بينك وبين الخلق ، حتى تحقق صدقها فيما بينها وبين الله تعالى . فإذا لم تصلح فيما بينها وبين الله تعالى ، فلا شك فى عدم صدقها فيما بينها وبين الناس .

وقال : الرجل من أهل هذا الزمان إذا لم يكن فيه صدق ولا تقوى ، فلا يصدق بوجود ذلك فى غيره ؛ لخلوه هو عنه .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : ما بلغ العباد صالح للعباد إلا بالاجتهاد .

وقال — نفع الله به — : ما بال أقوام يتمنون مقامات الأولياء ، ولم يترك أحدهم شهوة ، ولا كظم غيظا ، ولا بكى من خشية الله — عز وجل — ولا قدم أمر الله على أمر نفسه . أما تعلمون أنه ملك عظيم ، ونعمة باقية ، وملك الدنيا ، مع حقارته وفنائه ، لا ينال إلا بالجهود وبذل الأموال الكثيرة .

وقال أيضاً : اظفر بمجالسة الملوك فإن لم تستطع فجالس جلساءهم. وإن لم تستطع فجالس جلساء جلساء الملوك ، لئلا يفوتك شيء من بركاتهم .

والملوك على الحقيقة : هم أهل الله الذين غلب عليهم تعظيمه ومحبته ، يحصل له بمجالستهم بالأدب والتعظيم ، مالا يحصل له فى غيرها من القرب ، ويعطى من الهمم العلوية والنفحات الربانية ، والرحمة الواسعة ، ما لا يخطر له على بال .

وقال : سير المريدين إلى الله كالمشى على الأقدام ، وسير السالكين على الفرس الجواد ، وسير العارفين كالطير يطير فى الهواء ، وسير المحبين كالبرق الخاطف .

وقال : من لم يذق عند الذكر فهو قاسى القلب ، ومن لم يتأدب عند سماع العلم فمجلسه عليه خسران ، ومن تأدب فتح الله أبواب قلبه ، حتى يتضح له الحق فيبصره .

وقال : من عظم الله بامتثال أمره ، واجتناب نواهيه ، بلغ النهاية ، وظفر بالمطلوب .

وقال : من أراد أن يذوق حلاوة الإيمان فليحافظ على الصلوات فى الجماعة ، وليكملها بالسنن والنوافل .

ومن أراد أن يخشع قلبه فى جميع حركاته ، فلينظر إلى الآخرة بعين قلبه ، وليقلل من الشهوات ما أمكنه .

ومن أراد أن يذوق فى معانى القرآن ، فليكن بعيدا من اكتساب الآثام .

ومن أراد أن يظفر برضا الله فى الحج ، فليتزود من الحلال ، وليتخذ رفيقا صالحا .

ومن كلامه : من أراد أن يرتفع إلى مراتب الرجال الذين أعلمهم الله لسره ، فعليه بكثرة العبادة ، ورمى الرياسه ، وطلب الحلال ، يظفر بالمطلوب .

ومن أراد أن يذوق حلاوة الذكر ، وأنس المناجاة ، فليجتنب هذا الخلق ، ويجعل الموت نصب عينيه .

وعلامة الصدق فى الطلب : وجـــود اللذة والأنس بالطاعة ، والاستيحاش من الخلق .

ومن سلك معظما لربه ، مشاهداً لفضله ، رزق المعرفة ، وظفر بالمطلوب .

وقال ــ رضى الله عنه ، وأرضاه ، ورضى عنا ورحمنا به ــ : الأصلح للمؤمن فى هذا الزمان : أن يكون فريدا لا يُعرف ؛ لأنه إن لم يقدر على اكتساب الخير ، سلم من الإثم . ما أهلك الناس إلا الناس ، والأخ الصالح فى هذا الزمان ، نعمة من الله ، وهو المصافى ، الذى تأمن جنابه ، ويأمن جنابك . وهذا وصف المتقين .

ومن كلامه : عجبت لأهل هــــذا الزمان ، كيف يكون الواحد منهم فى البداية ، وتمنيه نفسه ، أنه من أهل النهاية . وهذا دليل على انطماس البصيرة ، وقلة العقل .

وقال : لولا النظر فى العاقبة ، لما فتح لعالم علمه ، ولا لزاهد زهده ، ولا لمتعبد عبادته . فعليك بالنظر فى العواقب يصلح أمرك .

وقال ــ رضى الله عنه ــ : لا يجد العالم لذة العلم حتى يهذب نفسه وأخلاقه ، ويستقيم على الكتاب والسنة ، ويرمى بالرياسة تحت قدمه .

وقال : إذا لم يحنّ السالك إلى المجهول حنين الصبى ، بطل سلوكه ، أو نقص . والعارف لا يطلب شيئاً سوى الله . فإن ظهر فبإذنه ظهر ، وإن خمــــل فبرحمته استتر ، فهو عبد ربه .

وقال : حقيقة الصبر امتثال الأوامر ، واجتناب المناهى ، والعمل على مقتضى الشريعة ، واحتمال الأذى ، من غير جزع ولا شكوى . فذلك الصبر .

وقال : من أنكر على العارفين ، ابتلى بقسوة القلب .

ومن كلامه : التصوف تعظيم الرب تعالى ، مع شهود النقص فى النفس .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : من طالع الكتب الغزالية ، كفته عن العمل . ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها ، تم أمره وظفره . ومن طالع إحياء علوم الدين ، رزق الخوف من الله تعالى. ومن رزق الخوف ، لم يعرض له ما يعرض للسالكين فى سلوكهم . ومن اشتغل بالإحياء قراءة ومطالعة ، فقد تحقق بالعلم ؛ لأن قراءته تكفى عن المعلم والشيخ . ولا أنفع لأهل هذا الزمان ، من قراءة الإحياء ، فهو حياة وسعادة فى الدنيا والآخرة .

وقال : الإحياء كالمعجزة . وقد تتبعوا أحاديثه ، فوجد بعضها فى الألواح ، وبعضها لم يوجد .

وقال ـ جزاه الله خيرا ، وأحسن الجزاء ـ : من استشارنى فى قراءة العلم ، فإنى أشير عليه بقراءة كتب الغزالى ، فهى هداية لمن قرأها ، يزكو عمله ، ولا يعرض له الرياء ، بل يكون من المخلصين .

وقال : فى الإحياء جميع العلوم . ما يحتاج من قرأه أن يتعلم على غيره ؛ لأن الشيخ الغزالى لم يصنفه إلا وقد أعطى الكمال ، فى جميع العلوم .

ومن قرأ بداية الهداية ، رزق العلم والهداية . ومن قرأ الإحياء ، خرج عن دائرة أهل الشقاق .

ومن أحب الغزالى ، أحبه الله ، وحب الغزالى نعمة من الله على هذه الأمة .

دقق العلوم وغزلها؛ لأنها دواء من أمراض القلب . من أراد أن يصح منها قلبه ، فليداوم على قراءتها .

وقال : محبة الغزالى موهبة لا تكيف . وسوف ترى ذلك فى الدار الآخرة . ولا يحب كتب الغزالى إلا مؤمن نير القلب ، منصف من نفسه ؛ لأنها حق صرف ، ليس فيها تلبيس . جزى الله الإمام الغزالى عنا خيرا ، لقد أرشدنا بكتبه وبركات سره .

وقال : ما اجتمع أهل الحق على كمال أحد كاجتماعهم على الإمام الغزالى . ولايتم لسالك سلوكه ، حتى يقرأ كتب الغزالى ؛ فإنها تعينه على السلوك ، وتخرجه من شر نفسه ، وغلبة هواه ويعرف بها كيد الشيطان ـ لعنه الله .

وقال : خصّ الله نبينا محمدا ﷺ بالإسراء بالجسم والروح ، وخص الأولياء بالروح دون الجسم ، وفى المنام دون اليقظة ، ورضى الله عنهم .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : يقولون إن أسرار القوم تكون فى مكاتبتهم غالباً .

وقال : لو سمع الناس كلامى ، لزموا فى هذا الوقت ، الاستغفار ، والصلاة على النبى المختار ﷺ .

وقال: تريم ما فيها إلا الله ورسوله ، والفقيه المقدم ، وطريقة الفقراء ما جاءتنا إلا من عنده .

وقد أسس لنا سلفنا الأمور ، فما نتبع أحداً .

وقال : تريم كلها محوطة . ولو نظر إليها أحد من أهل البصيرة لرآها جميعها محظورة . ومن هتك حرمته وفعل بأهلها شيئاً من الشر والأذيات عوقب ، غير أنها تعجل العقوبة له ، وقد تؤخر .

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ : السعيد من اعتبر ، ونظر لنفسه ، واشتغل بما فيه نجاتها .

وقال : أهل الزمان متعلقون ، ومستكثرون لأمر المعاش الدنيوى ويرون ما يدخل ، ولا يرون ما يخرج .

وكتب إلى سيدنا ومولانا أحمد بن زين : القراءة مستمرة ، واشتغال الوقت والطارقون كثير ، والصادقون أعز من الكبريت الأحمر ، ومعية الله شأنها عظيم سيما مع التقوى .

وقال : إن الفائدة فى مطالعة مناقب الصالحين : النظر فى سيرهم ، والقدرة بهم ، وإلا فلا فائدة فى ذلك .

وأنشد رجل عند سيدى ـ نفع الله به ـ وكان صانعا محكما ـ لقصيدة الشيخ السودى :

لا تسأل يا تحفة التحف ما يتلى فيك من كلف

وعنده السيد الجليل حسن بن علوى الجفرى . فلما بلغ المنشد قوله :

ومحت رسمى كما محيت أحرف من باطن الصحف

حصل مع سيدى والسيد حسن تأثر عظيم .

فقال السيد حسن لسيدى : كم قد سمعنا هذه القصيدة ، ولم يحصل معنا هذا التأثير .

فقال سيدى : نعم . إن الكلام مثل السيف ، إذا وافق ضاربا قطع ، وبلغ الغرض منه ، إشارة إلى جودة المنشد وإحكامه .

ثم إن المنشد أراد الانصراف ، ولم يقدر على الاستئذان وكان لبيبا .

فقال له سيدى : أنشد ، فأنشد . ثم قال فى آخره :

وقد نلنا الذى قدرنا فالآن منا دنا القفول

فتبسم سيدى ، وأذن له فى الانصراف ـ رضى الله عنه ـ وسمعته يقول : ثلاثة من أكابر هذه الأمة ، فى عصر واحد : سيدنا الفقيه المقدم ، وسيدنا أبو الحسن الشاذلى ، والشيخ ابن عربى . وكل من الثلاثة لا يقول إلا أنا ، ولكن الله عظيم .

وقال ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ : ألسن الدعوة إلى الله خمس : أن يدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة ، وأن يدعو أهل الشريعة بلسان الطريقة إلى الطريقة ، وأن يدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة ، وأن يدعو أهل الحقيقة بلسان الحق إلى الحق ، وأن يدعو أهل الحق بلسان الحق إلى الحق . وهذه الخامسة فتح بها علينا الآن ، ولا يدعو بها ـ يعنى الخمس ـ إلا مناب عن رسول الله ﷺ .

وقال : الله الله فى الحركات من عمل البر ، تفيض عليك البركات ، من مشاهدة السر . وبالحركات تنزل البركات .

وقال : عليك بالطاعات ، والتنقل فيها بالظاهر ، وبالعبودية ، تنل من ربك العبودية .

وقال : القطبانية إنما هى السادة . وقد يكون القطب من غير أهل البيت ، ولكنه نائب عن أحد منهم .

وقال : إذا قلت لأحد أتصلى ؟ فقال : نعم . فلا عاد تفتش عليه ؛ لأنا لزمان مقتضاه ذلك . وحسن الظن مقدم على عكسه .

وقال : عليك بالذكر لله ، وقراءة القرآن ومطالعة الكتب عند الملل — يعنى عن القراءة — ما نوصيك إلا بهذه الثلاثة .

وقال : لا تحل المعرفة فى القلب ، وفيه شىء مما سوى الله تعالى .

وقال : إنما أكلم الناس للإيناس .

ومن كلامه : آل أبى علوى ، خصوصاً أهل تريم منهم ، يحبون اللطف والتواضع ، والخمول فى المجامع والمحاضر . وإن وجد غير ذلك فإنما هو عن تكلف منهم .

ومن كلامه : محال أن يعمل أحد لأحد .

وقال — رضى الله عنه — : يتفق لبعض الناس أن يسمع بما به يرى ، ويرى بما به يسمع .

وقال لرجل : زرت الفقيه المقدم وحده ؟

فقال : نعم .

فقال : هو الشىء كله .

وسأله رجل عن اسم الله الأعظم . فقال له : عليك بالمسمى .

وقال : من قدم الدنيا أخبروه .

ومن كلامه : ينبغى التنقل حتى فى اللباس .

وقال : بعض الناس يموت العلم فى صدره . وعلامة التبرك : الإقبال . خذ ما صفا ، ودع الكدر لأهل الكدر والشأن كله فى السكون .

ومن كلامه : إذا أردت اختبار عقل الرجل فتحدث معه بالمحال .

ومن كلامه : صلاة رسول الله ﷺ كطول صلاتنا مرتين ، مع كونه — رضي الله عنه — يطيل صلاته إلى الغاية من إكمال الركوع والسجود ، والقراءة والدعاء . وكانت متناصفة جداً كأنها ميزان .

وقال له قائل : إن فلانا قال لى : أريد أن أعلمك الوفق الثلاثى للتصرف به .
فقال لى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

وقال السيد الجليل عبد الرحمن بن على بن حسين : سمعت سيدنا الأستاذ عبد الله بن علوى الحداد — نفع الله به — ذات يوم ؛ وقد جرى ذكر الطريق وحكمها ، وما ابتدع من الكيفيات المعروفات فيها . فأخذ — رضى الله عنه — فى الكلام على طريق أبى علوى : أقوم الطرق وأعدلها ، وسيرتهم أحسن السير وأمثلها ؛ وإنهم على الطريقة الأوضح والمهيع الأفيح ، والسبيل الأسلم والأوضح .

وقال — رضى الله عنه — : لا ينبغى لأحد من آل أبى علوى أن يخالف المنهج الذى درج عليه أسلافه ، ولا يميل عن طريقهم وسيرتهم ، لا طريقتهم بأن يتبع ويتجر ، ويلقى القياد لكل من يدعى التسليك والتحكيم ، ممن تخالف سيرته وطريقته ، طريقة آل أبى علوى وسيرتهم ؛ لأن طريقتهم هى التى يشهد له بحقيتها الكتاب والسنة الكريمة ، والآثار المرضية ، وسير السلف الكرام ؛ لأنهم تلقوا ذلك خلفا عن سلف ، وأبا عن جد ، إلى النبى ﷺ ، وهم فى ذلك متفاوتون : فمن فاضل وكامل وأكمل .

وقال — نفع الله به — : إنما يحسن وينبغى لمن كان من آل أبى علوى بأن يدعو الناس ويستتبعوهم إلى الطريقة التى هم عليها ، ولا يحسن أن ينبذوا عليها طريقة سلفهم ، ويسجلوا على أنفسهم ، بأنهم ليسوا من أولى الطريقة الحميدة ، الاهم

إلا أن يكون ذلك على سبيل التبرك ، مع تمسكم بسيرة أسلافهم ، واعتمادهم عليها ومع ذلك فإنه لم يبارك لأحد من آل أبى علوى ، إذا طرح طريقة سلفهم، وتزيا بغير زيهم — رضى الله عنهم .

وقال — رضى الله عنه — : ما من أهل طريق إلا وقد خلطوا وبدلوا ، وخالفوا هدى سلفهم ما عدا آل أبى علوى .

وقال — نفع الله به — : إن السيد محمد بن علوى ، عاب على بعض السادة ؛ بسبب تحكمه لبعض المسلكين فى ذلك الزمان — يعنى من غيرهم . ولما جاء الشيخ باركوان إلى تريم ، وقصد أن يحكم ويلقن السادة على الكيفية المعروفة من سيرته رأى فى المنام كأن سيدنا الفقيه المقدم يقول له : اخرج من البلد ؛ لئلا تفتن أولادى . فخرج منها هاربا .

وقال — نفع الله به — : لا يبعد أن يكون للمشايخ آل أبى علوى وأكابرهم فى الآخرة رتبة ومزية ليست لغيرهم ، وفضيلة على من سواهم من المشايخ ؛ لما كانوا عليه من الخمول والضعف ، وعدم الشهرة وانتشار الصيت والذكر ، مع عظم القدر وجلالة الحال بخلاف غيرهم .

وقال — نفع الله به — : ما كان ينبغى لمن صنف فى المناقب ، أن يذكر شيئاً من الحكايات التى تتضمن تنقيصا ، أو غضا من منصب أحد من الأكابر المتقدمين ؛ لأن الفخر ليس من الدين ، ولا من أهل الله وأوليائه المتقين ، والضرر المترتب على ذلك ، وشره يرجح بأضعاف مضاعفة ، على النفع الحاصل منه . وإنما يكون الحامل على ذلك إما غباوة الناقل ، وسلامة جهته وعدم اتساع نظره ، أو يكون عنده شىء من الدخل ؛ فيقيس حالة غيره بنفسه ، ويتوهم أن ذلك مما يفرح به الشخص المنقول فيه .

وكل ما نقل من هذا عن الأكابر ، يحمل إما على الشطح أو السكر ، وإما على حسب ما يظهر للواحد منهم ويراه ، فيستغرقه مشهده ، ويغمره وجده فلا يكون فيه متسع لسوى ما هو فيه ، كما وقع شيء من ذلك في كتاب : « الجوهر الشفاف في مناقب السادة الأشراف » للشيخ الخطيب — نفع الله به — في مواضع منه .

وقال — نفع الله به — : إنه قد يظهر لأولياء الزمان الحاضر أشياء ، توهم أفضليتهم على من خلا من قبلهم، وليس كذلك . وإنما موجب ظهورها فيضان نور ذلك الشخص واستيلاؤه على أهل هذا الزمان ، أن يكون سببه قوة اعتقاد الرائي في ذلك الشخص وانطراؤه ومحبته ؛ لأن المستغرق بالشيء مثلا، ما يكاشف ويراه في المنام ، على حسب حالة حاله ، ومقتضى اعتقاده .

وأما الجزم بالأفضلية عند الله مطلقا ، فهو في غاية الخطر والتجرؤ ، ولا يكاد يستقيم القطع به أبداً .

وأما المفاضلة بحسب ما يستبين من استمكان أحدهما في العلم والعمل ، أو الكثرة في نفع حصل للناس بسببه ؛ فقد يسوغ من هذه الحيثية ، وتركها أولى . والله أعلم .

ومن كلامه — رضي الله عنه — : لو أن الإنسان بذل في زيارته تريم مالا جزيلا ؛ لكان في ذلك قليلا .

وقال لبعض المعلمين القرآن : كم قد ختم عندك من الصبيان ؟

فقال له المعلم : مائة وعشرون .

فقال له — على سبيل المباسطة — : أعطيت مائة وعشرين ثوبا. وكان من عادة

أهل بلده أن يعطوا المعلم ثوبا ، إذا ختم عنده أحد . ثم قال له : لأن يقرأ القرآن عندك واحد خير لك من بلدك وما فيها ومن فيها .

ومن كلامه : لا يحصل كمال المقصود إلا باقتران الفهم فى العلم ، والتوفيق فى العمل به .

ونوصيك — بارك الله فيك — بالمحافظة على الفرائض ، والإكثار من تلاوة القرآن ومن الذكر لله .

وجدّ فى طلب العلم النافع ، من الفقه وغيره . واغتنم النشاط والفراغ لذلك . ولا تجالس إلا الأخيار : أهل العلم والطاعة .

وجانب مجالسة أهل اللهو والغفلة . وليكن لك أوراد ، من الأذكار والدعوات ، تواظب عليها بعد الصلوات ، ووقت الصباح والمساء .

وقال — رضى الله عنه — : الله الله . اجتهد فى الطاعة والعبادة ، وطلب العلم النافع ، وأحسن المحافظة على الصلوات الخمس ، وداوم على الأوراد ؛ من الأذكار والآيات ، فى عموم الأوقات ، وأكثر من قراءة القرآن الكريم ، مع التدبر والترتيل .

وجالس الأخيار والأبرار ، واحترز من مخالطة ومعاشرة الأشرار . والله يأخذ بناصيتك إلى كل خير ، ويحوطك من كل شر وضير .

ومما نقلته من خط السيد الأكمل : عمر بن عبد الرحمن إلياس باعلوى ؛ وهو مما حفظ عن سيدنا عبد الله — رضى الله عنه — : ما دام الإنسان يطلب الدنيا لغرض ؛ فهو يجد السعة فى صدره ، حتى يطلبها لذاتها ؛ فعند ذلك ضاق صدره .

ومنه : الناس فى طلب الدنيا : طالب يطلبها على نية الخير والاستعانة بها

عليه . وطالب يطلبها للتمتع بالمباحات والشهوات . وطالب يطلبها للتوصل بها للمعاصى ؛ إما على الانفراد ، وإما مع غيرها . وطالب يطلبها لذاتها ، وهذا من الشياطين ؛ لأنهم يجلسون على الكنوز ، ولا حاجة لهم بها ، ولا ينتفعون بها . وإنما ذلك للاستلذاذ بجمعها . ويجرى هـذا التقسيم فى مراتب الطاعات . فمن الناس من يطيع ابتغاء مرضاة الله والزلفى ، ومنهم طلبا للثواب ، ومنهم خوفا من العقاب ، ومنهم مراءاة للخلق ؛ وهذا هـو الهالك انتهى . قال ذلك يوم السبت ١٣ من شعبان سنة ١١٢٧ .

قال : ومما كان يأمر به ـ سيما فى آخر الزمان ـ هذا الدعاء : اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا يا كهيعص . نعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم . إلى آخر كلام سيدنا على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ .

ومن كلامه : أيش راحة الدنيا ، إنمـا الراحة فى ذكر الله تعالى ، والعمل الصالح . ففى ذلك انشراح الصدر فى الدنيا ، والثواب فى العقبى .

ومن كلامه : نظر النبى علينا وعليكم ، ونظر الله على الجميع .

وقال : من ادعى أنه غريب مع الله ، أو مع أهل الله فكذبوه ؛ إنما هو غريب مع نفسه وشهواته . ولعله قال : احفظوا واكتبوا .

وقال : اليوم الطالب والمطلوب محجوبان . وإنما حجاب المطلوب نورانى ، وحجاب الطالب ظلمانى . هذا زمان حجاب .

ومن كلامه : عظ الناس بالدنيا ، ولا تعظهم بالآخرة ، فلا يلقون لها قدراً كبيراً .

انتهى النقل عن السيد عمر المذكور . وبه انتهت خاتمة الباب . والله الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه خير صحب وآل . والحمد لله رب العالمين .

تم الباب السادس من كتاب غاية القصد والمراد

فى مناقب سيدنا قطب الإرشاد : الحبيب عبد الله بن علوى الحداد

تأليف سيدنا الإمام جمال الدين محمد بن زين بن علوى ـ نفع الله بالجميع

❦❦❦❦

الباب السابع

وقد سبق ذكر شيء مما يتعلق بصلواته ، عند ذكر ترتيب أوقاته في الباب الأول ، فانظره ولنبدأ أولا بسرد مفتاح الفلاح .

قال مؤلفه ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ : قد جمعنا هذا الورد المبارك لأنفسنا ، ولمن رغب فى ترتيبه ، والمراظبة عليه من المسلمين .

وقد كنا جمعنا ـ قبل ذلك ـ نبـذة مختصرة ، فى أذكار الصباح والمساء . وهذا الورد أوسع وأجمع منها . وقد جمعنا من الكتب المعتمدة ، كما يعرف ذلك من له معرفة بها .

وينبغى أن يجعـل القارئ مساء بدل الصباح المساء ، والقارئ صباحا بدل المساء الصباح . وكذلك بدل النشور المصير . ولا حرج أن يبدأ فيه بالآيات القرآنية أولا ، أو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أو بقوله : باسم الله على نفسى . فكل ذلك واسع . ومهما خاف من طلوع الشمس ، أو غروبها قبل بلوغه فيها إلى المسبعات ، فليقرأها أولا لأنها تفوت بالطلوع والغروب ، عند بعض العلماء . ومحلها آخر هذا الورد .

فإن أمكنه المراظبة على هذا الورد صباحا ومساء ، فالميسور لا يسقط بالمعسور ، والعمل مع الإخلاص والخشوع والحضور ، هو المعول عليه . وفيه أذكار لم ترد صباحا ومساء ، وهى اليسير . ولكنا استحسنا ذلك ، لما رأينا فيها من الجمع ، رجاء النفع . والأعمال بالنيات ، ولكل امرئ مانوى . وحسبنا الله ، ونعم الوكيل .

كان الفراغ من إملائه ، بتاريخ يوم الأحد ٢٣ من شهر شوال سنة ١١١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإخلاص (٣) والمعوذتين (٣) رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون (٣) أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله هو رب العرش العظيم . ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون . وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين . فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون . يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون .

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا . إن إلهكم لواحد . رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق . إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد . لايسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب . فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب .

بسم الله الرحمن الرحيم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (٣) ثم يسكت قليلا .

وينبغى أن يقرأ فى هذه السكتة : لو أنزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر . سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم . وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين . إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هـو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم . ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك

فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر
هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله
عليه يتوكل المتوكلون . ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم . فالله خير حافظا
وهو أرحم الراحمين . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله .
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . وحفظناها من كل شيطان رجيم . وحفظا
من كل شيطان رجيم وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . إن بطش ربك لشديد .
إنه هو يبدئ ويعيد . وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد . فعال لما يريد هل
أتاك حديث الجنود فرعون وثمود . بل الذين كفروا فى تكذيب . والله من
ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون . هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى
عنده ثم أنتم تمترون . وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم
ما تكسبون . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله
لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم . ثم أنزل عليكم

من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما . يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان . ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . حسبنا الله ونعم الوكيل . إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون ما شاء الله لا قوة إلا بالله . آمنت بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك

بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك . أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص . وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت وإليك النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله رب العالمين .

اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم ، فتحه ونصره ، ونوره وبركته وهداه . نسألك خيره وخير ما قبله ، وخير ما فيه ، وخير ما بعده . ونعوذ بك من شره ، وشر ما فيه ، وشر ما بعده . أصبحنا وأصبح الملك لله الواحد القهار . والحمد لله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

نسألك خير هذا اليوم ، وخير ما بعده . ونعوذ بك من شر هذا اليوم ، وشر ما بعده . رب أعوذ بك من الكسل ، وسوء الكبر . رب أعوذ بك من عذاب النار ، وعذاب القبر .

اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر . أسألك أن تبعثنى فى هذا اليوم إلى كل خير ، وأعوذ بك أن أجترح فيه سوءا إلى مسلم . أصبحنا ، وأصبح الملك لله ـ عز وجل . والحمد لله ، والكبرياء لله ، والخلق والأمر لله . والليل والنهار وما سكن فيهما لله ـ عز وجل .

اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا ، وأوسطه نجاحا ، وأواخره فلاحا .

اللهم اجعل أوله رحمة ؛ وأوسطه نعمة ، وآخره تكرمة .

الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته ، وذل كل شىء لعزته ، وخضع كل شىء لملكه ، واستسلم كل شىء لملكه وقدرته .

والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته ، وأظهر كل شىء بحكمته ، وتصاغر كل شىء لكبريائه .

اللهم أعنّى ولا تُعن علىّ ، وانصرنى ولا تنصر علىّ ، وامكر لى ، ولا تمكر علىّ . وانصرنى على من بغى علىّ . واهدنى ويسر الهدى لى . رب اجعلنى مقيما لك ، شكارا لك ، مطاوعا إليك ، مخبتا منيبا . رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى ، وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، واهد قلبى ، وسدد لسانى ، واسلل سخيمة قلبى .

اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحوّل عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك . ومن منكرات الأخلاق والأعمال ، والأهواء ، والأدواء ، والأسواء . ومن الشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، وضيق الأرزاق . ومن السمعة والرياء ، والجنون والجذام والبرص ، وسيء الأسقام .

اللهم انفعنى ولا تضيعنى ، وادفع ولا تدفع عنى ، وأعطنى ولا تحرمنى ، وأكرمنى ولا تهنّى ، وزدنى ولا تنقصنى ، وارحمنى ولا تعذبنى ، وانصرنى ولا تخذلنى ، واسترنى ولا تفضحنى ، وآثرنى ولا تؤثر علىّ . واحفظنى ولا تضيعنى ؛ إنك على كل شىء قدير .

اللهم وما قدرت لى من أمر ، وشرعت فيه بتوفيقك وتيسيرك ، فأتمه لى بأحسن الوجوه كلها ، وأصلحها وأجملها وأصوبها ؛ إنك على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير . يا من قامت السموات والأرضون بأمره . يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه . يا من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون . لبيك ربى

وسعديك ، والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك ، إنا بك وإليك . تباركت وتعاليت . أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم وما قلت من قول ، أو حلفت من حلف، أو نذرت من نذر؛ فمشيئتك بين يدى ذلك كله ما شئت كان ، وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك وأنت على كل شيء قدير .

اللهم ما صليت من صلاة ، فعلى من صلى . وما لعنت من لعن ، فعلى من لعنت . أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

اللهم إني أسألك الرضى بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقا إلى لقائك ؛ في غير مضرة ولا فتنة مضلة. أعوذ بك أن أظلم أو أظلم ، أو أكتسب خطيئة محبطة ، أو ذنبا لا تغفره .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام ؛ فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا ، وأشهدك . وكفى بك شهيداً ، إنك أنت الله . لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . لك الملك ، ولك الحمد ، أنت على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك . وأن وعدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنك تبعث من في القبور . وإن تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة. وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأنصر من ابتغى ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى . أنت الملك لا شريك لك ، والفرد لا ند لك . كل شيء هالك إلا وجهك . لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تعصى

إلا بإذنك . تطاع فتشكر ، وتعصى فتغفر . أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ . حُلت دون النفوس ، وأخذت بالنواصي ، وكتبت الآثار ، ونسخت الآجال . القلوب لك مفضية ، والسر عندك علانية . الحلال ما أحللت ، والحرام ما حرّمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، والخلق خلقك ، والعبد عبدك ، وإنك أنت الله الرءوف الرحيم . أسألك بنـــور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك ، وبحق السائلين عليك ، أن تقبلنى فى هذه الغداة ، وأن تجيرنى من النار بقدرتك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يفوق ويفضل ، ويعلو حمد الحامدين ، حمدا يكون لنا رضًى وذخرا ، عند رب العالمين ، الذى دحا الأقاليم ، واختص موسى كليم ، وأحيى العظام وهى رميم ؛ وسمى نفسه الرحمن الرحيم ، وهما اسمـــان عظيمان كريمان ، شفاء لـكل سقيم ، وغنى لـكل عديم . مالك يوم الدين ، ليس لك فى ملـكك منازع ولا قرين ، ولا نصير ولا معين ، بل كنت قبل وجود العالمين . أنت أحاطتنا من أجمع الشياطين ، وسطوات السلاطين ، وعززتنا على الأقربين والأبعدين ، ووجهتنا إلى الأجناس المختلفين . إياك نعبد . نعبد بالإقرار ، ونعترف بالتقصير ، ونخجل من الذنوب ، ونستغفرك ، ونشهد أن لا إله إلا أنت ، يا ذا الجلال والإكرام ، وإياك نستعين بالله على كل حاجة من حوائج الدنيا والدين .

اللهم ياهادى المضلين ، لا هادى لهم غيرك . اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله . وكفى بالله عليما . غـــير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين . سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم . لا إله إلا الله .

اللهم ثبت علمها فى قلبى ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات . وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

اللهم كن بنا رؤوفا ، وعلينا عطوفا ؛ وخذ بأيدينا إليك ، أخذ الكرام عليك . قومنا إذا اعوججنا ، وأعنا إذا استقمنا ، وخذ بأيدينا إن عثرنا ، وكن لنا حيثما كنا .

باسم الله على نفسى وأهلى ومالى . باسم الله على دينى ونفسى ، وأهلى وولدى ومالى . رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا .

اللهم إنى أسألك من فجاءة الخير ، وأعوذ بك من فجاءة الشر .

اللهم إنى أسألك علما نافعا ، ورزقا طيبا ، وعملا متقبلا .

اللهم إنى أستودعك دينى ونفسى ، وأهلى وأولادى ، وجميع ما أنعمت به على . أستودع الله دينى وأمانتى وخواتيم عملى .

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى . فاغفر لى ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم ، وبكلماتك التامات ، من شر ما أنت آخذ بناصيته .

اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم .

اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد . سبحانك وبحمدك .

اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين ، وقهر الرجال . أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (٣) .

بإسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء . وهو السميع العليم (٣) .

اللهم عافنى فى سمعى . اللهم عافنى فى بصرى . لا إله إلا أنت .

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر ، وعذاب القبر . لا إله إلا أنت .

اللهم أنت ربى . لا إله إلا أنت . أصبحنا وأصبح الملك لله وحده لاشريك له (٣) .

اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر ، فأتم نعمتك علىّ وعافيتك ، وسترك فى الدنيا والآخرة (٣) .

اللهم إنى أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك ، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا عبدك ورسولك (٤) رضيت بالله ربّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا (٣) الحمد لله حمدا يوافى نعمه ، ويكافئ نعمه ومزيده (٣) آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها . والله سميع عليم (٣) .

اللهم أنت خلقتنى ، وأنت تهدينى ، وأنت تطعمنى ، وأنت تسقينى ، وأنت تميتنى ، وأنت تحيينى (٧) حسبى الله . لا إله إلا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم . ياحى يا قيوم ، بك أستغيث . لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . لا إله إلا أنت (٣) حسبنا الله ، ونعم الوكيل (٣) ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله (٣) .

اللهم أصلح أمة أحمد . اللهم ارحم أمة أحمد . اللهم فرج عن أمة أحمد (٣) .

اللهم اكفنى عن حرامك ، وأغننى بفضلك عمن سواك (٣) يا لطيفا بخلقه يا عليما بخلقه ، ياخبيرا بخلقه ، الطف بنا ، يا لطيف ، يا عليم ، يا خبير (٣) .

اللهم خلصنى اليوم من كل مصيبة ، نزلت من السماء إلى الأرض .

اللهم اجعل لى سهما فى كل حسنة نزلت من السماء إلى الأرض (٣) يا لطيفا لم تزل ، الطف بنا فيما نزل ؛ إنك لطيف لم تزل، الطف بنا وللمسلمين (٣) سبحان الله وبحمده . ما شاء الله لاقوة إلا بالله . أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما .

اللهم أنت ربى . لا إله إلا أنت عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم . ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما .

اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر كل دابة، أنت آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم . لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير .

اللهم ألهمنى رشدى ، وأعذنى من شر نفسى . حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا . ليس وراء الله منتهى ، ولا دون الله ملجأ . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز .

اللهم إنى أسألك خير الصباح ، وخير المساء ، وخير القضاء ، وخير القدر ، وأعوذ بك من شرّ الصباح وشر المساء ، وشر القضاء ، وشر القدر .

اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والسموات والشهادة ، رب كل شىء ومليكه . أشهد أن لا إله إلا أنت . أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءا على أنفسنا ، أو نجره إلى مسلم .

اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة .

اللهم إنى أسألك العفو والعافية ، فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى .

اللهم احفظنى من بين يدىّ ، ومن خلفى ، وعن يمينى ، وعن شمالى ، ومن فوقى . وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى .

اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ، ولا ترفع عنى سترك ، ولا تُنْسنى ذكرك ، ولا تجعلنى من الغافلين .

اللهم إنى أسألك صحة فى إيمان وإيماناً فى حسن خلق ، ونجاحا يتبعه فلاح وعافية ، ومغفرة منك ورحمة ورضوانا . أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون .

اللهم ربّ السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين السبع وما أقلت ، وربّ الشياطين وما أضلت ، كن لى ولسائر أهل بيتى وأولادى جارا من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط علينا أحد منهم ، أو أن يطغى عزّ جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك . حصنت نفسى وإياهم بالحىّ القيوم الذى لا يموت أبداً ، ودفعت عنى وعنهم السوء . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . يا كهيعص نعوذ بك من الذنوب التى تغير النعم ، ونعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم والتى تهتك العصم ، والتى تمنع غيث السماء ، والتى تذل الأعزاء ، وتشمت الأعداء .

باسم الله . ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله . باسم الله وبالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . باسم الله ما شاء الله . كل نعمة من الله . ما شاء الله . الخير كله بيد الله . ما شاء الله . لا يصرف السوء إلا الله (٣) .

اللهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واحفظني بحفظك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك عليّ ، فلا أهلك وأنت ثقتي ورجائي .

حسبي الله الكريم العظيم لما أهمني .

حسبي الله الحليم القوى لمن بغى عليّ .

حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء .

حسبي الله الرحيم عند الموت .

حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر .

حسبي الله الكريم عند الحساب .

حسبي الله اللطيف عند الميزان .

حسبي الله القدير عند الصراط .

حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم .

اللهم اغفر لأمة محمد . اللهم ارحم أمة محمد . اللهم استر أمة محمد . اللهم اجبر أمة محمد .

سبحان ذى الملك والملكوت . سبحان ذى العزة والجبروت . سبحان الحي الذى لا يموت . سبوح قدوس رب الملائكة والروح . لا إله إلا الله قبل كل شىء . لا إله إلا الله بعد كل شىء . لا إله إلا الله ، يبقى ربنا ، ويفنى كل شىء لا إله إلا الله ، والله أكبر . لا إله إلا الله وحده . لا إله إلا الله لا شريك له له الملك وله الحمد . لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم أنت ربى ، وأنا عبدك ابن أمتك ، فى قبضتك ناصيتى وفى يدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك وأنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب

عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي . يا ربنا لك الحمد ـ كما ينبغي ـ لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك .

اللهم اجعل لي من كل هم وغم ، أصبحت وأمسيت فيه ، فرجا ومخرجا ، وارزقني من حيث لا أحتسب .

اللهم لك الحمد ، عدد عفوك عن خلقك (٣) .

اللهم كما لطفت بلطفك في عظامتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظامتك على العظماء ، وعلمت بما تحت أرضك ؛ كعلمك ما فوق عرشك . وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر عندك في علمك . وانقاد كل شيء لعظامتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك . اجعل لي من كل هم وغم ، أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا .

اللهم إن عفوك عن ذنوبي ، وتجاوزك عن خطيئتي ، وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك ؛ مما قصرت فيه . أدعوك آمنا ، وأسألك مستأنسا ؛ فإنك المحسن إليّ ، وأنا المسيء إلى نفسي ، فيما بيني وبينك ، تتودد إليّ بالنعم ، وأتبغض إليك بالمعاصي ، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك . فعُد بفضلك . وإحسانك عليّ ، وتب عليّ ، إنك أنت التواب الرحيم .

اللهم اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عمن سواك ، حتى لا أرجو أحداً غيرك .

اللهم ما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنه عملي ، ولم تنته إليه رغبتي ، ولم تبلغه مسألتي ، ولم يجر على لساني ، مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به ، يا أرحم الراحمين .

اللهم أصلح الإمام والأمة ، والراعى والرعية ، وألّف بين قلوبهم فى الخير ، وادفع شر بعضهم عن بعض .

اللهم أنت العالم بسرائرنا فأصلحها ، وأنت العالم بذنوبنا فاغفرها ، وأنت العالم بعيوبنا فاسترها ، وأنت العالم بحوائجنا فاقضها ؛ لاترانا حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا حيث أمرتنا . أعزنا بالطاعة ، ولا تذلنا بالمعصية . شغلنا بك عمن سواك ، واقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك . ألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . سبحان الله العظيم . سبحان الله وبحمده . لا إله إلا الله لاقوة إلا بالله . لا تحينا على غفلة ، ولا تأخذنا على غرة . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

اللهم أطلق ألسنتنا بذكرك ، وطهر قلوبنا عمن سواك ، وروح أرواحنا بنسيم قربك ، واملأ أسرارنا بمحبتك ، واطو ضمائرنا بنية الخير للعباد ، واكف أنفسنا بملك ، واملأ صدورنا بتعظيمك ، وصير كليتنا إلى جنابك ، وحسّن أسرانا معك . واجعلنا ممن يأخذ ما صفا ، ويدع الكدر ، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها ، ويرضى بك ربا وكيلا ؛ لتكون له كفيلا . ووفقنا لتعظيم عظمتك ، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم . تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام .

اللهم إن العلم عندك ، وهو محجوب عنى . ولا أعلم أمراً أختاره لنفسى ، وقد فوضت إليك أمرى ، ورجوتك لفاقتى وفقرى . اللهم فأرشدنى إلى أحب الأمور ، وأرضاها عندك ، وأحمدها عاقبة لديك فى خير وعافية ؛ إنك تفعل ما تشاء ، وأنت على كل شيء قدير .

اللهم أسمعنا خيرا ، وأطلعنا خيرا ، وارزقنا اللهم العافية ، واجمع قلوبنا على التقوى ، ووفقنا لما تحبه وترضى. أعددت لكل هول ألقاه في الدنيا والآخرة : لا إله إلا الله . ولكل هم وغم : ما شاء الله . ولكل نعمة : الحمد لله . ولكل رخاء وشدة : الشكر لله . ولكل أعجوبة: سبحان الله . ولكل ذنب : أستغفر الله . ولكل مصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . ولكل ضيق : حسبي الله. ولكل قضاء وقدر : توكلت على الله . ولكل طاعة ومعصية : لاحول ولاقوة إلا بالله . ولكل حركة وسكون : بسم الله . لا إله إلا الله وحده لاشريك له. له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير (عشرا) لا إله إلا الله الملك الحق المبين (عشرا) لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(عشرا) سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (عشرا) سبوح قدوس رب الملائكة والروح (عشرا) سبحان الله العظيم وبحمده (عشرا) أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، وأسأله التوبة والمغفرة (عشرا) .

اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت . ولا ينفع ذا الجد منك الجد (عشرا) اللهم صل على محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم (عشرا) باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم (عشرا) .

والمسبعات المشهورة : الفاتحة (سبعا) وقل أعوذ برب الناس (سبعا) وقل أعوذ برب الفلق (سبعا) وقل هو الله أحد (سبعا) وقل يا أيها الكافرون (سبعا) وآية الكرسي (سبعا) سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (سبعا) .

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم (٧) أستغفر الله لي ولوالدي ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحيــاء منهم والأموات ؛ إنك كريم مجيب الدعوات . اللهم افعل بي وبهم ، عاجلا وآجلا ، في الدنيا والآخرة ، ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يامولانا ما نحن له أهل ؛ إنك غفور حليم ، جواد كريم ، رءوف رحيم (٧) .

سبحان الله وبحمده (١٠٠) سبحان الله العظيم وبحمده (١٠٠) سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (١٠٠) ويزيد صباحا فقط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير (١٠٠) وإن شاء أن يقول : سبحان الله وبحمده (١٠٠) فله ذلك . وكذا سبحان الله (١٠٠) والحمد لله (١٠٠) ولا إله إلا الله (١٠٠) والله أكبر (١٠٠) فكل ذلك له . ثم الورد المسمى ورد الفلاح ، ويتلوه الورد الثاني ، الذي هو النبذة الصغرى في أذكار المساء والصباح ، وهي مباركة تشتمل على غرر المأثور عن النبي ﷺ وجوامعه وكوامله . وقد رأى أناس أثر ذلك وبركته .

وأخبرني بعض الثقاة قال : كنا في سفر فخرج علينــا اللصوص ، وأخذوا جميع ما كان معنا ، وكان معي دراهم في كيس ، وعندي الورد المذكور ، والكيس وسط ، مزود لي في جملة أشياء ، فغفلوا عن المزود فلما أدبروا فتحته وأخذت الكيس ، ودفنته خشية أن يرجعوا . فما لبثنا أن رجعوا إلينا ثانيا ، وأخذوا المزود كأنهم أمروا به ، وسلمت الدراهم ببركة الورد المذكور . وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإخلاص (٣) والمعوذتين (٣) رب أعوذ بك من همزات الشياطين

وأعوذ بك رب أن يحضرون (٣) أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم الخ السورة فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون إلى قوله : « تخرجون » أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (٣) ويسكت سكتة . ويحسن أن يقرأ فيها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الخ سورة الحشر . سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (٣) باسم الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم (٣) .

اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر ، وأتمم نعمتك على وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة (٣) .

اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ؛ أنك أنت الله . لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك (٤) .

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده (٣) رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا (٣) آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها . والله سميع عليم (٣) حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (٧) .

اللهم صل على محمد وآله وسلم (١٠) اللهم إنى أسألك من فجأة الخير ، وأعوذ بك من فجأة الشر .

اللهم أنت ربى . لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك . أنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى فاغفر لى ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم . ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً .

اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر كل دابة ، أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم . يا حى يا قيوم بك أستغيث . أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين .

اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدّين وقهر الرجال .

اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة .

اللهم إنى أسألك العفو والعافية ، فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى .

اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى .

اللهم احفظنى من بين يدىّ ، ومن خلفى ، وعن يمينى ، وعن شمالى ، ومن فوقى . وأعوذ بك وبعظمتك ، أن أغتال من تحتى .

اللهم أنت خلقتنى ، وأنت تهدينى ، وأنت تطعمنى ، وأنت تسقينى ، وأنت تميتنى ، وأنت تحيينى . أصبحنا على كلمة الإخلاص ، وفطرة الإسلام ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين .

اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور . أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله رب العالمين . نسألك خير هذا اليوم ، وخير ما فيه ، وخير ما بعده . ونعوذ بك من شره ، وشر ما فيه ، وشر ما بعده .

اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك ؛ فمنك وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ؛ فلك الحمد والشكر على ذلك .

سبحان الله وبحمده (١٠٠) سبحان الله العظيم وبحمده (١٠٠) سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (١٠٠) لا إله إلا الله وحده لاشريك له . له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير (١٠٠) فقط . ثم الورد الثانى ، يتلوه الورد الثالث . وهو حزب النصر والحفظ المرتب بعد صلاة الفجر .

قال سيدنا عبد الله ـ نفع الله به ـ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد ، فهذا ورد يقال بعد صلاة الصبح ، إما فى كل يوم وإما فى يوم الجمعة . وهو مما جمعه الشريف : عبد الله بن علوى الحداد ، من جملة كتب الإحياء وغيره ، وشىء مما فتح الله به عليه . فأوله :

يا ألله يا واحد ، يا أحد ، يا جواد انفحنى منك بنفحة خير (٣) ثم يقول ـ وهو رافع يديه ، بحيث يرى بياض إبطه ـ : يا باسط (١٠) ثم يقول : ابسط علينا الرزق والخير ، ووفقنا لإصابة الصواب والحق ، وزينا بالإخلاص والصدق ، وأعذنا من شرار الخلق ، واختم لنا بالحسنى ، فى لطف وعافية .

اللهم جملنا بسترك ، واسترنا بعافيتك ، وعافنا من مخالفتك .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، والعافية واليقين ، والثبات على الحق ، والوفاة على الإسلام ، والمصير إلى الجنة .

اللهم إنا نسألك دوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن الخاتمة والعافية .

اللهم نور قلوبنا ، واشرح صدورنا ، وأحسن منقلبنا ، وأيدنا بروح منك ، ووفقنا لما تحبه وترضاه ، وثبتنا بالقول الثابت ، فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واكشف كروبنا ، وأصلح ذات بيننا ، وألّف فى طاعتك وطاعة رسولك بين قلوبنا .

اللهم جمّل أحوالنا ، وأصلح أعمالنا ، وطهّر وحسّن أخلاقنا ، وطيّب ووسّع أرزاقنا ، واقض بفضلك ديوننا ، وأصلح بكرمك شئوننا . واجعل إلى رحمتك ورضاك ، ومجاورتك فى دار كرامتك ، منقلبنا ومصيرنا ورجوعنا .

اللهم بارك لنا فى قلوبنا وأدياننا ، وأبداننا وجوارحنا ، وعلومنا وأعمالنا ، وأخلاقنا وأرزاقنا ، وأهلنـــا وأولادنا ، وقرابتنا وأصحابنا ، وجميع من معنا وما معنا .

اللهم اجعلنا وإياهم أجمعين فى عافيتك وسلامتك ، وعزك وكرامتك ، وعناك ويسرك وسعتك ، وخفىّ لطفك وجميل سترك .

اللهم اجعلنا وإياهم فى حفظك وكنفك ، وعهدك وذمتك ، وجوارك وعياذك من شر كل ذى شر من خلقك ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها . إن ربى على صراط مستقيم ، ومن شر كل شيطان وإنس وجان ، وباغ وحاسد وخائن ، وساحر وغادر ، وماكر وعائن .

باسم الله تحصنّا . باسم الله استجرنا ، باسم الله أدخلنا أنفسنا وأهلنا وأموالنا ، وجميع من معنا وما معنا ، فى حفظ الله ، وكنف الله ، وأمان الله ، من شر جميع البليات والأذيات ، والمؤذين . والأشرار من خلق الله ، ومن فجاءة الأقدار ، وبغتات الأمور بالسوء ، ومن شر كل هدم وحرق وغرق .

باسم الله بابنا تبارك حيطاننا . يس سقفنا . كهيعص كفايتنا حمعسق حمايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . ستر العرش مسبول علينا ، وعين الله ناظرة إلينا ، بحول الله لايقدر علينا . والله من ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ . فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين . إن وليي الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين . حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واكفنا كل هول دون الجنة .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد وسلم .

اللهم إنا نسألك خير الحياة ، وخير الوفاة ، وخير ما بينهما ، وأعوذ بك من شر الوفاة والحياة ، وشر ما بينهما . أحينى حياة السعداء ، حياة من يبقى وتحبه ، وتوفنى وفاة الشهداء ، وفاة من تحب لقاءه .

اللهم قنّعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير .

اللهم إنى أعوذ بك من جَهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .

اللهم لا تقدمنى لعذاب ، ولا تؤخرنى لفتنة ، وخذمنى رضاك فى عافية .

اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ، ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف مالا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى . أسألك الخشية فى الغيب والشهادة ، والبذل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر .

اللهم كما حسّنت خَلقى فحسن خُلقى .

اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة .

اللهم إنى أسألك من صالح ماتؤتى الناس من المال والولد غير الضال ولا المضل .

اللهم وفقنى لمحابك من الأعمال ، وارزقنى حسن الظن بك ، وصدق التوكل عليك .

اللهم زينى بزينة الأعمال والإيمان ، واجعلنى هاديا مهديا .

اللهم احفظنى فيما أمرتنى ، واحفظنى عما نهيتنى ، واحفظ علىّ ما أعطيتنى .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد وسلم .

اللهم اجعلنى من أوليائك المتقين ، وحزبك المفلحين ، وعبادك الصالحين ، واستعملنى فيما يرضيك عنى ، ووفقنى لمحابك عنى ، وصرفنى بحسن اختيارك لى ، وأسألك جوامع الخير ، وفواتحه وخواتمه ، وأعوذ بك من جوامع الشر ، وفواتحه وخواتمه . وأستغفرك اللهم من كل ذنب تبت إليك منه ، ثم عدت فيه . وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ ، فتقويت بها على معصيتك . وأستغفرك من كل عمل عملته لوجهك ، فخالطه ما ليس فيه رضى . وأستغفرك من كل ذنب أذنبته فى سواد الليل أو ضياء النهار ، فى خلاء أو ملأ ، أو سر أو علانية يا كريم .

اللهم يا رب كل شىء ، بقدرتك على كل شىء ، اغفر لى كل شىء ، ولا تسألنى عن شىء .

اللهم ارحم ما خلقت ، واغفر لى ما قدرت ، وطيّب ما رزقت ، وتمم ما أنعمت ، وتقبّل ما استعملت ، واحفظ ما استحفظت ، ولا تهتك ما سترت ، فإنه لا إله إلا أنت .

اللهم إنى أعوذ بك من حدة الحرص ، وشدة الطمع ، وسَورة الغضب ، وسِنة الغفلة ، وتعاطى الكلفة ، ومباهاة المكثرين ، والإزراء على المقلين ، وأن أخذل مظلوما ، أو أنصر ظالما ، أو أقول فى العلم بغير العلم ، أو أعمل فى الدين بغير يقين . يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه إلحاح الملحين ، أذقنى برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك .

اللهم ارزقنى حزن خوف الوعيد ، ولذة رجاء الموعود ، حتى أجد لذة ما له أطلب ، وخوف ما منه أهرب .

اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، ومن حياة تمنع خير الممات ، ومن أمل يمنع خير العمل ، وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، وراحة بغير خدمتك ، وسرور بغير قربك ، وفرح بغير مجالستك ، وشغل بغير معاملتك .

اللهم إذا أقررتَ عين أهل الدنيا بالدنيا ، فأقر عينى بعبادتك .

اللهم اجعل طاعتك فى كل شىء منى . أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب من حبه ينفعنى عندك .

اللهم ما رزقتنى مما أحب ، فاجعله قوة لى فيما تحب ، وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب .

اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، ولا تنزع صالح ما أعطيتنى .

اللهم إنك سألتنى من نفسى ما لا أملكه إلا بك ، فأعطنى منها ما يرضيك عنى . أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك .

اللهم اجعل حبك أحب إلىّ من نفسي وأهلى ، وأحب إلىّ من الماء البارد.

اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى .

أستغفرك من كل مدخل سوء ، ومخرج سوء ، ونية سوء . فاغفر لى ، وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم .

اللهم إنى أعوذ بك من الشك فى الحق بعد اليقين ، ومن الشيطان الرجيم ، ومن شدائد يوم الدين ، ومن الوعث عند البعث ، وأسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار ، فى لطف وعافية ، يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

من إملاء الفقير عبـــد الله بن علوى الحداد باعلوى ، يوم الاثنين فى شهر القعدة الحرم سنة ١١٣٠ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ثم الورد الثالث ، يتلوه الورد الرابع . وهو الراتب المشهور ، وكثير الخير والبركة والنور ، بعد صلاة العشاء فى الجمع ، وبالجهر .

كان — رضى الله عنه — يثنى عليه ، ويوصى به . وبلغه أن رجلا أراد أن يعطيل الراتب المذكور فى بعض المساجد . فقال : من أعرض وأراد بظاهره ، أو باطنه ، أن لا يقام راتبه بعد صلاة العشاء ، لاقى عمله ، ونال ما ينال المعرضين عن الذكر ، الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره .

وقال بعضهم : كنا نقرأ الراتب المذكور فى سفر . وكان معنا رجل ، فأراد تعطيله علينا فعوقب فى الحال ، بأن ماتت عليه راحلته ، وأصيبت رجله من سلاحه باعتراضه . وحصل من بعضهم إنكار وتعطيل لهذا الراتب ، فحصلت عليه جائحة عظيمة ، أبادته وأهلكته . نسأل الله العافية .

وكان ـ رضى الله عنه ـ يقول : إن راتبنا هذا يحرس البلدة التى يُقرأ فيها.
ووجدت مكتوبا عليه ما صورته : هذا راتب مبارك ، مما فتح الله به على عبده ، الملتجىء إلى حمى عزته ، وحرم حضرته : عبد الله بن علوى الحداد .

ووروده فى بعض ليالى رمضان سنة ٧١ ينبغى أن يرتبه كل مريد صادق سيما إن كان صاحب الراتب واسطته إلى الله . فإن رتبه بعد صلاة العشاء أو الصبح فذلك هو الأكمل .

ويكفى ترتيبه ، فى الليلة واليوم مرة .

وأوله : أن يحضر قلبه ، ويستشعر أنه يرى ربه ، ويقرأ الفاتحة ، وآية الكرسى ، وآمن الرسول الخ السورة .

ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير (٣) سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (٣) سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم (٣) .

اللهم صل على محمد . اللهم صل وسلم (٣) نعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (٣) .

باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم (٣) رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا (٣) .

باسم الله ، والحمد لله ، والخير والشر بمشيئة الله (٣) آمنا بالله واليوم الآخر. تبنا إلى الله باطنا وظاهرا (٣) يا ربنا واعف عنا ، وامح ما كان منا (٣) يا ذا الجلال والإكرام ، أمتنا على دين الإسلام يا قوى يا متين ، اكفنا شر الظالمين (٣) أصلح الله أمور المسلمين . صرف الله شر المؤذين (٣) .

يا على يا كبير ، يا عليم يا قدير ، يا سميع يا بصـــير ، يالطيف يا خبير (٣) يا فارج الهم ، يا كاشف الغم ، يا من لعبده يغفر ويرحم (٣) نستغفر الله رب البرايا نستغفر الله من الخطايا . ثم يقول : لا إله إلا الله (١٥) ، أو (٣٥) مرة .

وقال صاحب الراتب : وإن بلغ بلفظ الجلالة إلى ألف كان حسنا ، ولا بد أن يظهر له شيء من المكرمات . وقد جرب ذلك بعض أصحابنا ، أو كرره مرارا فذكر أنه ظهر له شيء من ذلك .

فإذا فرغ من العدد المذكور ، فليقل : محمد رسول الله ﷺ وشرّف وكرّم ورضى الله عن أهل بيته المطهرين ، وأصحابه المهتدين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم يقرأ سورة الإخلاص ثلاثا ، والمعوذتين مرة . ثم يقرأ الفـاتحة لسيدنا الفقيه المقدم : محمد بن على باعلوى ، وكافة السادة آل باعلوى . ثم الفاتحة لجميـع الصوفية ، ثم لصاحب الراتب ، ثم فاتحة رابعة إلى حضرة النبى ﷺ .

فإن قرأ الراتب وحده فذاك . وإن كان فى جمع ، فليقدم أحدهم ، ولتكن القراءة التى فى أوله وآخره وظيفة المتقدم ، ويرفع صوته بها حيث يسمعهم جميعاً . وما بقى من الراتب يقول الكلمة ، ثم يقولونها بعده . فإذا فرغ منه يدعو بما أراد من خير الدنيا . ثم يقولون بعد الدعاء :

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار (٣) .

ثم يقول من يجمع بهم الدعاء ، بحيث يسمع الحاضرون : تقبّل الله من الجميع وجعله خالصاً لوجهه الكريم ، لنا ولأحبابنا والمحبين ، ولجميع المسلمين مرة .

قال الحبيب العارف : ابنه الحسن : كان الوالد يلازم على الدعاء المذكور ، وهو قوله : تقبل الله الخ الدعاء .

وقال سيدنا ومولانا صاحب الراتب ، الراقى أعلى المراتب : عبد الله بن علوى الحداد علوى — رضى الله عنه — : الذى سأل منا الراتب : رجل كان يقرأ علينا، من بنى سعد ، يقال له : عامر . وأقام بمسجد قرية موشخ المعروفة ، من نواحى شبام ، بإذن منا ، ولم نقمه نحن إلا فى عاشوراء ، من السنة التى اذنى فيها ، وجدنا به رجلا ، يقيمه عندنا . وأقمناه سنة حججنا فى الحرمين الشريفين ، ويحضره جمع كثير . وبقى من ذلك الحين .

قلت : وأقيم بالحرم المكى كل ليلة عند باب الصفا ، ويحضره جمع عظيم ، وفى الحرم النبوى ، عند باب الرحمة .

●●●●

خاتمة هذا الكتاب : فى أدعية ، وأذكار منتخبة له — رضى الله عنه — مما كان يرتبه ، ويأمر به ، ويوصى بعد الصلوات المكتوبة وغيرها ، من الأدعية والأذكار ، ذات البركات والأسرار

وقد سبق شيء مما يقوله فى صلاته ، وقبلها وبعدها ، عند ذكر ترتيب أوراده فى الباب الأول . وهذا ما لحق منها :

الأول : المسمى بدعاء اللطف . وهو : يا ألله يا لطيف يا رزاق ، يا قوى ، يا عزيز (٣) أسألك تألها إليك ، واستغراقا فيك ، وفناء بك عمن سواك ، ولطفا من لدنك شاملا ؛ جليا وخفيا ، ورزقا طيبا واسعا ؛ هنيئا مريئا ، وقوة الإيمان واليقين، وصلابة فى الحق والدين، وعزا بك يدوم ويتخلد ، وشرفا يبقى ويتأبد ، لا يشوبه تكبر ولا تجبر ، ولا إرادة فساد فى الأرض ولا علو ؛ إنك سميع قريب مجيب .

الدعاء الثاني : المسمى بدعاء الإمداد بالقوة . وهو : يارب ، ياقدير . يا ألله ، ياقوى ، يا متين (٣) أسألك بقدرتك وبقوتك : أن تمدني في جميع قواي وجوارحي ، الظاهرة والباطنة ، بقدرة من قدرتك ، وقوة من قوتك ، أقدر بها وأقوى على القيام بما كلفتني ، من حقوق ربوبيتك ، وندبتني إليه منها ، فيما بيني وبينك ، وفيما بيني وبين خلقك ، وعلى التمتع بكل ماخولتني من نعمك ، التي أبحتها لي في دينك . ويكون ذلك على أصلح الوجوه وأعدلها ، وأحسنها وأفضلها ؛ مصحوبا بالعافية والقبول، والرضى منك ، يا أرحم الراحمين .

الثالث : دعاء الحفظ : يا ألله ، يالطيف ، يا كافي ، يا حفيظ ، يا معين (٣) نسألك لطفا شاملا لجميع الحالات والحركات ، والسكنات والتقلبات ، وكفاية لجميع المهمات ، والملمات والأذيات ، وحفظا من جميع البليات ، والعاهات والآفات ، وإعانة على جميع الطاعات : المفروضات والمندوبات ، والمسارعة إلى الخيرات ، والجد في الأعمال الصالحات ، والقربات إليك ، يا عالم الخفيات ، وبارئ النسمات ، وإله من في الأرض والسموات ؛ يا أرحم الراحمين .

الدعاء الرابع : اللهم وفقني لطاعتك ، وأسألك ربي طريق مرضاتك ، واجعلني ممن يتقيك ويخشاك ، ويخافك ويرجوك ، ويستعين بك ، ويتوكل عليك .

اللهم احفظني في ديني ونفسي ، وأهلي وأولادي ومالي ، وجميع ما أعطيتني ، ووفقني لشكرك ، واجعلني في خفيّ لطفك ، وأسبل عليّ جميل سترك ، وارزقني العافية الكاملة الشاملة ؛ في الدين والدنيا والآخرة ، وتوفني على الإسلام ، في يسر ولطف ، كما تحبه وترضاه . آمين ، يارب العالمين .

اللهم اجعلني من عبادك المخلصين ، وحزبك المفلحين ، وتوفني مسلما ،

وألحقنى بالصالحين ، واغفر لى ولوالدىّ وجميـــع المؤمنين والمسلمين ؛ برحمتك يا أرحم الراحمين .

ومما كان يوصى به ، بعد كل فريضة : لا إلٰه إلا الله (٤٠ مرة) ألله ألله (٢١ مرة) .

وقال ـ رضى الله عنه ـ : فى بعض وصاياه : ومما نرتبه ونوصى به الأصحاب : أن يقول بعد كل مكتوبة : أستغفر الله العظيم الذى لا إلٰه إلا هو الحى القيوم ، وأتوب إليه (٢٥ مرة) سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم (٢٥ مرة) .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم (٢٥ مرة) أستغفر الله العظيم الذى لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم الحى القيوم الذى لا يموت ، وأتوب إليه رب اغفرلى (٢٥ مرة) بعد الصبح والعصر ـ يعنى الأخـــير ـ وفيه أثر ، وهو مشهور . ومن ذلك : جزى الله محمدا ﷺ عنا ما هو أهله (١٠) صباحا ومساء .

ومما كان ـ رضى الله عنه ـ يوصى بترتيبه ، ويقول : إنه لجلب الرزق : سبحان الله العظيم وبحمده (١٠٠) ولا حول ولا قوة إلا بالله (١٠٠) صباحا .

وكان من أذكاره بعد الصلوات : حسبى الله وكفى . سمع الله لمن دعا . ليس وراء الله منتهى . سبحان من لم يزل بى رحيما . (أربع مرات) بعد الصبح والعصر فقط . وبعد كل مكتوبة سورة الإخلاص (عشرا ، أو إحدى عشرة مرة) وهو من المأثور الصحيح .

وكان يقول عند المصافحة ـ بعد الصبح والعصر والجمعة ـ : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

حملنا هذا الدعاء ، يقرأ بعد سورة يس للعظمة . وهو هذا :

اللهم إنا نستحفظك ، ونستودعك أدياننا وأنفسنا ، وأهلنا وأيداننا وأموالنا ، وكل شيء أعطيتنا .

اللهم اجعلنا في كنفك وأمانك ، وعياذك من كل شيطان مريد ، وجبار عنيد ، وذي عين وذي بغي ، ومن شر كل ذي شر ؛ إنك على كل شيء قدير .

اللهم جمّلنا بالعافية وبالتقوى ، وبالاستقامة حقّقنا ، وأعذنا من موجبات الندامة ؛ إنك سميع الدعاء .

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ، وأولادنا ومشايخنا ، وإخواننا في الدين وأصحابنا ، ولمن أحبنا فيك ، ولمن أحسن إلينا ، والمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ؛ يا رب العالمين .

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ؛ وارزقنا كمال المتابعة له ، ظاهراً وباطنا ، في عافية وسلامة ؛ برحمتك يا أرحم الراحمين .

دعاء آخر ، يقرأ بعد آية الكرسي المحترمة :

قال - نفع الله به - : تقرأ الآية المذكورة أولاً بحضور وخشوع ، وتدبر وترتيل (٣) أو (٧) أو (١١) مرة ، أو على قدر فراغه وحضوره وخشوعه توجهه ويجعلها وردا عند المهمات . فإن فعل ذلك مع الإخلاص ، وقرأ هـذا الدعاء ، لا بد أن يحصل له شيء من بركاتها مجرب . وهو :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله . يا ألله ، يا حي يا قيوم ، يا ملك يا قدوس ، يا لطيف يا قاهر ، يا عليم يا محيط ، يا واسع ، يا حفيظ ، يا علي يا عظيم ، أسألك يا ألله يا رب أن تحيي قلبي وروحي ، بنور

معرفتك . وتحيي جسمي وجوارحي ، بنور عبادتك ، ولزوم طاعتك ، ودوام خدمتك ، وأن ترزقني حسن القيام بحقك ، وتملأ لدىّ من طيب رزقك ، وتشملني بخفىّ لطفك ورفقك ، وتملكني زمام نفسي ؛ حتى أقودها إلى ما فيه رضاك ، ونيل القرب منك . وطهرني من دنس المخالفات ، والغفلات والشهوات ، وآتني رحمة من عندك ، وعلمني من لدنك علما ، وهب لى حكمة وحكما ، وعافني من سخطك وغضبك ؛ وجميع أنواع بلائك ، واحفظني من شرار خلقك وشرورهم ، ومن الشرور كلها . ومن جميع البليات والمحن . وأعذني من مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن . واجعلني من الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، ولا بغيا ولا عنادا ، وهب لى فضلا عظيما ، وكفّر عني سيئاتي ، وأدخلني مدخلا كريما ، يا أرحم الراحمين (٣) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أملى هذا الدعاء يوم الاثنين ١٢ من جمادى الأولى سنة ١١٠٧ . وهذا دعاء له ، يقرأ بعد الفاتحة المكرمة ، بعد أن يقرأها العدد المذكور عن الإمام الغزالى ، بعد الصلوات الخمس ، بعد صلاة الصبح إحدى وعشرين ، وبعد الظهر اثنتين وعشرين ، وبعد العشاء عشرا ... فالجملة مائة . ويقول : الحمد لله رب العالمين ، حمدا يوافى نعمه ، ويكافئ مزيده .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى أهل بيته وصحبه وسلم .

اللهم إنى أسألك بحق الفاتحة المعظمة ، والسبع المثانى ، أن تفتح لنا بكل خير ، وأن تتفضل علينا بكل خير ، وأن تجعلنا من أهل الخير ، وأن تعاملنا معاملتك لأهل الخير ، وأن تحفظنا فى ديننا وأنفسنا ، وأولادنا وأهلينا ، وأصحابنا وأحبابنا ، من كل محنة وفتنة ، وبؤس وضير ؛ إنك ولىّ كل خير ، ومعطى لكل خير ، يا أرحم الراحمين (٣) .

وهذا دعاء له يقرأ بعد قراءة حزب السيفين المشهور ، أملاه ـ رضى الله عنه ـ بعد أذان الظهر ، وقبل الإقامة ، يوم الأربعاء ٢٨ من شعبان سنة ١١٢٧ وقال : لا نسمح بهذا الدعاء لكل أحد . وإذا قرأه صادق ، رأى النبي ﷺ يقظة . وهو هذا :

اللهم إنى أسألك بما أودعت هذا الدعاء المبارك ، من مخزون أنوارك ، ومكنون أسرارك ؛ أن تغمسنى فى بحر الجود والكرم ، وأن تملكنى زمام الفضل والنعم ؛ حتى تنقاد لى صعاب الأمور ، وتنكشف لى عجائب الملك والملكوت كل نور . وأسألك أن تصلى على عبدك ورسولك محمد ﷺ وأن تسخر لى هذا الدعاء والأسماء ، وأن تجمع شملى بنبيك محمد ﷺ وأن ترفعنى به من الملك إلى الملكوت ، ومن العزة إلى الجبروت ، وأحى برؤيته كمال جلالك ، واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما .

وكان ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ يقنت للنازلة بهذا الدعاء :

اللهم ارفع عنا القحط والغلاء ، والجور والفتن والوباء ؛ وسائر أنواع البلاء ، من بلادنا خاصة ، ومن بلاد المسلمين عامة .

اللهم ادفع عنا شر الطاغين والباغين ، والظالمين والمعتدين ، بما شئت ، وكيف شئت ، عاجلا غير آجل ، فى لطف وعافية . وصلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم .

ومن دعائه فى الاستسقاء :

اللهم يا واسع دعاء الداعين ، ويا مجيب المضطرين ، ويا مغيث المستغيثين ،

ومعطى السائلين ، أسألك أن تصلي وتسلم وتبارك على عبدك ورسولك ، وحبيبك وخليلك : محمد ﷺ سيد المرسلين ، وخاتم النبيين الذى أرسلته رحمة العالمين .

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ، ولا تجعلنا من القانطين .

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ، ولا تجعلنا من الآيسين .

اللهم اسقنا الرحمة والغيث ، ولا تأخذنا بالسنين .

اللهم اسقنا وأغثنا (٣) .

اللهم إنا نستغفرك ، إنك كنت غفارا ، فأرسل السماء علينا مدرارا .

اللهم ارفع عنا القحط والغلاء ، والجور والفتن والوباء ، وجميع أنواع البلاء ، من بلادنا خاصة ، وبلاد المسلمين وجهاتهم عامة ، يا أرحم الراحمين (٣) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

ومن دعائه :

اللهم وفقنا لما يرضيك عنا ، من الأقوال والأعمال . وخذ بنواصينا إلى الخيرات . وكن لنا بما كنت به لأوليائك فى جميع الحالات .

اللهم أصلح ولاتنا وقضاتنا ، وكل من وليته شيئاً من أمورنا وأمور المسلمين .

اللهم ارفع القحط والغلاء ، والجور والوباء ، وسائر أنواع البلاء .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا .

اللهم عزّز أقطارنا ، وأرخص أسعارنا ، واختم لنا بالحسنى ، فى لطف وعافية ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولمشايخنا ولإخواننا فى الدين ، ولكافة المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين (٣) .

ومما جمعه واستحسنه سيدنا الحبيب : عبد الله بن علوى الحداد ـ رضى الله عنه ـ أيضاً هذه الكيفيات، من الصلوات على خير البريات كل يوم وليلة إلا ليلة الجمعة ويومها . وهى سبع كيفيات ، كل واحدة ١١ مرة .

الأولى : اللهم صل على محمد وآل محمد . صلى الله على محمد وعلى آله ، وآجزه عنا ما هو أهله .

الثانية : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، عدد ما علمت ، وزنة ما علمت وملء ما علمت .

الثالثة : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، عدد الشفع والوتر ، وكلمات ربنا الطيبات ، المباركات التامات .

الرابعة : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد عدد كل ذرة ألف مرة .

الخامسة : اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد فى الأولين ، وصل على محمد ، وعلى آل محمد فى الآخرين ، وصل على محمد وعلى آل محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

السادسة : اللهم صل وسلم وبارك وكرّم على سيدنا ومولانا محمد ، السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى من خلقك ، ومن بقى ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية ولا انتهاء ولا أمد لها ، ولا انقضاء ، صلاتك التى صليت عليه ، صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، لا منتهى لها دون علمك ، وعلى آله وصحبه كذلك . والحمد لله على ذلك .

السابعة : اللهم صل على محمد صلاة تكون لك رضى ، ولحقه أداء . يكرر كل واحدة من الكيفيات الست الأول إحدى عشرة مرة ، والسابعة منها تكرر ثلاثا وثلاثين مرة . فيكون مجموع الكل تسعا وتسعين مرة .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ :

اللهم أنت الولى اللطيف بعبادك ، لك اللطف الخفى ، والستر الجميل ، لا تغير ما بنا من نعمة ولا تجللنا ملابس النقمة ، ولا تخلنا طرفة عين من حسن نظارك ، يا واسع الرحمة .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ، ونفع به ـ :

اللهم اجعلنا يا كريم بتذكيرك منتفعين . ولكتابك ورسولك متبعين ، وعلى طاعتك مجتمعين . وتوفنا يا رب مسلمين ؛ وألحقنا بالصالحين ، ووالدينا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ـ :

اللهم اهدنا ، وكن لنا يا ربنا وليا مرشدا إلى ما تحبه منا وترضاه عنا ، فقد فوضنا إليك أمرنا وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ـ أيضاً :

اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما . ونسألك اللطف والعافية والتوفيق للتمسك بكتابك والعلم به ، والفهم فيه ، والعمل بما أرشد إليه ، مع حسن الخاتمة ، وحسن العاقبة فى الأمور كلها ولأحبابنا والمسلمين .

ومن دعائه ـ رضى الله عنه ـ :

اللهم يا كريم نسألك أن تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول : لا إله إلا الله مخلصين ، ولوالدينا وأحبابنا والمسلمين . آمين .

ومما أمر به سيدنا عبد الله ، سيدى الوالد ـ رحمه الله ـ بأن يقول بعد تهجده :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر (مائة) سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم . أستغفر الله وأتوب إليه (٥٠) لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٥٠ مرة) لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير (٥٠) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٥٠) .

وأعطاه سبحة وأجازه ، فى هذه الأذكار . قال سيدنا عبد الله ـ رضى الله عنه ، ونفع به وبعلومه ـ : قوله : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » إلى آخرها ، تقرأ عند كل مهم ، من دفع أو جلب، ينكشف بإذن الله تعالى .

وأقل ما ينبغى أن يقرأ عند المهمات والملمات ، اثنتا عشرة مرة إلى أربعين .

ودعاء الكرب الذى رواه مسلم والبخارى :

لا إله إلا الله ، رب العرش العظيم . لا إله إلا الله ، رب العرش الكريم . لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش الكريم ، لذلك كذلك وكلمة ذى النون ـ عليه السلام ـ : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » كذلك .

ويقال : إن فى الاسم الأعظم ، ولإيلاف قريش (٤) أو (٧) أو (١١) مرة وحزب البحر الأعظم ، بعد صلاة العصر فى البر والبحر ، خصوصا إن حصل شيء من الحركات المخوفة ، أو لون المخشو منه انقطاع ، ولا يتقيد عند الشدائد ببعد العصر مجرب .

ويقال : إن فيه الاسم الأعظم (٣) والراتب الذى رتبناه لنا ولأصحابنا بعد العشاء معروف .

وينبغى أن يقرأ فى الاجتماع والانفراد حسب التيسير ؛ خصوصا للمنتسبين بشىء من الروابط المعروفة ، بين أهل الطريق . والله المستعان ، وعليه البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله — سبحانه وتعالى — لا إله إلا هو الحى القيوم ، العلى العظيم .

تم إملاؤه سنة ١١١٩ .

ومن دعائه — نفع الله به — :

اللهم أعنّى واهدنى ، ووفقنى لتهذيب أخلاق نفسى ، وتلطيف كثافاتها ، بالرياضة البالغة ، الماحقة للرعونات النفسية ، القاهرة للحظوظ الشهوانية ، المزينة بالحضور الدائم مع الله ، ووصف حسن الأدب على بساط الذلة والانكسار ، والافتقار والاضطرار ، تحقيقا للعبودية ، ووفاء بحق الربوبية ؛ إنك على كل شىء قدير .

ومن دعائه — رضى الله عنه — :

اللهم أخرج من قلبى كل قدر للدنيا ، وكل محل للخلق ، يميل بى إلى معصيتك ، أو يشغلنى عن طاعتك ، أو يحول بينى وبين عبادتك الخالصة ، ومحبتك الخاصة .

ومما أملاه سيدنا ومولانا : عبد الله بن علوى الحداد — قدس الله سره ، ورضى عنه ، ونفع به — على بعض السادة ، آل أبى علوى — نفع الله بهم — يوم الأربعاء ، آخر المحرم ، أو فاتحة صفر الخير سنة ١١٢١ ويكون — إن شاء الله —

ختام هذه الخاتمة لهذا الباب . وهو باب أذكاره وأدعيته وأوراده . وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلام على رسول الله ﷺ .

من الأوراد المأثورات : قراءة قل هو الله أحد (١١) بعد كل مكتوبة .
أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (١٠) صباحا ومساء .

بسم الله الرحمن الرحيم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
كذلك جزى الله عنا محمدا ﷺ ما هو أهله . كذلك أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم الذى لا يموت وأتوب إليه . رب اغفر لى (٢٥) مرة صباحا ومساء . وإن قرأت الإخلاص بعد كل مكتوبة (٢٥) فذلك حسن مبارك ، فيه الخير الكثير والبركات . وذلك سوى الشر المقدم ذكرها ، وترتيب اسمه اللطيف (١٢٩) إن تيسر ، بعد كل فريضة .

ثم يقول بعده : يا لطيفا بخلقه ، يا عليما بخلقه ، يا خبيرا بخلقه ، الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير . ومن الصلاة على رسول الله ﷺ (٥٠) بعد كل مكتوبة إن تيسر ، وإلا فصباحا ومساء .

وإن زاد على هذا العدد فى يوم الجمعة إلى نحو (٣٠٠) فى يومها . ومثل ذلك فى ليلها ، كاف ذلك من الفضل ، والفوائد والعوائد الحسنة ، والحفظ من الآفات والعوائق والبليات . وكذا ترتيب آية الكرسى صباحا ومساء (٢١) .

وإن تيسر للإنسان المتفرغ أن يقرأها بعد كل مكتوبة (٢١) كان فيها من الجلب للخيرات ، والدفع للمضرات . فضلا عن ذلك من أن يخطر فى بال الإنسان . وذلك كله مع الترتيل ، وترك العجلة ، وتدبر المعانى والإخلاص لله تعالى . ويسر

بذلك ـ إن شاء ـ ويجهر لطيفا . والسر فى حسن النية ، وإرادة وجه الله والدار الآخرة ، وعدم التصنع والمراءاة للمخلوقين ؛ فإنما الأمر كله لله ، ونواصى العباد بيده ، وخزائن السموات والأرض كلها كما قال تعالى : « ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

وأما كثرة الأوراد ، مع العجلة والغفلة ، وقلة الحضور مع الله تعالى ، فنفعها قليل . وليست تخلو من نفع ونفع ـ إن شاء الله ـ بفضل الله العظيم ، وبركة رسوله الكريم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام .

والورد الذى ينبغى للإنسان أن يلازمه هو قول : لا إله إلا الله ، ثم الاستغفار والصلاة على النبى ﷺ والحمد لله رب العالمين . اهـ من إملاء الفقير عبد الله بن علوى ، لطف الله به ، وعفا عنه ، وعن سلفه .

وبتمام هذه الوصية النافعة الجامعة ، يتم الكلام فى هذا الباب .

ومما استحسنه سيدنا عبد الله بن علوى ـ نفع الله به ـ : أن يقول الانسان قبل الصلاة على النبى ﷺ مما نقلته عن ابنه السيد الجليل سالم ، مما أملاه عليه ـ رضى الله عنه ـ : اللهم إنى نويت بالصلاة على النبى : امتثالا لأمرك ، وتصديقا لكتابك ، واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ محبة فيه ، وشوقا وتعظيما لحقه ، وشرفا له ، وكونه أهلا لذلك ، فاتقبلها منى بفضلك وإحسانك ، وأزل حجاب الغفلة عن قلبى ، واجعلنى من عبادك الصالحين . اللهم زده شرفا على شرفه الذى أوليته ،

وعزاً على عزه الذى أعطيته ، وأعلِ مقامه فى مقامات المرسلين ، ودرجته فى درجات النبيين . وأسألك رضاك والجنة ، يارب العالمين ، مع العافية فى الدين والدنيا والآخرة ، والموت على الكتاب والسنة والجماعة ، وكلمة الشهادة من غير تبديل وتغيير . واغفرلى ما أرتكبه ، بفضلك وإحسانك على ؛ إنك أنت التواب الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الباب الثامن

في ذكر شيء من المدائح للمنظومة فيه ، من السادة الأعيان ، وغيرهم من الفضلاء والأدباء .

وخاتمة هذا الباب ، في المراثي المقولة فيه . ولنقتصر منها على عَشر مدائح ، ومن المراثي على اثنتين فقط ، إيثارا للاختصار . وقد رأيت في المجموع نحو ٤٠ قصيدة ، مابين مديحة ومرثية . فمما قاله ومدحه به شيخنا وقدوتنا الحبيب : أحمد ابن زين الحبشي ـ نفعنا الله بالجميع ـ آمين هذه المنظومة :

يا من بهم هام الفؤاد صبابة	عطفا على دنف مريض مجرى
حشيتْ جوانحه عنا وتكلفا	من بعدكم عَدم التلى والكرى
بالله عودوا واسعدوا بوصالكم	لاتقنطوا من قد غدا متحيرا
آه على تلك المرابع والربى	من يم نجد هل لعين أن ترى
آه على غزلان حاجرٍ والنقا	شوقا لها شوقا عدمت تصبرا
أرجو وصالهم وكم من عاشق	وموانع لى باطنا وظواهرا
يا عُرب نجد رحمةً لمتيم	متعوق عنكم إليكم ناظرا
مه للتعذل وانطرح بفنائهم	خفف عليك وخل عنك الضجرا
واسأل بسيدنا الإمام غياثنا	شيخ الشيوخ المجتبى قطب الورى
غوث أغاث الله أمة النبي	بغياثه فهو الغياث بلا مرا
والزم ترى أقدامه تعطى المنى	وتخص بالأسرار فيمن قد سرى

وادلبه فى الفنى التى ما مثلها ... صارت به دلياء فى أعلى الذرى

أعنى به الحداد أعلى رتبة ... فى درجات الواصلين الكبرى

هراى نور قد تبدّى لأهله ... لكنه لذوى الاصابة لا يرى

الله أكبر نوره فى عبده ... يخفى على أهل القطيعة والفرا

يأباه أن يظهره لأهل العمى ... ويصد عنه الناكبون القهقرى

هذا الولى الحداد أوحد عصره ... أكرم به من سيد ساد الورى

فالاسم عبد الله مشهور به ... ومن التحقق بالعبودة أشهرا

خدم الذل بكل أحوال له ... عن شاركم سامى قد قصرا

ما العبد عبد الله مجهولا كما ... منديد ليس الثريا كالثرى

هذا فخار الفخر فى أفق العلا ... عول عليه وخلّ من ألوى ورا

يا سعد من يلزم فِنا أعتابه ... يمسك بعروته الوثيقة فى العرى

يشد به أيدى الظانين مشاهدا ... نور الخصوص ظاهرا لا يستترى

يسقيه ألبان الحقيقة حالبا ... عن ثدى أسرار الشريعة ظاهرا

انه يبقى البرية سيدا ... أحيى به من دينه كم داثرا

أحيى به الحى قلوبا ميتة ... قامت به أصلا وآتت ثمرا

ومحمدى هدى وطريق ... بتحقيق ومحمدى عنصرا

ومؤيد بالقدس فى نطق له ... عنه المعارف والحقائق تمطرا

مبذلة فى أهلها باذل الحياة ... مصونة عن ذى الجهالة والمرا

إن تلقه تلق الفقيه محمدا ... ومحمد الغزالى المشتهرا

والشيخ سقاف العلا والمجتبى ... العيدروس القطب سرا قد سرى

لا غرو أن يجمع كُلاًّ واحد ... فالسر فرد والتكثر مظهرا

يا طالبا صيد السلوك إرادة   فالصيد كل الصيد فى جوف الفرا
ثم الصلاة مع السلام مضاعفا   على الذى وسع الجميع بفضله واعتمرا
خير الأنام محمد وإمامهم   خيرة رب الخلق ممن قد برا
قلب الوجود ونور أعيان عينه   فى كل شىء فهو فى أعلى الذرا
ما صفّت الأقدام فى غسق الدجى   أو قانت ترك المضاجع والكرى
والآل والأصحاب أعلام الهدى   والتابعين لهم وما برقٌ سرى

وهذه القصيدة للسيد الجليل : جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بافقيه علوى ، يمتدح بها سيدنا الشيخ عبدالله ، وظن بعض الناس أنها المحب الشيخ أحمد الحلى. فقال سيدنا الشيخ عبد الله : إنها للمذكور . وعدد أبياتها ثلاثة وأربعون بيتا . توفى ناظمها وسنّه إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة ــ رحمه الله ــ وهى هذه :

ما بين بانات العقيق وحاجر   ظل المتيم كالظُّبَيِّ الحائر
بدا الغرام به إذ شبّ فكأنّ   أعطافه غصن بدا بخطائر
يرمى بسهم من فواتر لحظه   هدف القلوب وما له من ناظر
كل الأسود إذا سطا تصبو له   بتخشُّع وتخضُّع وتصاغر
ماقد خلعت عذار عذرى فى الهوى   إن كان إلحاح العذول بعاذر
يا عُذّلى نفسى الفداء لمن به   أضحت دموعى مثل سح المطر
لا غرو إن قرحت جفونى بعده   وبكت عليه دما كرام نواظرى
أوان لحى جسمى التحرل أوحل فى   ذهنى الذهول وغبت فيه سائرى
راودت قلبى فى هواه على الذى   يرضى به فأجاب لست بصابر
بالله يا من شغفت بحبه   وعشقت هل أنت يوما زائرى

هل أنت مدرك مهجة ذابت على ... جمر الغضا وقريح طرف ساهر
هيهات من سمع العذول وما به ... أضحى يشنع لا يرق لعاذر
جرعتنى من كأس بعدك علقما ... مر المذاق لا يساغ لكافر
لكننى قد لذت بالحرم الذى ... من دونه يا رب طرف حاسر
وشددت كف يدى بعروته التى ... لا يخشى من نالها من ضائر
من سار فى كل البلاد ثناؤه ... وبدت عجائب وصفه للناظر
قرم القروم خليفة القوم الذى ... منه العلوم تفجرت كزواخر
قطب البواطن والظواهر والذى ... يلجا إليه لكل خطب ثائر
ذاك ابن علوى علت له مناقب ... فوق الثريا والسها والزاهر
حداد عبد الله قيدوم السرى ... نحو المهيمن ذى الجلال القادر
غوث الأنام وغيثهم ومغيثهم ... كهف اليتيم مع العديم القاصر
ملك القلوب له الملاك جميعها ... خدم على أبوابه وستائر
شمس الهدى بحر الندى أنا المدى ... سلم العدا يسطو بأبيض باتر
ومنفذ التصريف فى كل السوا ... وموطد الأركان بين عشائر
خضعت جميع الأوليا لمقامه ... فهو الرئيس لدى العليم الغافر
ورث الفتوة والمروءة والسخا ... من كابر عن كابر عن كابر
هو نائب عن جده بدر الدجى ... سر الوجود حبيب رب قادر
وإذا الرجال تخاوضت بحديثها ... ألفيته بصولة ونوامر
فتثور منه هوامع العلم الذى ... يجلى الصدا ويريح كم من خاطر
كم شبهة جلا وكم من محنة ... أولى وكم نقى عيون بصائر
أعجوبة فى وقته أطروفة ... فى سمته مثل النسيم السائر

لايستطيب جليسه من بعده ... أحدا ولا يصغى لغير غائر

فاصرخ وقل : يا سيدى يا عدتى ... يا ملجئى فى باطن وظواهر

يا عيدروسى المقام ومن هو البـ ... ـدر التمام منير كل دياجر

يا صاحب الباع الوسيع ومن له ... قدر رفيع فاق كل معاصر

أدرك عُبيدا غارقا فى ذنبه ... يرجو الخلاص بكم ونيل بشائر

إن لم تداركه العناية منكمُ ... وتحوطه من كل أمر ذاعر

فمن الذى يرجو إليه سواكمُ ... ومن الذى يُدعى لدفع ضرائر

والحمد لله الذى قد خصنا ... بكم وأعطانا عظيم مفاخر

الله ينفعنا بكم ويزيدكم ... عزا على رغم الحسود الفاجر

لازلتمُ فى رفعة ومكانة ... فى هذه الدنيا ويوم الآخر

ثم الصلاة على النبى وآله ... مع صحبه بأصائل وبواكر

زنة الجبار مع الغفار وعدها ... وكذا السلام بأول وآخر

وامتدحه الشيخ الأجل ، العلامة المحب : أحمد بن القاسم الخليلى ، صاحب جدة ، بهذه القصيدة ، وسماها بشرى المانى بنيل الأمانى . عددها ثلاثة وأربعون بيتا . توفى ناظمها ـ رحمه الله ـ ببندر جدة ، وهى هذه :

قف بالمطىّ على الحما يا حادى ... واقرا السلام أُهيل ذاك الوادى

وانشد فؤادا فيه قد أضللتُه ... يوم النوى إنى بغير فؤاد

واسأل ـ فديتك ـ عنه بين خيامهم ... ورحالهم وموارد الرُّوَّاد

عهدى به يوم الوداع وبعده ... لم ألقه فأنا عليه أنادى

وأظنه ما حال عن ناديهمُ ... وأطول أشواقى لذاك النادى

فإذا ظفرت به فبث صبابتی بتلطف وتولّهٍ وطول سهاد
واحذر تطيل عليه فهو من الضنى لم يبق منه غير شخص باد
فعسى يحن لى ويمنّ برجعة كى أشتفى منه بذكر سعاد
هيهات أن يصغى لقولك إنه فى شاغل عن ناشد ومناد
لله أيام صبح آنسنا حيث الزمان أعان بالإسعاد
وسعاد تسعد دائماً بوصالها والوقت وقتى والبلاد بلادى
وغصون أفراحى تميل من الصبا تيها وقمرى التشبيه شاد
فمتى يعود كما عهدت وينقضى عمر الضنا والبؤس والأنكاد
إنى لأرجو عودها وتخلصى بالقطب عبد الله الحداد
السيد العلوى من سارت له فى الخافقين مناقب وأيادى
العالم النحرير والعلم الذى لمعالم الدين المعظم هادى
بحر خضم ماله من ساحل متلاطم بعلوم فتح جواد
ذا الكوكب الوقاد فاطلب عنده الا أمداد يا من رام للإرشاد
وسراجه الوهاج فى منهاجه ونهاية المحتاج للإرفاد
مغنى المريد بتحفة من نفحة وبمنحة من لمحة ومراد
هذا هو الليث المليث لمجدب هذا هو الليث المصور العادى
هذا هو الكنز العظيم فلا تحل عن بابه المفتوح للقصاد
فهناك ينجح مطلب وهناك بغـ ـى مآرب وهناك يروى الصادى
يا أيها المسولى الذى أخباره رويت لنا مرفوعة الإسناد
حب لكم عندى تزايد فيضه فأفاض بالإنشاء والإنشاد

لولاكمُ ما شب جمر قريحتي   فله حقوب وهو في إخماد

لولاكمُ ماكان ذهني محكما   وزن القريض ولا قدحتُ زنادي

عرضتْ عوارض كاد منها عارضي   يبيضّ تبدل مغنىً وقت سواد

ووهَى بها جلدي وما أنا بالذي   يستعظم الأزمات يوم جِلادي

لكنها كثرت عليّ وأثخنت   في جرحها بمرائر وصعاد

فمليك عبد الله فَلَّ جيوشها   وشبا مواضيها وحل قيادي

خذها على عجل أتت ما زانها   حلل البديع لقلة استعداد

مشتاقة للقائك تسرع في السرى   جاءتك وهي خلية الأكباد

قطعت إليك مهامهاً ومفاوزاً   وخشية الإغوار والإنجاد

وتجشمت حول البحار لسراحة   من راحة تهمي كسحب غواد

فاعطف عليها بالقبول فإنها   من مخلص فيكم حليف وداد

مغرى بأولاد النبي وحبهم   إرثاً عن الآباء والأجداد

فهواكمُ يا أهل بيت المصطفى   وولاكمُ هو طارفي وتِلادي

هو عدتي هو عمدتي في هذه الـ   دنيا وفي قبري ويوم معاد

فانظر إلى دنفٍ عانته حالة   نوب له مازلن بالمرصاد

يرجوك في الدارين معتمداً له   يا ابن الرسول وأنت خير عماد

ثم الصلاة مع السلام على غيا   ث الخلق يوم العرض والإشهاد

والآل والصحب الكرام وآلهم   والتابعين لهم مدى الآباد

وله أيضاً هذه القصيـــدة ، مديحة فى سيدنا الشيخ عبد الله ـ نفع الله به ـ وعددها ثلاثة وأربعون بيتاً . وهى هذه :

سلوا عن دُمى ذى الندائر والخال فإنّ هواها أصل سقمى واعتلالى
وقولوا لها ذاك الفتى ذا ما به فإن أوسعت سمعا فبثوا لها حالى
ولا تكثروا فى القول عنها فإنها كثيرة إملال كثيرة إدلال
ولينوا لها مهما قست وتلطفوا بإملاء أقوالى لها وبأفعالى
فتهدى بها ترتاح عنـــد سماعها أحاديث أمثالى وأمثال أشكالى
بروحىَ أفديها وروحى ملكها ومن عجب أفدى وما أنا بالوالى
يهيم بها قلبى القرب والنـــوى فليس بلاه عن سواها ولا قالى
لها الله كم تسطو علىّ بهجرها ولم ترع ذاك العهد وللموثق الخالى
ليالى اللقا مرّت كأضغاث حالم ترى هل لها عود فقد أشغلت بالى
ليالىَ لا واش يرق ولا لنا رقيب ولا نخشى ملامة عذال
سقتها الغوادى إن ونا دمع مقلتى بكل ملثّ وابل القطر هطال
يمينا ما لذّ لى العيش بعـــدها
وما العيش فى الدنيا سوى عيشها الخالى
سأبذل جهـدى فى طلاب لقائها ولا أتوانى إنه المطلب الغالى
ولو أننى أسعى لأدنى معيشـــة كفانى ـ ولم أطلب ـ قليل من المال
ولكننى أسعى لمجـــد مؤثّل وقد يدرك المجدَ المؤثّل أمثالى
عسى بامتداحى للعفيف أبى الصفا حليف الوفا الحداد تنجح آمالى
شريف تسامى فى ذُرا المجد رفعة فمن مثـــله فى الفخر بالعم والخال
شريف زكا ذاتا ونفسا ومولدا وفى سند العليـــا له السند العالى

شريف له في الفضل باع مطول ... يقصّر عن إدراكها كل مفضال

أبان طريق القوم بعد دروسها ... وشيدها بالقول والفعل والحال

وعمر منها ما عفا من ربوعها ... فها هي لا تخفى على كل سآل

أغاث به الله المهيمن خلقه ... فحلّ لهم لما أتى كل إشكال

وفصّل ما قد كان للناس مجملا ... وما كل داع حاز تفصيل إجمال

عليك به إن كنت تطلب مرشدا ... وحط على أبوابه كل أثقال

ولازمه تظفر بالأماني جميعها ... وتحظى بما أملت من غير إمهال

فيا ابن رسول الله دعوة مخلص ... مضى عمره في اللهو والقيل والقال

له عمل لا يُرتضى وسريرة ... تشابه ما يبديه من سوء أعمال

فخذ بيدي وارع ثنائي لأنني ... معاقٌ من اللأواء منتظم الحال

وفي النفس حاجات ولست بحجبها ... قديما وهذا الجسم من فقدها بالي

مطالب قد عزت وشط منالها ... وما أنا عنها بالصبور ولا السالي

يلومونني فيها ولست بسامع ... وإني بها عنهم شغلت بها إشغالي

فسل لي يا ابن طه قضاها فإنها ... هي السؤل أن تحرزنها قرب بابي

خذوها عروسا من ذخائر فكره ... عزيز عليها أن تسام بإذلال

كريمة أصل قد أتت مستغيثة ... فهل من قبول تستفيد وإقبال

بثثت لدى عليك يا ابن محمد ... شئوني وأشجاني وتلوين أحوالي

وصرف زماني في الذي لا يفيدني ... وكثرة تضييع الحقوق وإخلالي

وشدة إفلاسي عن الخير والتقى ... وإملاق كفي وافتقاري وإقلالي

وتعسير مطلوبي الذي لم أناله ... وتحصيل إفلاسي وتشمير أذيالي

فعطفا على من قام يدعوك عاجلا ... فخير العطايا ما يكون بإعجال

وكن عونه فى نيل ما هو آمل ... فذلك حاشا أن يجيب بإمهال
بنيت لنا حصنا حصينا وموئلا ... مدى الدهر فى عز منيع وإجلال
وصل إلهى ما تغنت حمامة ... على خير من قد خص قدما بإرسال
وسلم سلاما عليه مضاعفا ... كذا صحبة الغر الكرام مع الآل

وامتدحه القاضى العلامة الأديب على بن عبد الرحيم بن قاضى با كثير، بهذه القصيدة . وعدد أبياتها ثلاثة وخمسون بيتا . توفى ناظمها ـ رحمه الله ـ ببندر الشحر مسافراً إلى الحج . وهى هذه :

حمى الربيع منيسار فأنى نزوره ... وضاءت به شمس فنارت بدوره
فيا راقبى قرت عيونك فاسترح ... ويا ناظرى هذا الحبيب ونوره
ويا قلب ما هذا تريد أما ترى ... حبيبك لا يخفى عليك ظهوره
وحسبك من وصل الأحبة أن ترى ... وهل غاب من عينيك إلا نظيره
وهل هو إلا ما تجلى فيك لا سوى ... فسيان مع ذا غيبه وحضوره
متى غاب عن عينيك إن كنت صادقا ... وأنت له كرسيه وسريره
فقلب توليه الأحبة بالرضى ... محال عليه مس شىء يضيره
أقول لنفسى ذاق للنفس مشرب ... على غير هذا الوجه كان يديره
بكأس من الجثمان سمع وناظر ... ولمس وشم ثم منها حبوره
ونير التدانى ليس يقضى ببعده ... مناه وعند القرب تمت أموره
فيا لائمى مهما تعطشت للقا ... بجسمى فذا عذرى وأنت خبيره
ولا عوض لى عن وصال أحبتى ... سوى نظرة من سيد لاح نوره
من السادة الغر الكرام ممجد ... رقا ذروة العلياء عديم نظيره

إمام الهدى من أىّ وجه أتيته ... وفى كل فن كان منه بصيره
ولى بأنوار الجلالة والبها ... تحلى عظيم القدر حقا خطيره
تجمّع فيه الفضل من كل وجهة ... وكان إليه وروده وصدوره
تقاصر عن غايته كل طالب ... لما وبدا للناس عنها قصوره
فطوبى لمن فى قلبه رأفة به ... ومن حمه فى أىّ وقت سروره
هو السيد الشريف السامى الذى سما ... على الشهب أو البدر الذى تم نوره
أبو علوى وابنه شمس عصره ... يتيمة عقد والشيوخ شذوره
عفيف الدُّنا والدين من جلّ وصفه ... فأعجز وصف الواصفين يسيره
هو الصيقل المجلى الجلا بتذكير وعظه ... لكل فؤاد قد توالت كدوره
طبيب القلوب المعضلات بدائها ... بأدواء سر لم يركب دروره
وكاشف ما أعيى القلوبَ بعلمه ... وتحقيقه فى العلم طام بحوره
هو الخضمُّ الزخار علما وجوده ... يهش له أثرى ويغنى فقيره
يهون له المال زهدا سجية ... فسيان منه نزره وكثيره
تنزه عن دنياهم سامحا بها ... ولم يبغ من زهرائها ما يضيره
هو القانت الأواه خوفا لربهٌ ... وفى قربه آصاله وبكوره
وتحت جناح الليل يا رب خلوة ... يضىء بها تحت الحنادس نوره
وكأس شهود قد تروى بصفرها ... وأوراد حال فيه تم حبوره
وعذب مناجاة تستيها هنيئا ... بأحسن وجه قد سقاه مديره
بنفسى شريف ذاك جامع حضرة ... ومجموع فضل محض نور سطورُه
إمام مرشد مرب رب رأفة ... عطوف على النائى ومن جار يزوره

خلائقه محمودة وصفاته بسر وإعلان روى ذا خبيره
أقر له بالفضل دانٍ وشاسع وذلك حق لا يقوم نكوره
ولو رام أن يسعى لأدنى كماله سواد لأعيى واستبان قصوره
فيا أيها الأستاذ يا شيخ الذرى إليك انتمى واهى الجناح كسيره
ضعف أيادٍ واهى القدر مقعد بنقصانه فى داره لا تحيره
رهين عيوب لا تعد لكثرة وموثق ذنب ذا وصوف أسيره
رى كل مرمى يبتغى سُبْل قربه فآن إليه الطرف وهو حسيره
ولكن بحمد الله حانت له التفا تة نحو بدر طبق الأرضَ نوره
أضاء سدوف الليل فانساق نحوه مشايخ يبغون الهدى وتزوره
عشوت إلى ذاك الضياء للمنى أنال قربا إنى إذاً لشكوره
فهب يا ابن علوى فقيرك نفحة فذلك أن يعطى ويرضى فقيره
وإنى أسير النقص للفضل مرتج ومثلك من يرجو الفكاك أسيره
وعن شرح حالى أختصر القول وانثنى
ذراعى وإن أبسطه مدت بحوره
وجلة قصدى نظرة علوية يخص بها قلبى فتصفو كدوره
فأنت لها حقا فقل قد منحتها فذاك بتحقيق النجاح بشيره
ولم لا ومن بيت النبوة أشرقت لمجدك أنوار أضاءت بدوره
وجاهك من فضل النبوة مسبغ وأنت عظيم الصيت حقا شهيره
وصل على المختار ربى وآله وسلم والأصحاب ما دام نوره

وهذه أيضاً له ـ رحمه الله ـ فيه . وعددها أربعة وخمسون بيتاً :

يا ريم وادسة للوصل لم ترُم ... ولم على الصد والهجر إن لم ترم

ولِم تركت الوفا والعهد معتذرا ... والُحر من شأنه الإيفاء للذمم

نسيت عيش الصفا والأنس فى نزه ... منزه عن مشين فيه أو إثم

والعمر غض وأفنان اللذاذ به ... والواش لاهٍ وعن ذاك الرقيب عمى

والحاسدون غفول والعذول سها ... والوقت صاف فلم تسأم ولم تنم

ونحن فى حالة السراء من نسم ... كما نحب ولِم هذاك لم يدم

فعد لنا يا رعاك الله عن رغب ... لعل عهداً مضى يُعتاض عن أمم

تدار فينا كئوس الصفو مترعة ... من غير بأس ولا إثم ولا وَهَم

كما عهدنا ويصفو العيش عن كدر ... بلا حذار ولا ريب ولا سأم

فإن أبى الدهر إلا ما نراه ... حُب الحبيب لعمرى أكبر النعم

فاعكف عليه ففيه عن سواه غنى ... ولا تعر غيره طرفاً ولا ترم

ولازم الباب واقرع قرع مفتقر ... واصبر ففى الصبر مرقاة إلى القمم

وانظر معالم من يهدى إليه فكم ... هادٍ إلى الله مثل النار فى العلم

كمثل شيخى ملاذى عمدتى سندى ... السَّيد السند الهادى لكل عمى

العلَم الفرد السامى أبى النجبا ... الطيبين عظيم الشان والشيم

بدر منير بلى شمس وأين لها ... ما قد حواه من الأوصاف والحِكم

هو الشريف العفيف الحبر من شهدت ... له جميع بحور الفضل بالكرم

سارت به الركب فى الآفاق معلنة ... سير النجوم بأرض العُرب والعجم

وطبّق الأرض بالذكر الجميل ولم ... يشهر بذاك ولم يطلب ولم يرُم

بل أظهر الله منه الشمس طالعة ... على الأنام وأعلاه على القمم

وخصه بالمزايا الجامعات فلم يدانه فى العلى ماش على قدم
إرثا وكسبا بأمداد له سبقت به النهاية من مولاه فى القدم
فضلا من الله يخصّص من يشاء حباه من أوفر الإعطاء والقسم
ما زال يدأب فى الأعمال متبعا لكل حبر عليم كامل الشيم
حتى رقى الرتب العليا التى عجزت عن نيلها الناس فاستعلى على النجم
وبالتواضع والإغضاء كان له قدر رفيع فلم يشمخ على إرم
والحلم والصفح وصفان اعتلى بهما فلم يطلب ولم يعتب ولم يذم
والعلم قد زانه حقا وكان لمن يبغى الهدى علما ناهيك من علم
لله من سيد أربت فضله على سواه ولم يظلم على الظلم
مطهر عن سمات الذم متصف بالمكرمات وبالأسرار متسم
تراه كالشمس لا تدرى حقيقتها والكل من نورها ناج من الظلم
بشخصه يذكر الرائى الإله لما يرى عليه من الإجلال والوسم
بعلمه يهتدى السارى إذا ابست ما لم اتق فى حين إلى القسم
حبر وحيد فريد لا نظير له كأنه فى الهدى نار على علم
أعيت فضائله الشعراء مادحه عما يروم وأعيت جامع الكلم
وكيف يبغى لوصف البحر واصفه هذا لعمرك هذا غير ملتئم
كم ذا أشير وكم أومى إليه وقد بان النهار ولم أكنى ولم أسم
وإن أصرح به فهو الذى شهرت أوصافه فهو لم يجهله غير عمى
هو ابن علوى عبد الله يشهر بالـ حداد غوث الورى فى البؤس والأزم
سلالة السادة الأخيار واسطة فى السّمط جوهرة تعلو عن القيم
وقد تحديت من نأوا فقلت له هات النظير وبالبرهان ذا أوله

فقلت : حسبى إذاً فالقول متسع ... يعى المقال ويعى ألسن العلم
ولى به حُسن ظن قد رجوت به ... نفعـــا عظيما عميا غير منصرم
يكون لى فى الحياتين الجميع به ... سعادة تجمع الآراب عن أمم
ولمحة من ضياه ضوء يضىء به ... من ضوء ضوء ضياء منه منتصم
فهو الخليق بأمداد الربيـــع ... ومن ينمو إليه ومن يرجوه بالنتم
وقطارة تـكفى من حياه بهـا ... من كل قاض ومن دان وملتزم
لازال فينا هُدًى للمستضىء به ... ممتعـــا بعظيم المن والنعم
ومن بنيه هداة عنـــه آثرة ... نفائس العلم والآداب والحكم
ثم الصلاة مع التسليم دائمة ... على النبى مع الأتباع كلهـم
مالاح نجم ولاح البرق فى سحب ... وناح وُرق وساح القطر بالديم

وامتدحه الشيخ الأديب الوجيه : عبد الرحمن بن أحمد باكثير الشحرى ، بهذه القصيدة . وعددها أربعون بيتا وهى :

يا رب يا باسط للخيرات والنعم ... وكاشف الضر والآفات والسقم
أدعوك رب بكل اسم دُعيت به ... وبالمبين والآيات والكلم
بأن توالىَ أضعافا مضاعفة ... من المواهب يا ذا الجود والكرم
لعبدك العابد الأوّاب قدوتنا ... وشيخنا فى الدنيا ولدين من قدم
بحر العلوم الذى فاضت عجائبه ... فدونهـا درر فى الحسن والقيم
دين الرسول الذى طابت موارده ... ولم يزل يرتقى العالى من القمم
ولم يدنسه ذو ســوء ولا خلل ... ولم يقذّره باغ غير محـــترم
تنفضّ من حوله الأعداء من رهب ... إذ لا جناح لهم يدعو إلى الرجم
لا زال يحيى شعار الدين مجتهدا ... من جدّ فيه ولم يغفل ولم ينم

طود من الحلم لا ترجرجه   عواصف تترك الأطواد كالعدم

يا من يؤمل فوزاً فى الحياة وفى   دار البقا أمَّ شيخ العُرب والعجم

الباهر الظاهر الكامل الشيم   الميرئ السقم العادل الحكم

الناظم الكلم من جوهر الحكم   أنوار عالمته فى الأفق والأكم

وهو الشهير ابن علوى الذى انتشرت   المنقذ الأمم من زلة القدم

القدوة العارف الحداد عُدتنا   وكهلنا الشيخ عبد الله ذو الهمم

تستنزل القطرَ فى الأقطار دعوته   إن أقبلت سنة شهبا على الأمم

بسره تكشف البلوى وإن عظمت   حتى تغادرها الألطاف كالحلم

أيامنا ولياليا به غرر   تحكى رياضا زهت بالوابل العمم

كأنما هى أعياد مجردة   طوبى لمغتنم فيها ومجتنم

إنا نهنى بعبد الله أنفسنا   إذ صار فينا كشمس فى دجى الظلم

تأتيه شرقا وغربا وهى شاسعة   طوائف الفضل فوق الأينق الرسم

وتقصد الشعرا بالمدح خدمته   فيدركون المنى بالشعر والخدم

يا قلب حسبك أن الدهر ذو عجب   وطيّه عبر فاحذره واتهم

وإن كبا بك يوما أو رُزئت به   أو خط منك فتيٌّ صادق القدم

تجد جناب ابن علوىٍّ لقاصده   حصنا حصينا منيعا غير منهدم

تنجى وصاياه من غى ومن زلل   ومن ضلال ومن لوم ومن كلم

له هبات توالت فى مواضعها   من غير منٍّ حكاها صاحب الديم

نواله فى ذوى الحاجات منقسم   وعزمه وعلاه غير منقسم

وإن يعدك فقدر قسمه فينا   ولا تقولن ليس الوعد كالقسم

يرعى الوفاء لأهل الدين قاطبة   كأنهم من ذويه أقرب الرحم

يا معدن الفضل والإحسان بابكمُ ... الصادق الود فيكم خير معتصم

فلاحظوني بما أرجوه من مدد ... وسامحوني في يسر وفي عدم

وأرشدوني إلى أمر أفوز به ... ثم احملوني لديكم أصغر الخدم

وأمّلوني بجود أستعد به ... لنائبات وإن جاءت ولم تدم

وقد عقدت لصدق الود في خلدي ... عقدا شديداً وثيقا غير منفصم

حبي لكم ما ثناني عنه ذو عَذَلٍ ... إن المحب عن العُذال في صمم

ثم الصلاة مع التسليم دائمة ... على عظيم المقام للفرد العلم

محمد المصطفى المختار سيدنا ... ماهبت الريح حول البيت والحرم

ومن أثناء قصيدة له أيضا، يمتدح بها سيدنا الحبيب ـ نفع الله به ـ وعددها ثلاثة وأربعون بيتا وهى هذه :

أعظم به شمس فضل أشرقت ... أنوارها وسمت بأوج سماء

فبهديه الدين القويم متوج ... بالعز في خلد من السراء

هنى به أهل الصلاح وبشروا ... كبشارة العلماء والخلفاء

وبه الشريعة أصبحت كخريدة ... حازت فخاراً هامة الجوزاء

من دونها الغيد الحسان تصاغرت ... وبها تزين مدائح الشعراء

طوبى لنا بدعائه وعلومه ... وبسره الشافى من الأدواء

ما زال مجاهدات ما لها ... حد وحسبك همة الكملاء

أحيي الظلام بنسكه وقيامه ... من بعد موت شاع في الأحياء

ياحسرة الشيطان من عزماته ... إذ ورثته أسى وطول بكاء

ونهاية المداح من أوصافه ... طرف وإن كانوا من البلغاء
من غاص يوما فى ثناه بفكره ... غرقت به الأفكار فى الإثناء
أنى يحيط الواصفون بفضله ... والقول متسع بـــلا إحصاء
فحكى لقول المادحين بأسره ... بل لا بأنملة من الدأماء
ياسالكا سبل الرشاد بعزمه ... مستمسكا بمناهج الصلحاء
إن شئت أن تحظى بأحسن مطلب ... متحليا بمناقب الكرماء
فعليك بالحداد عبد الله من ... تهدى إليه ركائب الفضلاء
ذاك ابن علوى عظيم الشان عبـ ... ـد الله مغنى السادة الكبراء
فى فضله ماشئت متسعا فقل ... من غـــير إيجاز ولا إستثناء
قــد يذهل المداحَ من أوصافه ... طرف وإن كانوا من الفصحاء
لازال فى كنف الإله وحرزه ... متأبدا فى سائر الأشيـــاء
يدعو الأنام إلى مراضى ربه ... ويصدهم عن موبقة الأهواء
ثم السلام عليكمُ مترددا ... متأرجا كالروضة الفيحـــاء

وامتدحه الشيخ الأديب صالح بن عبد الصمد باكثير ، بهذه القصيدة . وكانت آخر قصيدة لصالح المذكور .

وكان سبب نطقه بالشعر ، بإشارة من سيدى الشيخ عبد الله ــ نفع الله به ــ أنشأ قصيدة ، مدح النبى ﷺ وعرض بذكر سيدى ــ نفع الله به ــ وألبس سيدنا الشيخ عبد الله صالحا المذكور لباسا ، لما وقف عليها . عددها . ثلاثون بيتا وهى :

خيِّم بربيع العامرية وانزلِ ... فى سُوحها المأنوس قف لا ترحلِ

رِد ماءه العذب الشهي وروده ... وبظل بانات له فتظلل
حيّاه منهل الغمام وجاده ... هتان غيث صيّب ومجلل
فلكم به غيد حسان خرّد ... تختال فى تيه الشباب الأجمل
زانت به حلل القريض وقد غدت ... تزهو العقود متى تقلدت الحلى
سقيا لهاتيك الديار فكم بها ... يارب غانية وروض مخضل
وَرَعياً لأيام تقضّت لى بها ... فى صرف صفو فى الزمان الأول
لولا غوانيها وبهجة حسنها ... ما رق فى نظم القريض تغزلى
كلا ولا راقت لدىّ لحونه ... وأرقت من طربى بسجع البلبل
قسماً بها ما راق غير خلالها ... عندى ومدح أبى الحسين الأكمل
ذى المجد عبد الله من صدقت له ال ... عزمات حتى حل أعلى منزل
زاكى الشمائل وابن علوى ذى العلا ... أعنى به الحداد من لم يجهل
هو للفضائل والفواضل جامع ... فلذا دُعى بالفاضل المتفضل
شاد المعالى ساد كل مسوّد ... فليَهْنَ أهل زمانه الفوز الجلى
زان الوجود وجوده هو يمنه ... وأمانه من كل هول مذهل
للسالكين محجة بل سلم ... فلكم به من واصل متكمل
فتراه بالعلم اللدنى لم يزل ... يبدى العجائب عند حل المشكل
فشر المحاسن من ثناه مجددا ... وبغور مانَد شاع فاسأل واسأل
وبشرقها وبغربها ذكر له ... يحلو ويعذب سمعه مهما تُلِى
إكليل تاج للعبادة كلها ... أهل الحجين كنز كل مؤمل
أبدا لزائره يرى متبسما ... تهدى أسرّته سرور المقبل
سامت به النفس السما وبروجها ... حتى خضعت بتواضع وتذلل

إنى على أرباب القريض بمدحه قد حزت مفتخرا وذاك يحق لى
وعلى ابن أوس والصفى وجريرهم جرّرتُ ذيل ترفّعى وتجملى
لله ما أحلى وأشهى ذكره فلقد وردت بذاك أعذب منهل
وإليه بكر بنت فكر أهديت بالمدح صارت تحفة للتأمل
وجوائزى منه العناية والذى لصلاح شأن عاجل ومؤجل
لازال يبلغ ما يروم له الصفا أبدا يدوم ولم يشب بتحول
ويعيش فى روض الرضا متمتعا بمحمد المحمود أفضل مرسل
أزكى الصلاة مع السلام عليه ما قد لاح برق جُنح ليلٍ أليل

وهذه القصيدة قلتها مدحا فيه ـ رضى الله عنه ـ رجاء أن أنتظم فى سلك المداح له .

وكان ـ رضى الله عنه ـ إذا مدح يقبل المدح ، ولا يكرهه . وربما أجاز عليه ، اقتداء بسلفه الطاهرين ، كالحسين وزين العابدين ، مروءة وكرما . ويقول ذلك فى رسول الله ﷺ وألسنة الخلق أقلام الحق ، وقد أنطقهم الله . ومدح الصنعة مدح للصانع ـ تعالى ـ ولا ريب أنه ـ قدس الله سره ـ غائب عن شهود نفسه وماله ، وما منه بشهود ربه وفعله ـ تعالى .

والقصيدة عددها مائة بيت إلا بيتا، عدد أسماء الله الحسنى . أمرنى بإيرادها فى هذه المؤلف سيدى ومعتمدى شيخنا أحمد بن زين الحبشى ـ نفع الله به ـ وكذا أمرنى بإيراد المرثاة التى تأتى خاتمة للراثى فى خاتمة هذا الباب :

أبدورُ ليل أسفرت بدُجاه أم هل شموس أشرقت بضياء
أم وجه ذات الجمال أبلج نورها وبدت بوارق ثغرها بسناه

ما الشمس ما البدر المنير إذا بدا ... نور الجمال وبهجة الحسناء

كم بين مرشوق الأسنة والظبا ... أو بين نور الشمس والظلماء

أفدى غزالا حبها ووداداها ... سكن الحشا بل حل فى سوداء

فتكت بروحى بين خال المنحنى ... ورمت بأسهم لحظها ورناء

تسبى العقول بحسنها وجمالها ... وتصير الألباب كالأنواء

كل الجمال جمالها وكمالها ... كل الكمال ولات حين مراء

حسبى هواها والوقوف بحبها ... فهو المنى عندى وكل غناء

أستنشد الله النسيم إذا سرى ... هل يا نسيم مررت بالجرعاء

هل جزت وهنا يا نسيم بحى بهم ... هام الفؤاد صبابة وجواء

إن عدت يوما حيهم عنى وقل ... إنى ترحلت عنكم بعناء

وتوحش وتحزن وتندم ... وتوجع وتنهد وبكاء

يشجيه تغريد الحمائم فى الدجى ... وبكاؤها فى الليلة الليلاء

وإذا الصبا هبت تذكر بالصبا ... عهدا تقضى بالمنا بعناء

وإذا بريق بالغوير بدا له ... يبكى الأحبة بمقلة عبراء

وإذا حدا حاد بذكر المنحنى ... وعجز وبحزعها وخباء

وربوع نجد والعذيب وحاجر ... هاجت به الأشواق فى الأحشاء

وإذا تذكر أهل نجد والربا ... جاء شئون العين كالأنواء

يا عاذلى فى حب من أهواهم ... دعنى فلا أصغى أقول خناء

أتراك أسلو عن هوى من قد ربت ... وتجملت فى حبهم أهوائى

كلا معاذ الله أسلو من هوى ... من حبهم كالمن والسلواء

يا جيرة الشعب اليمانى عودة ... لمريض هجر مستهام ناء

يا قرب نجد عطفة لمتيم ... منتظر مترقب لعطاء
يا أهل ودى رحمة لعُبيدكم ... وعبيدكم فاحنوا له ببقاء
قد قلّ صبرى يا أحبةَ مهجتى ... قد دام هجرى فامنحوا بلقاء
قد عيل صبرى وانتفى عنى الكرى ... أرعى نجومى فى دجى الظلماء
إن دام صدّى وانتزاحى عنكمُ ... يا سادتى مالى وللإبقاء
رعيا لأوقات التدانى واللقا ... رعيا لها كم أسعفت بصفاء
رعيا لأوقات التمنى والمنى ... رعيا لها كم أسعدت بهناء
رعيا لأوقات تقضّى صفوها ... ومضى لطيف الحلم فى الإغفاء
تذكارها ما زال نصب سرائرى ... وأخبارها الأوراد فى الآناء
يا هل تُرى يا سعد دهرى عائداً ... بوصاله ولياله الغراء
وصفاؤه لى مورد وهناؤه ... لى مسعد وليس ثم تناء
يا قلب لا تجزع لما لاقيته ... أو نلته من وحشة وعناء
والجأ إلى ملك الملوك ولُذْ به ... فهو المرجّى عند كشف غطاء
متعوذاً متلوذاً مستعصما ... مستمسكا بالعروة الوثقاء
مستعطفا مستردفا مستنجدا ... متوسلا بالنعمة العظماء
شيخ الشيوخ القطب أستاذ الملا ... وإمامهم من غير ما أسواء
غوث العباد وغيثها ومغيثها ... حنداها فى الرتبة العلياء
عبد الله المشهور أوحد عصره ... وفريده فى السّر والنجواء
ذاك ابن علوىّ الفتى ليث الوغى ... قَرْم القروم الصِّيد فى الهيجاء
أسد الأسود الضاريات لمن به ... نادى ومن فى دهية دهياء
كم من صريخ ظل يهتف باسمه ... أمسى وقد عُوفى من البأساء

كم قد نجا بدعائه ذو كربة | وبلية وملمة ســـــوداء
إن شئت تعلم ذرة من وصفه | أو عشر عشر العشر فى الإحصاء
أنى أقوم بوصفه أو بعضه | أيكون نزف البحر بالإدلاء
فهو البحار الزاخرات بلا مرا | وهو الجبال المرسية الأرجاء
وهو الرياح الذاريات لرسلها | وهو الرمال المربية الثراء
وهو المزون الساكبات لوبلها | وهو العيون المجرية للماء
طود الشريعة من له فى حفظها | أقوى ذريعة حامل الأعباء
علم الطريقة نور عين أعيانها | وزعيمها القيدوم فى النقباء
بحر الحقيقة خضمها تيارها | شمس الخليقة صفوة النجباء
هو سيد ومؤيد ومسدد | ومجاهد ومشاهد ببقاء
متخشع متخضع متضرع | متورع فى جهره وخفاء
علم اليقين وعينه وبحقه | متحقق حقا بغير مراء
هو تائب هو راغب هو زاهد | هو صابر هو شاكر النعماء
هو مخلص هو زاهد متوكل | حب الإله مع الرضى بقضاء
داع إلى الرب العظيم بهمة | ونصيحة وعزيمة ووفاء
بر رحيم بالخلائق رحمة | فهم حليم حامل الأذواء
سرباله التقوى وشيمته الوفا | وشعـــاره ودثاره بحياء
فخرت به الأقطار حتما وازدهت | وتمايلت من وجدها وشجاء
دانت له غلب الرقاب وأذعنت | وتطأطأت وتقاعست بإماء
وتضاءلت وتصاغرت وتذللت | وتقهقر الرؤساء والقدماء
وأقرت الكبراء من أقرانه | وعنت له الرؤسا من الزعماء

وألقت إليه قيادها واستسلمت ... وتنسكبت من عجزها خجلاء

قد قال : إنى فى زمانى واحد ... قد خصنى ربى على نظرائى

إن يسبق لى فيه منازع ذبته ... ذوبان ملح طُرحت فى ماء

قد قال : قد أعطيت ما لم يُعطه ... أحد من الأسلاف والآباء

قد قال : إنى سابق فى أعصرى ... أُخرت للرحمة للإهداء

قد قال يوما حقيق فى قبضتى ... مَن فى تريم الروضة الفناء

قد قال حقا للثقاة بأننى ... موعود بالصديقية العظماء

قد قال : دكتنى محبة خالقى ... وتملكت منى جميع أجزائى

قد قال : إنى نسمة مكفورة ... لم يعرفوها غالب الأحياء

قد قال : إنى سيف حرب مُصْلَتٌ ... نحن الملوك لأرضها وسماء

ياشيخ عبدالله قطب الورى ... يا عدتى فى الدين والدنياء

يا نجل علوى وياسامى القرى ... ياملجئى فى شدة ورخاء

أنت المراد وأنت غاية مطلبى ... يا كل كل الكل فى الأشياء

أنت عيادى وإن عرانى نائب ... أنت ملاذى إن عدت أعداء

أنت غياثى إذا دُهيتُ بشدة ... يا معقلى من حائر الأسواء

قم بى فإنى واقف بك سيدى ... ومراقب لعطاياك السحاء

فاعطف علىّ وجُدْ علىّ بنظرة ... أشفى بها رقيقى ودوائى

ولمثل علىّ بهمة ... تنزاح عنى جملة الأدواء

وادرك بغوث عاجل ومؤجل ... فى الدنيا والدين والأخراء

هيا بغارة سيدى لنزيلكم ... وفقيركم جودوا له بقيراء

فقد كان بك حتى المسرة مخصبا ... وربوعه زهرا بجود حياء

قد كنت فينا برهة من وقتنا ... فدُعيت للتقريب والإدناء

قد كنت فينا ثاويا متوطنا ... فاخترت عنا أحسن المثواء

في مقعد الصدق حظيرة قدسه ... وجوار أحمد سيد الشفعاء

صلى عليه الله دأبا سرمدا ... والآل مع أصحابه الكملاء

والله يعين المهتدين بهديهم ... وللمقتدين الخيرة الفضلاء

ثم السلام عليهمُ متضاعف ... لا ينتهى بالعدّ والإحصاء

ما غنت الأطيار في جنح الدجى ... أو مايلت الاشجارَ ريحُ صَباء

أو ذرّ شرق أو تهلل بارق ... وانهل ودق مُزنة سجماء

أو غاديا باليعملات مهيا ... صوب النقا والحجر وثماء

والحمد لله الكريم ختامها ... بمجدد الآلاء والنعماء

أبياتها تسموق تعلو تسمة ... تعداد أسماء ربنا الحسناء

تمت وبالخير عمت

ذكر المراثي، ولنقتصر منها على قصيدتين، وإلا فهي كثيرة. وفيما نذكره — إن شاء الله — بركة وسلوة، وبلاغ وانتفاع. فأولهما وأحقهما بالبداءة قصيدة سيدنا ومولانا السيد الأكرم، الصدر العلم: علوى بن سيدنا عبد الله، التي يمدح بها والده ويرثيه، وتتلوها التي قيلت رثاء فيه. وكان إنشاء قصيدته لسيدى علوى في شهر رجب سنة ١١٣٣ — نفع الله بقائلها والمقولة فيه. وهي هذه:

أتُراني أسلو بعد فقد عمادي ... أو أهنى يوما عيشتي ورقادي

أم هل إِتُرى هل تنطفى لى غلتى ... في غابر الأوقات والآماد

أم ترتقى ياخير مصيبتي ... وترى كباءى يا زمام كبادي

وتقول إني بالعطاء عدمته ... وتودعا منه الندى والنادي

كيف السلوّ لباطنى أو ظاهرى　　بعد الدواهى الظاهرات جلادى
قد كانت الأحداث تطرق برهة　　وتكر أخرى بعدها بتماد
ومتى تصاب بنكبة وكريهة　　فى النفس والأعراض أو فى الزاد
تتلقها الأطواد أرباب النهى　　وكأنهم مطلوبها بعماد
والناس غُفل عن قراع خطبها　　عنها هم فى واد وهى بواد
أعمالهم سبب لحكم زوالها　　لركونهم وركوبهم لفساد
ورجال أهل الله تشفع فيهمُ　　عند المليك فيشفعوا بمراد
والكون معمور بهم وبسرهم　　وبنورهم فى الصدر والإيراد
لولاهمُ بين الأنام لما همّا　　حب الغمام وجاش بالإزباد
لولاهمُ بين الأنام لدكدكت　　غرر الجبال على جميع بلاد
لولاهمُ بين الأنام لما غدى　　يبقى من المعروف والإرفاد
حتى تفانوا كلهم وخلفهم　　فينا إمام العصر والإمداد
السيد الأوّاب قيدوم الشرى　　المقتفى لأولئك الأفراد
علم الشريعة والطريقة والهدى　　بحر الحقيقة نخبة الأمجاد
قرم القروم شهامةً وسماحةً　　كنز الأرامل زاهد الزهاد
إن عُدّ أهل العلم كان إمامهم　　أو عدّ أهل البذل كان البادى
مازال يرقى فى مقامات العلا　　حتى تقاصر عن مداه المنادى
حافلت شموس الأولين وآذنت　　نحو الغروب وشمسه فى الواد
لم يعقد الإجماع فى مُلك العلا　　والأرض من متحرك وجماد
إلا عليه بلا خلافِ مخالفٍ　　والشيخ عبد القادر البغدادى
سبطا رسول الله أصل كليهما　　ريحانة المختار من أولاد

بسقت فروعها بسوقا عاليا ... وتخصصا بالجمع والأفراد
أعني به شيخي إمامي قدوتي ... عبد الله المشهور بالحداد
متلق أسرار الأوائل كلهم ... بكمال تأهل مع استعداد
قبل الكمالات العظام ولم تحط ... بجهاده بل زمها بمساد
ويقول : يا هل من مريد فإنني ... لم أُزوَ بعد وما برحتُ بصاد
يا من تواضع تحت عتبة بابه ... كل الملوك وأذعنوا لقياد
يا من تضاءل في رحاب جنابه ... كم من عظيم كامل الإيراد
يا من تصاغر عن معارج قربه ... كل الدعاة بأوا باستمداد
يا من له في كل جيش راية ... يا من له في كل ملك ناد
يا من له في الخافقين معالم ... ومشاعر تربو على التعداد
يا من شهره الله شهرة مرسل ... في عالم الملكوت والأشهاد
يا صاحب الصديقية الكبرى ويا ... غوث الورى طرًا على استعداد
كم قد هدى الرحمن منهم أنفسا ... بجميل رشدك يا أرشد الرشاد
كم غافل أيقظته كم جاهل ... عرفته كم مائل قويته لسداد
لا زلت تدعوهم وتجمع شملهم ... حتى زكت منهم قلوب صواد
حضروا عليك شقيهم وسعيدهم ... بعثا أخيرا في الزمان العاد
أنت الحبيب في القلوب جميعها ... إذ صرت داعيها إلى الإسعاد
أنت المقدم والمعظم والذي ... خضعت له الأعناق كالأجياد
أنت الذي طابت خلالك كلها ... فلذا سميت كعبة القصاد
أنت الذي حمدت صفاتك كلها ... فكأنك المحمود في الميعاد
أنت المخصص بالخصائص كلها ... فكأنها كتبت عليك بصاد

أنت المبشّر والنذير فى الورَى أنت الشهيد على الأضداد

أنت الإمام الحق قولا واحداً لايمترى فيه سوى الحساد

ويشتهى فيك المديح لمادح أو ذاكر أو شاكر لأيساد

كلا ولو قدحتْ مجامع فكرهم ما قرض الشعراء للإنشاد

من أين يقدر أن يقوم ببعضها أحد ولو أورى بكل زناد

يا لائمى فيما أقول سفاهة أقصر رويدك واستمع إيرا ى

أرفيع عقل أم أنت شخص امرئ غمر وقلبك موصف ببلاد

انظر لما عم الأنام وطمهم وأصاره فى حيرة وفكاد

موت الإمام القطب سلطان الملا شمس الشموس وسيد الأسياد

العالم النحرير سبّاق الأُلى فضلا على الأعقاب والأحفاد

شيخ الشيوخ وخدن الجود الذى عم الأنام بنيله المواد

غوث البرية كلها وغياثها ومغيثها حقاً بلا ترداد

كانت به الأوقات عزا كلها وجزيل إنعامها علمها باد

كانت به الأيام صفوا كلها وزلال ماها طيب الميراد

كانت به الساعات سعدا كلها لا تخش معها غلبة الكياد

حتى أتاه رسول رب ماجد برسالة محتومة الإنفاد

يا أيها العبد الخلاصة عندنا وسفيرنا فى موطن الميلاد

أرحبْ لحضرتنا وقرب جوارنا وانزل بمنزل جدك الجواد

واعلم بأنك صفوتى وخليفتى فى عالم الأرواح والأجساد

لا تخش قاهر سطوتى وخذْلهُ فى كل من أدلى لكم بوداد

بل كل ما يرضيك عندى حاصل فالملك ملكى والبلاد بلادى

فاشفع بجاهك عند ربك واسع ‏ ‏ ‏ ‏ وتجدْ فيمن شئت من شهاد

فى كل أصناف الخلائق كلهم ‏ ‏ ‏ ‏ من سائر الثقلين والأجناد

آه على ذاك الحبيب المجتبى ‏ ‏ ‏ ‏ المنتقى من صفوة العباد

آه على ذاك الولى المقتدى ‏ ‏ ‏ ‏ بصفا زلال منازل الأطواد

آه على ذاك المفيف المرتوى ‏ ‏ ‏ ‏ من بحر فيض الوهب والإمداد

آه على ذاك الملاذ ومَن به ‏ ‏ ‏ ‏ عرفتْ طريق الحق للقصاد

آه على ذاك الإمام ومَن به الـ ‏ ‏ ‏ ‏ سيد بن اشقام فى غورها ونجاد

آه على الدرع الحصين لخائف ‏ ‏ ‏ ‏ آه على السيف الصقيل العادى

آه على درب الدروب ومَن له ‏ ‏ ‏ ‏ خضعت رقاب الكل باستعباد

آه على حبر العلوم جميعها ‏ ‏ ‏ ‏ وخزانة الأسرار والأوراد

آه على شيخ الزمان وعينه ‏ ‏ ‏ ‏ وجـواده فى المجلى والإرشاد

آه على قطب الدوائر والذى ‏ ‏ ‏ ‏ قـد خص بالمعراج والإصعاد

آه على من جـدّد الله به ‏ ‏ ‏ ‏ دين الحنيفة رأس قرن الحادى

آه عليك خليفة الرحمٰن فى ‏ ‏ ‏ ‏ كل السوا للمقت والإسعـاد

آه على المخصوص بالختم الذى ‏ ‏ ‏ ‏ فى صدره وهناك سعد باد

يهناك سر لم ينـله مخصص ‏ ‏ ‏ ‏ أبدا سوى المحمود والأستاد

فمؤخر كمقدم ومقـــدم ‏ ‏ ‏ ‏ كمعقب والشبـل كالآساد

يا للكمال نبــــوة ورسالة ‏ ‏ ‏ ‏ يا للفخار ورائة الأجـداد

يا من له عنت القلوب ومن به ‏ ‏ ‏ ‏ تُرْوَى الجدوب فى حضرها والباد

يا سيداً ساد الأنام بعلمـه ‏ ‏ ‏ ‏ وبحمله ورقيبه الشيــــاد

يا سيدا حاز الـكمال بأسره ‏ ‏ ‏ ‏ صفةً ووصفاً منـه كالجهاد

يا من به حُزْنا السيادة والعلا ... والاعتلا والاصطفا الآباد

يا من تودّع من خلافة مثله ... يمشى على البطحاء والفَدفاد

ما منك خُلْقٌ لا وجبار السما ... لَاهُمُّ إلا الهادِىُ المهتاد

كم نُعْمة ثلمت بموت إمامنا ... ما إن تساد ولا تُراد براد

فضيلته بك لا تقاس بغيرها ... أيقاس شمس الكون بالأوغاد

أبكى فراقك ما حييت وإن أمت ... لعظيم رزئك بى فذاك نفادى

يا سيدى يا عمدتى يا عدتى ... فى شدتى ومخاوفى وحِدادى

هـذا محمد قومه وهمُ همُ ... والدين شرع والردى فى الرادى

فصحيحه كصحيحه وجماعة ... لجماعـــــة والرد كالإيراد

والحمـد لله العظيم مضاعفا ... لا ينتهى بالحصر والتعـداد

يا صاحب القبر الشريف ومعدن الـ ... ـسر اللطيف وعالىَ الإسناد

يا قبر خـير الخلق بعـد نبيه ... ووصيّـه وصحابه الأوتـاد

يا من تُقْضَى كل حاج عنده ... طلبتْ بصادق نية استمداد

يا تربة سعدت بموضع قـبره ... فلكِ الفخار على جميـع وِهاد

فهـــــرس

الصفحة